

الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية وآدابها

المدن العربية المقاتلة في الشعر الحديث
(القدس ، بيروت ، البصرة)

١٩٤٨ - ١٩٨٨

محمد أحمد محمد المجالي

المشرف
الأستاذ الدكتور محمود السرة
أستاذ النقد والبلاغة
رئيس الجامعة الأردنية



(قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية
وآدابها من كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية)

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م

الإهداء

الى أطفال الحجارة الصغار الكبار في مدينة القدس

... الذين حرروا الشمس من الأسر

... وفكّوا القمر من القيود

... وأطلقوا الكواكب تدور في أفلاكها

الى الجند المدافعين عن مدينة البصرة

... الذين عاهدوا شط العرب أن يظلّ عربيا عراقيا النسب

... الذين أشرقت هاماتهم بالفخار وهم يعانقون نخيل البصرة

لتبقى أمجاد خالد وسعد حية في ذاكرة التاريخ

الى بيروت مدينة العشق والحرية والجمال .

مدينة الفكر التي ما ضنت على محبوبها بعلم يغذي العقول

أو أشرقتني بهذب النفوس .

١٩٨٨

شكر وتقدير

يسرني في بداية هذه الرسالة ، أن أتقدم بشكري الجزيل ، الى أستاذي الأستاذ الدكتور محمود السيرة ، الذي أشرف على الرسالة منذ كانت فكرة حتى رأت النور ، والذي لم يأل جهدا في مساعدتي بكل الوسائل .

لقد شملني أستاذي بعطفه ورعايته وتوجيهه ، وضرني بحسن استقباله لي في مكتبه في الجامعة ، فكان لي خير دليل يأخذ بيدي ، ويهني لي الدرب ، ويبدد عنته .

أسأل الله أن يقيه لنا ذخرا ، وللعلم مؤثلا ، وللمتعلمين هاديا ومرشدا .

كما يسرني أن أتقدم بالشكر والامتنان لأستاذي الدكتور سمير قطامي ، الذي بذل جهدا كبيرا في قراءة هذه الرسالة ، فقدم لي النصائح والملاحظات ، ووجهني الى الطريق الصحيح ، وزودني بكثير من الدراسات والأبحاث الخاصة بالقصيدة المقاتلة .

وأتقدم بالشكر الجزيل أيضا الى كل من مد يد العون لهذا البحث ، وأخص بالذكر السيد عايد خصباله رئيس تحرير مجلة آفاق العراقية ، والأستاذ محمد السرخسي مدرس اللغة العربية في مدرسة الطران الثانوية .

وان الأمانة العلمية تفرض علي أن أتقدم بالشكر والامتنان لموظفي مكتبة الجامعة الأردنية لما يقدمونه من عون للباحثين .

المحتويات

الصفحة

٢٥ - ١

١٢ - ١

١٧ - ١٣

٢٥ - ١٨

١٣٧ - ٢٦

٣١ - ٢٧

٣٩ - ٣٢

٤٥ - ٤٠

٥٧ - ٤٦

٦٣ - ٥٨

٧٩ - ٦٤

٩٣ - ٨٠

١١٣ - ٩٤

١٢٤ - ١١٥

١٣١ - ١٢٥

١٣٧ - ١٣٢

المحتوى

مقدمة : البحث : أهدافه ، مصادره ، منهجه .

التمهيد : التعريف بالمدن المقاتلة الثلاث

أ - القدس

ب - بيسروت

ج - البصرة

الفصل الأول : أبعاد المدن العربية المقاتلة في الشعر الحديث

القدس - البعد الديني :

أ - التفني بمكانة القدس الدينية

ب - الأسس لحال المقدسات

ج - الدور التاريخي الإسلامي لمدينة القدس

د - التأكيد على الحب والانتساء

بيسروت - البعد السياسي :

أ - التناحر والاقتتال

ب - الانفتاح

ج - زوال معالم الحضارة

د - البعد القومي

البصرة - البعد القومي :

أ - دور البصرة المشقوق

ب - العريد ودوره القومي

ج - الدور الثقافي التاريخي

٣٠٩-١٣٨	<u>الفصل الثاني : مواكبة الشعر لأحداث الصراع</u>
	<u>القدس - الأحداث المعاصرة</u>
١٥٠-١٣٩	أ - تصوير حجم المأساة
	ب - النقد الذاتي :
١٥٦-١٥١	مهاجمة الشعوب
١٦٠-١٥٧	مهاجمة الحكام
١٦١-١٦٠	ج - فضح نوايا الصهيونية
	- مستقبل المدينة :
	أ - طرح الحلول المناسبة :
١٦٦-١٦٢	الوحدة العربية
١٧١-١٦٧	استخدام القوة
١٧٧-١٧٢	الايان بقوة أبناء الأرض
١٨٠-١٧٨	التطلع للزعيم المنقذ
١٨٢-١٨١	المودة الى الاسلام
١٩٢-١٨٢	ب - الأمل والاصرار
١٩٤-١٩٣	- قصيدة الداخل والخارج
	<u>بيروت - الأحداث المعاصرة :</u>
	أ - تصوير حجم المأساة :
٢٠٧-١٩٥	الموت والخراب
٢١٦-٢٠٨	الطفولة المشردة
	ب - النقد الذاتي :
٢٣٠-٢١٧	التخاذل العربي
٢٣٤-٢٣١	تخاذل الحكام

— مستقبل المدينة :

٢٤٥ - ٢٣٥

أ - التهديد بثورة الفقراء

٢٦٠ - ٢٤٦

ب - الأمل والاصرار

٢٦٢ - ٢٦١

— قصيدة الداخل والخارج

٢٦٥ - ٢٦٢

البصرة : — اتجاهات القصيدة

— موضوعات القصيدة :

٢٧٨ - ٢٦٥

أ - بصرة البها والصود

٢٨٧ - ٢٧٩

ب - تمجيد البطولة والابطال

٢٩٤ - ٢٨٨

ج - تأكيد الحب والانتقام

٣٠١ - ٢٩٥

د - الدعوة لمواصلة الثبات

٣٠٦ - ٣٠٢

هـ - الشهادة

٣٠٩ - ٣٠٧

— قصيدة الداخل والخارج

٣٩٧ - ٣١٠

الفصل الثالث : المضمون والشكل في شعر المدن المقاتلة

— المضمون :

٣١٤ - ٣١٢

أ - خصائص شعر المدن المقاتلة

٣١٦ - ٣١٥

ب - الدور الوظيفي لشعر المدن المقاتلة

٣١٨ - ٣١٧

ج - الاهتمامات البارزة في شعر المدن المقاتلة

— الشكل الفني :

٣٢٢ - ٣١٩

أ - اللفظة

٣٢٥ - ٣٢٣

ب - الموسيقى الشعرية

٣٥٦ - ٣٢٦

ج - الرمز

٣٨٢ - ٣٥٧

د - الصورة

٣٨٤ - ٣٨٢

هـ - التعبير المباشر

٣٩١ - ٣٨٥

و - التكرار

٣٩٧ - ٣٩٢

ز - هبوط المستوى الشعري

خاتمة

٤٠٠ - ٣٩٨

ثبت المصادر والمراجع

٤١٩ - ٤٠١

خلاصة البحث باللغة الانجليزية

القدمة

يتناول هذا البحث دراسة الشعر الذي قيل في ثلاث مدن عربية ، تجمع بينها خصائص مشتركة ، وينتظمها خيط واحد : فهي مدن عربية عريقة ، تعرضت عبر تاريخها الطويل لغزوات كثيرة ، وكانت - وما زالت - مستهدفة نظرا لأنها تمثل رمزا من رموز التاريخ العربي .

أولى هذه المدن مدينة القدس . . المدينة الرمز بالنسبة للمسلمين والمسيحيين على السواء ، مدينة الظهر والفداء التي أثبت أن تلين عبر تاريخها الطويل أمام أي هجمة من هجمات الأعداء .

وثاني هذه المدن مدينة البصرة التي صمدت في وجه الهجمة الفارسية دفاعا عن هويتها العربية ، ودورها التاريخي والثقافي ، فأثبتت بدورها البطولي أنها مدينة الصمود التي لا تنحني أمام النواصب والمحن .

أما الثالثة المدن فهي بيروت مدينة العلم والثقافة والحضارة والفن ، وهي في صراعها من أجل البقاء تستذكر هذا الإرث الحضاري كله ، وتجتهد في صراعها ، وتتشبث بالحياة ما وجدت لذلك سبيلا .

لم يكن هدفي من هذه الدراسة الكشف عن العدد الهائل من القصائد التي قيلت في المدن المقاتلة الثلاث ، بل كان الهدف الأساسي إبراز ما في هذا الشعر من قيم وقضايا عالجا الشعراء في مختلف أقطار الوطن العربي من عام ١٩٤٨ - ١٩٨٨ .

ولعل في اختياري لهذه الفترة مدلولا واضحا ، فعام ١٩٤٨ يمثل منعطفًا خطيرا في تاريخ الأمة ، حيث شهد أولى النكبات وما ترتب عليها من مآس ومعاناة ظل الشعراء يتحسسون أبعادها في قصائد هم المختلفة . وأما عام ١٩٨٨ فهو العام الذي فرغت فيه من جمع مادة الدراسة وبدأت بكتابتها .

لقد حاولت في هذه الدراسة أن ألقى الضوء على مواقف الشعراء العرب من قضايا الأمة ، فسألت الأضواء على احساسهم بالفجيعة والهوان وهم يرون القدس مسرى النبي

محمد وبلد المقدسات تتهاوى أمام الغزاة الصهاينة . وأبرزت موقفهم من مدينة البصرة حين صوّروها بأنها صانعة التاريخ العربي وأماجد ، وأنها البيت الأول الذى نشأ فيه أديب العربية وشعراؤها وتلست موقفهم الباكي من بيروت وهم يصوّرونها بالأم التي عبقها أبنائها .

ومن مواقف هؤلاء الشعراء الذين عرضت لهم ، وهي مواقف تعكس في رأيي مواقف الأمة بأسرها ، تتبدى لنا أهمية هذه المدن الثلاث وموقعها في نفس كل عربي ، فالقدس هي المحبة القصوى ، وهي الارث الديني الذي استخلف فيه العرب جميعهم ، وهم جميعا سواولون عن صون هذا الارث وحمايته . والبصرة عند هؤلاء الشعراء ، هي بيت العروبة الأول . . . وأى شيء أولى بالكرامة والعفاف من ظئر العروبة وسهدها ! وأى شيء أولى بالحماية من كل ضيم من مدينة تمثل رمزا بارزا من رموز تاريخنا .

وتبدو لنا أهمية بيروت ونحن نقرأ لشعراء نذروا أنفسهم وقصائدهم للتغني بجمال بيروت وفضلها ، فصوّروها بالفاتنة الحسنة والام الروم التي ما ضنت بفضلها وبرها على أحد ، وقد انبرى هؤلاء الشعراء يدافعون عن بيروت بحماس ، وارتفعت أصواتهم تنادى بضرورة تخليصها من المحنة التي تعصف بها ، لتعود بيروت كسابق عهدها ، مركز اشعاع حضارى ، ومنبرا من منابر العلم والثقافة والفن .

ولأن للشعر رسالة نبيلة ، يحملها الشعراء عبر قصائدهم الى كل فرد في الوطن العربي الكبير ، فقد حاولت أن أثبت دور الوظيفي الهام الذى حققه شعر المدن المقاتلة ، وأهم الاهتمامات الوطنية البارزة فيه ، وقد وجدت أن الشعراء قد نجحوا نجاحا كبيرا في تأدية رسالتهم القومية بأسلوب متدقق حاذل بالنهض الصادق .

وكان لا بد من تلمس ملامح التطور الذى أصاب القصيدة المقاتلة شكلا ومضمونا ، فوجدت أن القصيدة الحرة قد احتلت جزءا كبيرا من هذا الشعر مقارنة مع القصيدة العمودية وأن القصيدة الطويلة قد أخذت تشق طريقها في هذا المجال ، وأن تطورات العصر قد فرضت على الشعراء مفردات وألفاظا حربية جديدة لم تكن مطروقة من قبل ، أضف الى

ذلك كله أن الشعراء قد أصبحوا أكثر جرأة في نقد الحكام والشعوب، فكان للنقد الذاتي النصيب الكبير من قصائد هؤلاء الشعراء .

وقد كنت مدركا حين شرعت في جمع مصادر الموضوع ومراجعته للعقبات التي تواجهه كل دارس عند جمع مادة بحثه وتصنيفها واستقطارها، ولكنني لم أدرك قسوة هذه العقبات إلا بعد الشروع في التفتيش .

فبعد أن جمعت ما كتب من قصائد تخص القدس وميروت وهي كثيرة جدا، بدأت بجمع قصائد البصرة، فوجدت أن الأمر في غاية الصعوبة لعدة أسباب أهمها :

١ . أن عدد الدواوين الشعرية العراقية الحديثة في مكتبة الجامعة قليل جدا، وأن دواوين الحرب لم يصل منها إلى المكتبة إلا العدد القليل .

٢ . أن الصحف العراقية انقطعت عن الوصول إلى مكتبة الجامعة لفترة طويلة جدا، وهي أهم مصدر لهذا البحث .

٣ . أنني اعتدت منذ البداية على دراسة ما كتب عن مدينة البصرة فقط، دون الجمع بينها وبين قصائد بغداد، وقد اتضح لي فيما بعد أن معظم القصائد التي كتبت عن البصرة كانت خلال معارك البصرة فقط، وأن معظمها كتب بأيدي أبناءها البصريين، وأن النصيب الأكبر من قصائد الشعراء العراقيين والعرب كان لبغداد، على اعتبار أن بغداد كانت حاضرة الدولة العربية في أزهي عهودها وما زالت حاضرة العراق إلى يومنا هذا .

ولكن وعلى الرغم من كل ذلك، فقد تمكنت من التغلب على كل هذه الصعاب، وحصلت على عدد كبير جدا من قصائد البصرة، وذلك من خلال تتبع كل الأعداد الجديدة الصادرة عن المجلات العراقية، ومساعدة من السفارة العراقية في الأردن، ومن رئيس تحرير مجلة آفاق الذي أحضر لي معه من بغداد أكثر من ثلاثين ديوانا خاصة بشعر البصرة، إضافة لما قدمه أستاذي الدكتور سمير قطامي من قصائد ودراسات وأبحاث متعددة حول

القصيدة المقاتلة في العراق ، وما قدّمه عدد من الاصدقاء من يدرون هناك من دواوين وقصائد مصوّرة .

لقد تعددت مصادر دراستي ، فجاءت موزعة بين الدواوين الشعرية والمجلات الادبية والصحف اليومية والدراسات التاريخية واللغوية والنقدية المختلفة .

لقد كانت الدواوين الشعرية والمجلات الادبية والصحف اليومية المصادر الاساسية لدراستي ، فقد اعتمدت على حوالي مئة وعشرين ديوانا لشعراء من معظم أقطار الوطن العربي ، كما اعتمدت على أكثر من خمس وثلاثين مجلة أدبية تصدر في معظم البلدان العربية وأعدادها المختلفة ، وكان من أكثرها أثرا في اثراء هذه الدراسة مجلات : الآداب اللبنانية ، الأديب اللبنانية ، الأقلام العراقية ، البيان الكويتية ، الثقافة السورية ، دعوة الحق المغربية ، الدوحة القطرية ، الكاتب المصرية . كما أفدت من بعض الصحف الاردنية والعراقية في هذا الموضوع .

أما الدراسات اللغوية والتاريخية فقد اعتمدت عليها في اقامة التمهيد ، واتكأت أيضا على بعض الدراسات النقدية الحديثة في اقامة دراستي الفنية .

أما منهجي في الدراسة فقد اعتمد على تقسيم البحث الى تمهيد وثلاثة فصول . في التمهيد قمت برسم صورة للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في المدن الثلاث ، وذلك حتى يستطيع القارئ تحلّ الجو الذي عاشته وتعيشه هذه المدن قديما وحديثا .

وتحدثت في الفصل الاول ، عن أبعاد المدن الثلاث في قصائد الشعراء العرب ، وقمت بتوضيح جوانب كل بعد ، لا أتقل بعد ذلك في الفصل الثاني للحديث عن مواكبة الشعر لأحداث الصراع في المدن الثلاث ، وتوضيح مدى تأثير المعاناة في شعراء المدن المقاتلة من خلال المقارنة بين قصيدة الداخل والخارج .

أمّا في الفصل الثالث فقد قمت بدراسة للمضمون والشكل في شعر المدن الثلاث، فدرست خصائص هذا الشعر، والدور الوظيفي له، والاهتمامات البارزة فيه . ثم درست في الشكل اللغة والموسيقى والرمز والصورة والتكرار والمباشرة وغير ذلك من هذه الظواهر. وقد أنهيت البحث بخاتمة، تلاها ثبت بأهم مصادر الدراسة ومراجعتها، وخلاصة باللغة الانجليزية .

التمهيد

التعريف بالمدن المقاتلة الثلاث

القدس :-

وتسمى بيت المقدس بفتح الميم وسكون القاف ، أى المكان المطهر من الذنوب ، واشتقاقه من القدس وهي الطهارة والبركة (١) .

تقع مدينة القدس على خط الطول ٣٥ شرقا ، وعلى خط العرض ٣٤ شمالا ، وتبعد عن نهر الأردن مسافة أربعين كيلومترا الى الغرب ، وعن ساحل البحر الميت خمسة وستين كيلومترا (٢) ، وتقوم المدينة على أربعة جبال هي :-

جبل موريا (ومعناه المختار) القائم عليه المسجد الأقصى ومسجد الصخرة ، وجبل صهيون ويعرف بجبل النبي داود وهو يشكل الجزء الجنوبي الغربي من جبال القدس الأربعة (ومنه أخذت الحركة الصهيونية اسمها) ، وجبل اكرا حيث توجد كنيسة القيامة ، وجبل بزيثا بالقرب من باب الساهرة .

تقع المدينة كلها على سلسلة جبال القدس ضمن هضبات ذات مرتفعات عالية ، وتحيط الجبال مدينة القدس من جميع الجهات أهمها : جبل المشارف من الشمال ، وجبل المكبر من الجنوب ، وجبل الطور من الشرق ، وجبل صهيون من الغرب (٣) .

اختلفت أسماء هذه المدينة تبعا للمراحل التاريخية التي مرت بها ، ومن أشهر هذه الأسماء :

أورشليم : وهو الاسم الكنعاني قبل قدوم العبرانيين أرض كنعان .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت ، ص ١٦٨ ، وياقوت الحموى ، معجم البلدان ،

بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ١٦٩ .

(٢) البشارى المقدسى ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بيروت ، ص ١٦٦ ،

ومحمد أديب العامرى ، القدس العربية ، عمان ، ١٩٧١ ، ص ١٠ .

(٣) محمد أديب العامرى ، عروبة فلسطين في التاريخ ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٨٧ ،

والقدس العربية ، ص ١٠ .

ييسوس : نسبة الى الـيوسيين وهم أول من عمروها *

مدينة داود : وقد أطلق عليها حينما استولى داود على القدس وسماها باسمه .

موريا : وهو التل الصخري حيث بنى سليمان الهيكل .

ايليا: وهو الاسم الذي أطلقه عليها الامبراطور الروماني اديان نسبة الى عائلة

الامبراطور " ايليوس " ، وكان هذا هو الاسم الذي تضمنته العهدة العمرية

التي حررها عمر بن الخطاب لأهل القدس عندما دخل إليها سنة ٦٣٨ م.

بيت المقدس: وهو الاسم الذي شاع بعد الفتح الاسلامي ، وورد لهذا الاسم صور مختلفة

منها البيت المقدس والقدس والقدس الشريف والمدينة المقدسة ، على أن الاسم

الأشيع هو بيت المقدس ، ويبدو أن اسم القدس قد استعمله أهل الشام

وأطرافها (١) * *

يعود تاريخ هذه المدينة المقدسة الى أكثر من ستة آلاف سنة عندما حل

اليوسيون في المنطقة الجبلية التي تقع عليها القدس حاليا ، واليوسيون هم فرع من

القبائل الكنمانية المربية ، وهم الذين أسسوا القدس لأول مرة في التاريخ حوالي سنة

... ق.م بعد أن أقاموا في مكانها وفيما حولها مدة من الزمان ، وقد كانت

أرض مدينة القدس في ابتداء الزمان صحراء بين أودية وجبال وهي خالية لا بناء فيها

ولا عمارة ، فأول من بناها واغتصبها ملك اليموسيين وكان يلقب بحليك صادق .

ومما حكى في أمر بناء القدس ، أن ملكي صادق نزل بأرض بيت المقدس ، وقد

قطن بكهف من جبالها يتعبد فيها ، واشتهر أمره حتى بلغ ملوك الأرض باقرب من

(١) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٩، بيروت، ١٩٧٥، ص ٢٥، والقدس

العربية ص ٢٦ ، وعارف العارف ، تاريخ القدس ، القاهرة ، (١٩٥١) ، ص ١٦٧ .

✱ القدس نشأت مدينة ييوسية (كنعانية) خالصة ، فالْيُوسِيُّون هم بناتها الأولون

وهم من أصول عربية ، وان هناك غموضا يشوب بعض العراجع لأنها لا توضح أن

اليوسيين بطن من الكنعانيين وأن الكنعانيين خرجوا من جزيرة العرب وأنهم

ذوو أصول عربية . (عربيه فلسطين في التاريخ ، ص ٢٠) .

نلاحظ أن أسماء القدس كلها عربية الأصول ، ييوسية أو كنعانية الآ حين

سَعَاهَا دَاوُدُ وَأَدْرِيَانُ بِاسْمَيْهِمَا الَّذِينَ ذَهَبَا مَعَ الْأَيُّامِ .

أرض بيت المقدس والشام وسدوم وعدّتهم اثنا عشر ملكا ، فحضروا اليه ، فلما رأوه وسمعوا كلامه أحبّوه حبّا شديدا ، ودفعوا له مالا ليعمر به مدينة القدس ، فاختطها وعمرها وسمّيت " سالم " " شالم " نسبة الى ملكي صادق الذي اشتهر بأنه محبّ للسلام . وقد امتدت مملكة القدس أيام اليوسيين الى حدود واسعة وتعاقب عليها ملوك وحكام منهم أدوني صادق وسالم اليوسي وأدوني بازن وغيرهم * (١) .

ولقد تعاقبت القرون على القدس ، كما تعاقب الفزاة من كلّ جنس ، يحاولون اغتصابها ، فقد حاول بنو اسرائيل أن يطردوا القبائل الكنعانية منها وذلك عام ١٠٤٨ ق م ، حينما استولى عليها داود * من اليوسيين واتخذها عاصمة ملكه وأسماها " مدينة داود " . ثم خلفه في حكمه ابنه سليمان الذي عمل جاهدا على اعمار مدينة القدس حيث بنى الدور والقصور وأتم عمل أبيه فبنى الهيكل سنة ١٠٠٧ ق م .

غزا الاشوريون القدس واحتلوها ، ولكن سرعان ما دبّ الضعف في صفوفهم فتخلّوا عنها للبابليين ، فذلك نبوخذ نصر أسوارها ونهب هيكلها الذي بناه سليمان ودمّره ما دفع باليهود * الى الهرب ، ثم تغلب " كورش " ملك الفرس على البابليين حتى احتلها اليونان بقيادة الفاتح المقدوني الاسكندر الأكبر سنة ٣٢٢ ق م ، وفي هذه الفترة عاد قسم كبير من اليهود الى القدس واهتم اليونانيون بهم حيث أقروا

(١) انظر: القدس العربية ، ص ٢٨ - ٣٤ ، وعروة فلسطين في التاريخ ، ص ٨٣ - ٨٨ .

* أسماء الملوك اليوسيين أسماء عربية قديمة ، وقد تمكن هؤلاء الملوك من اتخاذ هياكل لالهتهم حيث اعتبروها مدينة مقدّسة مثل غيرهم من الشعوب أو أصحاب الديانات (عروة فلسطين في التاريخ ، ص ٢٠) .

** عندما افتتح داود القدس كان قد مرّ على نشوئها نحو ثلاثة آلاف سنة ، كما كان قد مرّ على وجود العموريين والكنعانيين في فلسطين ما يزيد على أربعة آلاف سنة . (القدس العربية ، ص ٤٨) .

* اليهود ليسوا في الأصل جنسا ساميا أو عربيا ، وانا نشأوا خليطا صفته التجول والبحث عن رزق ، وقد طوّح بهم الحرمان ، فسخروا تخصصهم في الحروب لفزو مدينة الكنعانيين في فلسطين وأمعنوا في القتل والحرق ثم الاستيلاء على الأرض وإخراج أهلها منها . (القدس العربية ، ص ٤٢) .

عاداتهم وأغفواهم من الجزية (١) .

ثم احتلها الرومان ، وقد حاول اليهود في عهدهم إثارة القلاقل والمتاعيب وخاصة حينما أتى المسيح الى القدس بيشرب تعاليه الجديدة ، لكنهم فشلوا في ذلك وسرعان ما تقلص نفوذهم بعد أن طردهم الرومان منها وحظروا عليهم دخولها .

وقد دمر الرومان أورشليم مرتين : الأولى سنة ٧٠ م على يد طيطوس الذي هدم البلدة وأحرق الهيكل ، والثانية سنة ١٣٥ م على يد هدر يان الذي حرقها ومسحها من عالم الوجود مسحا شاملا ، فكان أن عفت جميع الآثار اليهودية عن القدس ولم يبق منها إلا الذكريات (٢) .

ثم كان العهد الاسلامي ، حيث تم للصرب تحرير القدس في عهد عمر بن الخطاب وكانت النفسية العربية المتسامحة هي التي دفعت الى أن يعطي الأمان لفلسطين المسلمين ، وقد نالت القدس اهتماما كبيرا في عهده ، وفي عهد من خلفه من الراشدين حتى كان عصر بني أمية وفيه بلغت القدس أوج ازدهارها وتقدمها ، حيث تم بناء مسجدى الصخرة والأقصى في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وفي العصر العباسي وأصل الخلفاء مسيرة البناء والتقدم فعامل الرشيد النصارى أحسن معاملة ومسحح للامبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء ، ثم أخذ على نفسه حماية الحجاج المسيحيين الذين يفدون لزيارة بيت المقدس ، كما عمل الأمويون على تجديد عمارة الصخرة * .

(١) انظر د . فاروق محمد عز الدين ، القدس تاريخيا وجغرافيا ، القاهرة ، (١٩٨١) ، ص ١٦ - ٢٢ ، والقدس العربية ، ص ٥٨ ، وفايز جابر ، القدس (ماضيها ومستقبلها) ، ص ٤٩ .

(٢) بلادنا فلسطين ، ص ٥٣ .
* أن تاريخ القدس منذ نشأتها يدل على :

- أ - أن الجنس العربي هو أول من أنشأ المدينة وعمرها .
- ب - أن العرب لم يفارقوا القدس طوال تاريخها وظلوا شعبها ومادتها .
- ج - أن العرب حكموا القدس أطول مدة في التاريخ منذ أقدم العصور الى يومنا هذا .
- د - أن الشعوب والدول الأجنبية الفارسية ومنها العبرانيون حاولت السيطرة على المدينة والبلاد ولكن الأساس السكاني الغالب كان يعيد البلاد الى الوضع الاساسي العربي . (القدس العربية ، ص ٦٣) .

وفي عهد الدولة الفاطمية عمل الظاهر على إعادة تعمير قبة المسجد الأقصى وإعادة بناء الكنيصة ، وشرع في بناء سور القدس ، وظلت القدس العربية آمنة السلي أن دهمها الصليبيون المستترون تحت قناع الدفاع عن المسيحية وذلك سنة ١٠٩٩ م . مما دفع بالمرب لتوحيد صفوفهم ومواجهة الصليبيين في أكثر من موقعة ، وقد تحقق النصر للمرب في عهد صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين ، ثم تتابعت انتصاراته حتى تم فتح بيت المقدس ، وقد أقام صلاح الدين في بيت المقدس يرتب أمور البلاد وأحوالها حيث رتب الأعياد والمواسم ، وأنشأ المدارس والمعاهد والمستشفيات وأشهرها المدرسة المعظمية والنحوية والبدرية ، كما انتعشت في عهده الحركة التجارية انتعاشا كبيرا (١) .

وقد أثارت هذه الهجمة الشرسة حماسة الشعراء وألهبت مشاعرهم ، فكتبوا شعرا كثيرا دعوا فيه إلى التحرير وحثوا على الوحدة وهنأوا بالانتصارات ، من ذلك ما قاله ابن القيسراني في دعوة نور الدين لتحرير بيت المقدس :

كنا نعدّ حتى أطرافنا ظفيرا	فملكك الظبي ما ليس نحتسب
لم يبق منهم سوى بيض بلا رمق	كما التوى بعد رأس الحية الذنب
فانهض إلى المسجد الأقصى يدى لجب	يوليك أقصى المنى فالقدس مرتقب
وأذن لموجك في تطهير ساحله	فانما أنت بحر لجه لجيب (٢)

وقال العماد الاصفهاني في الموقف نفسه :

أغز الفرنج فهذا وقت غزوهم	واحطم جموعهم بالذابل الحطم
وطهر القدس من رجس الفرنج وثب	على البغاة وثوب الأجدل القطم (٣) *

(١) انظر : القدس تاريخيا وجغرافيا ، ص ٣٢ - ٣٩ ، ميلادنا فلسطين ، ص ١٣٩

- ١٦٠ -

(٢) فاروق جزار ، ابن القيسراني (حياته وشعره) عمان ، ١٩٧٤ ، ص ٢٤٣ .

(٣) العماد الاصفهاني ، ديوان العماد ، الموصل ، ١٩٨٣ ، ص ١٩ .

* الأجدل : الصقور .

القطم : الغضبان .

وقال مهنثا صلاح الدين بفتح بيت المقدس :

فلا يستحق القدس غيرك في السورى فأنت الذى من دونهم فتح القدس
ومن قبل فتح القدس كنت مقدّسا فلا عدت أخلاقك الطهر والقدس (١)

بعد انتهاء حكم الدولة الأيوبية تولّى المالِك الحكم ، وقد عرف المالِك
بجهادهم وكفاحهم ضد المفسرين من الفرنج وسفول ، كما عرفوا باهتمامهم بالعلم ،
وقد نالت القدس في عهدهم حظا كبيرا من العناية والاهتمام ، فقد فتحو المدارس
وأقاموا المساجد ، ومنوا عددا من الزوايا ومن أشهر آثارهم في القدس المسجِد
القلنسرى ، المدرسة الأرغونية ، المدرسة الوجيهية ، المدرسة التنكزية ، المدرسة
الخاتونية ، المدرسة البارودية وغيرها .

ثم كان عهد الأتراك ، وفي هذه الفترة حاول نابليون أن يستولي على القدس
لكنه تراجع بعد فشله في الاستيلاء على عكا ، وحرّر ابراهيم باشا القدس من قبضة
الأتراك عندما حاربهم عام ١٨٣١ م ، لكن تدخل الدول الكبرى أرغمه على أن يعيد
الشام بما فيها القدس الى الدولة العثمانية التي كانت شمسها توشك أن تغيب (٢)

وكان أن استولت بريطانيا على فلسطين ، ودخل " اللورد اللنبي " القدس
عام ١٩١٨ بعد أن تحالفت تركيا مع ألمانيا ضد بريطانيا في الحرب العالمية الأولى ،
وقد كان استيلاء بريطانيا على فلسطين بداية المأساة التي نعيش تحت وطأتها اليوم ،
ففي عام ١٩١٧ أعلن بلفور بأنه سيعمل ما في وسعه على إنشاء وطن قومي لليهود
في فلسطين العربية ، وبدأ اليهود يتدفقون على فلسطين وبدأت المأساة .

أخذ العرب يذلون قسارى جهدهم في مقاومة الهجرة الى فلسطين ،
لكن الحكومة البريطانية وقفت في وجه تلك المقاومة ، وفي عام ١٩٢٩ ثار الفلسطينيون

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(٢) انظر : بلادنا فلسطين ، ص ص ٢٧٥ - ٣١٦ ، وتاريخ القدس ، ص ص ٨٧ -

ضد الهجرة الصهيونية ، فنشبت اضطرابات عنيفة في مدن القدس والخليل وصفد
ويافا .

أخذت الهجرة الى فلسطين تتزايد ، وأصبح الجو العام مهياً لصدام بين
أصحاب الأرض وبين المقتصبين القادمين ، فاقترحت اللجنة البريطانية التي أوفدت
الى فلسطين تقسيمها الى دولتين : الأولى دولة عربية والأخرى صهيونية ، أما
القدس فتظل تحت الانتداب ، وبالطبع فإن أصحاب الحق رفضوا اقتراح تلك اللجنة
واندلعت نيران الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ (١) .

ولم تمر هذه الأحداث دون التفات اليها واهتمام بها من قبل بعض الشعراء ،
فقد كتب أحمد شوقي بمناسبة تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ مخاطباً اللورد اللنبي :

يا فاتح القدس خلّ السيف ناحية	ليس الصليب حديداً كان بل خشباً
وان نظرت الى أين انتهت يده	وكيف جاوز في سلطانه القطباً
علمت أن وراء الضعف مقدره	وان للحق لا للقوة الفلباً (٢)

ونظم ابراهيم طوقان قصيدة بمناسبة التطاحن الحزبي الذي تفشى في
فلسطين ، وكانت القدس بوصفها عاصمة البلاد مركز ذلك التطاحن :

دار الزعامة والأحزاب كان لنا	قضية فيك ضيعنا أمانيهنا
هل تذكرين وقد جاءتك ناشئة	غنية دونها الأرواح تغديهننا
تودّ لو وجدت يوماً أخاً ثقة	لديك يوسمها برّاً ويحميهنا
ما كان كهو عفيف النفس كافلها	ولا أبيا حمي الأنف راعيهنا
ولا أفادت سوى الأحقاد تضرمهنا	فوق البلاد (زعامات) وتذكيهنا
قضية نبذوها بعدما قتلست	ما ضرّ لو فتحوا قبراً يواريهنا (٣)

(١) انظر: تاريخ القدس ، ص ١٣٣ - ١٤٠ ، ورفيق النتشه ، تاريخ مدينة

القدس ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ص ص ٧٣ - ٨٢ .

(٢) أحمد شوقي ، الشوقيات ، ج ١ ، القاهرة ، ص ٧١ .

(٣) ابراهيم طوقان ، ديوان ابراهيم طوقان ، بيروت ، ١٩٤١ ، ص ٨٣ .

أما الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة فقد دعا في حماسة الى جعل
القدس عربية كما كانت في كل عهود التاريخ واعتبار غير ذلك مجافيا للعدالة قائلًا :

آن الذي زعم العدالة شرعية أذى الأئمة في رضا الأحيار
ودهى العمومة في وشائج نسلها وسطا على الأجوار بالأجـرار
القدس لابن القدس لا لشرد متصهين ومهاجر غدار (١)

بقيت القدس تحت الادارة البريطانية الاستعمارية حتى سنة ١٩٤٨، حيث
كان انتهاء الساعة الثانية عشرة من مساء يوم الجمعة ١٤ أيار حدًا فاصلا في تاريخ
فلسطين الحديث، فقد انتهى الانتداب البريطاني الحافل بالآسي وبدأ عهد
جديد يحيط به الفوضى وتكتنفه التوقعات، وذلك حينما أعلنت بريطانيا انسحابها
من فلسطين بعد أن اطمانت على تسليح جيش الصهاينة اليهود وسلمتهم الادارة
الحكومية هناك .

وعلى الفور تسابقت الجيوش العربية لنجدة أهل فلسطين وعلى رأسها جنود
الجيش العربي الذين دخلوا الى فلسطين وقلوبهم تتلوى شوقا وحماسة للاسهام
في معركة تحرير اخوانهم وحرر الفزاة، ومع أن العرب دفعوا الى ميدان القتال
عددا يساوي ما دفعه العدو من جنود وضباط إلا أن أبناء فلسطين والأمة العربية
فجعوا حين رأوا تلك الجيوش وأوامر من قياداتها تنسحب أمام القوات الصهيونية
فتستسلم البلاد قرية قرية ومدينة مدينة * وكانت القدس من تلك المدن التي سقطت
بأيدي الصهاينة ولم يبق منها إلا القسم الشرقي الذي ما لبث أن استولى عليه الصهاينة

(١) محمد العيد آل خليفة، ديوان محمد العيد، قسطنطينية، ١٩٦٧، ص ٣٣٠ .

* يرى سليمان موسى أن من أسباب تفوق اسرائيل على العرب في حرب ١٩٤٨ :

- أ- أن معظم الدول العربية تعاني من متاعب داخلية وخلافات مع بعضها بعضا .
 - ب- أن معظم الدول العربية تعاني من ضعف الموارد وكان الأربان أكثرها فقرا .
 - ج- اخفاق الدول العربية سياسيا مثلما أخفقت عسكريا .
 - د- أن ارادة القتال عند المدنيين اليهود أقوى منها عند المدنيين العرب .
 - هـ- أن العرب اهتموا بالاجتماعات والتصريحات ولم يتجاوز ذلك الى الواقع .
 - و- قلة الخبرة بالحروب عند الرؤساء العرب .
 - ز- تعدد القيادات العربية .
- (أيام لا تنسى ، ص ص ٢٥ - ٣٠) .

سنة ١٩٦٧ (١) .

ومنذ ذلك الحين والصهيونية تمارس جرائمها البشعة وتعمل جاهدة على تهويد القدس وطمس معالمها العربية ، فقد وضعت يدها على ما تبقى لعرب القدس الفاعلين من أراض وأماكن ، وأعلنت إخضاعها التعليم في المدارس الحكومية لبرامج التعليم التي تطبقها على المدارس العربية منذ عام ١٩٤٨ م .

كما أغلقت البنوك العربية الموجودة في القدس واستبدلت العملة الأردنية بإسرائيلية وأغلقت جميع المحاكم النظامية وغيّرت الكثير من الأسماء والمواقع (٢) .

أهميتها الدينية :-

ما من مدينة في تاريخ العالم تمتعت بقدسية مستديرة منذ أن أسسها اليوسيون قبل زهاء خمسة آلاف عام حتى يومنا هذا مثل مدينة القدس ، فهي الأرض المباركة (دار السلام) كما سماها الأقدمون . وقد حمل ملوكها القدماء لـ "عقيدة التوحيد للاله العلي القدير لأول مرة في التاريخ البشري ، وقد خصها الله بالعديد من الأنبياء حتى قيل أن بناها تم على أيديهم وسكنوها ، وما فيها موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو أقام فيه ملك ، كما خصها الله تعالى بأسراء رسول الله المصطفى عليه السلام .

٣٧٨٦٧٠

لم تلعب مدينة من المدن القائمة على وجه هذه البسيطة الدور الذي لعبته مدينة القدس في التاريخ ، إنها وإن لم تكن من المدن التجارية الهامة ولا الزراعية أو الصناعية رغم موقعها بين البادية من الشرق والبحر من الغرب ، إلا أنها كانت على مرّ الدهور مطع أنظار الفزاة والفاحين فحوصرت مرارا وهدمت تكررًا وهجرت

(١) انظر: سليمان موسى ، أيام لا تنسى (الأردن في حرب ١٩٤٨) ، عمان ،

ص ٢٥ .

(٢) انظر: محمود العابد ، قدسنا ، عمان ، ١٩٧٢ ، ص ١٧٧ - ٢١٧ .

وأعيد بناؤها ثاني عشرة مرة في التاريخ ، لكنها بالرغم من هذا كله ظلت قائمة فسي هذا الوجود ، وظل اسمها مذكورا في طليعة المدن والبلدان ، ذلك لأنها مقدسة في نظر جميع الأديان (١) .

لقد خص الله تعالى القدس بمنزلة عظيمة وباركها على بقاع الأرض بعد مكة والمدينة ، فهي أرض الاسراء والمعراج (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) ، وهي أولى القبلتين ، روى مسلم في صحيحه عن البراء قال : " صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة " (٢) .

ولعل ما يؤكد الأهمية الدينية لمدينة القدس آثار الأنبياء الباقية هناك حيث المكان الذي منه ركب الرسول البراق ، والصخرة التي عرج النبي منها الى السماء ، وصلى جبريل وصلى الخضر ومحراب مريم وزكريا ويعقوب ومفارة ابراهيم خليل الرحمن وغيرها (٣) .

وما ذكر في فضائل بيت المقدس قوله تعالى " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى " ، وقول الرسول الكريم " لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا والمسجد الحرام ومسجد البيت المقدس " .

وما ذكر من فضائل بيت المقدس أيضا أن الصلاة في بيت المقدس خير من ألف صلاة في غيره ، وأن أقرب بقعة في الأرض من السماء البيت المقدس ، وأن آدم عليه السلام أوصى أن يدفن بها وكذلك اسحاق وابراهيم ، وحمل يعقوب من أرض مصر حتى

(١) انظر: القدس تاريخيا وجغرافيا ، ص ٧ .

(٢) انظر: بلادنا فلسطين ، ص ٨٠ ، وتاريخ مدينة القدس ، ص ١٩ .

(٣) انظر: المصدر ذاته ، ص ١٨٠ ومحمد سلامة النحال ، فلسطين أرض وتاريخ

بيروت ، ١٩٨١ ، ص ص ٢٠٠ - ٢٠٧ ، والقدس العربية ، ص ١٧ .

دفن بها ، وأن الله قد تاب على داود بها وصدق إبراهيم الرؤيا بها و كلم عيسى
الناس في المهد بها ، وأنه ينفخ فيه في الصور يوم القيامة وعلى صخرته ينادى النادى
يوم القيامة (١) .

والقدس الى جانب ذلك كانت مقراً لأشهر المحدثين والفقهاء ، وقد حفظت
لنا المصادر أسماء عدد من ذوى الشهرة من المحدثين والفقهاء من عاشوا في القدس
ونسبوا اليها وهم :-

أبو محمد عبد الله بن سليم القدسي ، أبو طاهر موسى بن محمد بن عطاء المقدسي ،
أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن عبد الله القدسي ، شمس الدين أبو عبد الله
محمد بن أحمد القدسي (البشارى) ، نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن
داود أبو الفتح القدسي الفقيه الشافعي ، محمد بن طاهر بن علي بن أحمد الحافظ
ويعرف بابن القيسراني (٢) .

والقدس اليوم مدينة كبيرة سكانها هم المسلمون والمسيحيون واليهود ، وتعتمد
السياحة من أغنى الموارد الاقتصادية في المدينة إذ يحجّ الى القدس في كل عام
عدد كبير من السياح والزائرين يفدون اليها من مختلف أنحاء المعمورة ، أما الزراعة
فليست بذات بال في المدينة بسبب قلة المياه ، وهي تعتمد في زراعتها على مياه
الأمطار ، ومع ذلك فقد اشتهرت بزراعة الزيتون والعنب والتين ، وأما الصناعة فعلى
الرغم من قلتها في القدس إلا أنها على درجة عالية من الجودة ، وأهمها الفسّـزل
والنسيج والخزف والشمع وخشب الزيتون والصدف والبلاط وغيرها ، وتعتمد تجارتها
محدودة مقتصرة على المواد الغذائية وأدوات البناء .

أما الحركة التعليمية فهي حركة نشطة ومميزة وذلك لكثرة المدارس والمعاهد
والمكتبات فيها * ، وتفاخر القدس دائماً بتلك الكوكبة العظيمة من أدبائها من لعبوا

(١) معجم البلدان ، ص ١٦٧ .

(٢) السمعاني ، الأنساب ، ج ١٢ ، الهند ، ١٩٨١ ، ص ٣٨٩ ، ومعجم البلدان ، ص ١٧١ .
* من أشهر مكتبات القدس : المكتبة الخالدية ، مكتبة الكلية العربية ، مكتبة المسجد
الأقصى ، مكتبة المتحف الفلسطيني ، المكتبة الانجيلية الأثرية .
(القدس العربية ، ص ١٤) .

دورا بارزا في بحث النهضة الأدبية الحديثة في فلسطين والعالم العربي ، ومن أشهرهم : خليل السكاكيني وأسعاف النشاشيبي و خليل بيدس واسكندر الخوري البتجالي وأحمد ساح الخالدي ونخلة زريق وغيرهم (١) .

(١) انظر: القدس العربية ، ص ص ١٢ - ١٤ ، ومقالة عجاج نويهض ، وصف القدس ، دعوة الحق ، ع ٥ ، سنة ٢٢ ، ١٩٨١ ، ص ١٠٢ .

بيروت - ١ -

بالفتح ثم السكون وضمّ الراء وسكون الواو والتاء مدينة مشهورة على ساحل الشام (١) ، وتكتب أيضا بيروت وينطق بها بيروت (٢) .

تقع على الشاطئ الشامي على خط عرض ٣٥° (٣) ، وقد اختلف العلماء في اسمها ، فمنهم من قال أنه نسبة الى بعل بريت ، ومنهم من رأى أن بيروت هو اسم الآلهة عشتروت (الآلهة الفينيقية) ، ومنهم من رأى أن بيروت دعت بهذا الاسم نسبة الى شجرة السرو بالعبرانية واللفات الآرامية ، وكانت هذه الشجرة رمزا لعشتروت ، ومنهم من يرى أن بيروت لفظة فينيقية أصلها (أبيروت) أخذت من لفظة " أبير " بمعنى الشجاع فيكون معناها القوة لمنعتها وحرازتها (٤) .

وبيروت مدينة عريقة في القدم ، إلا أن الآراء تفرقت في اسم بانيتها وزمانه ، فمنهم من يرى أن الآلهة ايل أو عليون هو بانيتها ، وكان ايل ملكا على جيل فاقترن بامرأة تدعى بيروت فسوّى بها المدينة الحديثة التي ابتناها ، وايل هذا له عدة أسماء على اختلاف الأمم المتعبدة له ، فالفنيقيون يدعونه ايلا ، والآراميون بمسلا ، والعمونيون مولكا ، والروم ماتورن ، والمرب زحل . ومن المؤرخين من يعزو أهل بيروت الى الكنعانيين ويجعل مدينتهم من مستعمرات جيل المبكرة ويدعى بانيتها جرجاوس أو الجرجسي خامس أبنا كنعان ، ولذلك دعت مدة باسم " جريس " (٥) .

وسهما اختلفت الآراء ، فالثابت أن بيروت من أقدم بلاد الله بنا وعمرانها ، وهي مدينة فينيقية قديمة أصبحت مستقلة حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وقد

-
- (١) معجم البلدان ، ص ٥٢٥ .
 - (٢) دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٤ ، ص ٣٩٦ .
 - (٣) المصدر نفسه ، ص ٣٩٦ .
 - (٤) انظر : الأب لويس شيخو ، تاريخ بيروت ، مجلة المشرق ، ج ٥ ، سنة ١٨٩٨ ، ص ٣٦ .
 - (٥) انظر : يوسف السواد ، تاريخ لبنان الحضاري ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٥١ ، وتاريخ بيروت ، مجلة المشرق ، ١٨٩٨ ، ص ٣٧ .

جنحت ملكة بيروت دائما الى السلم، فارتضت مهادنة الاقوياء، أي الفراهنة بمصر والملوك ببابل وآشور (العراق) وقد أدت لهم الجزية على أن يبقوا لها استقلالها الداخلي وحريتها في ممارسة دينها ومداولة مواردها، وقد عثر على أطلال في مدينة تل العمارنة قرب مدينة أسيوط يفهم منها أن بيروت كانت خاضعة لفرعون مصر، تنصره على أعدائه الشرقيين، وكانت لها تجارة واسعة ومكانة عسكرية في البر والبحر معا وتملك معدّات حربية ذات شأن .

ومرت على بيروت عهود تعاقب فيها عليها الاشوريون والاغريق والسلوقيون، وقد عرفت بيروت خلال ذلك ظلما وكبتا بسبب الحروب التي تابعت في المنطقة ومرور الجيوش المتحاربة ببيروت في طريقها الى ملاقات العدو (١) .

ومضت تلك المهدود وجاء الرومان فحكموا الشرق، وإذا لهم مظهر جديد في بيروت طبع بطابع العمران والعلم والمجتمع الراقي والازدهار، ولعل الأب لويس شيخو جامع تاريخ بيروت كان من أشهر المؤرخين اعجابا بالرومان وكان الرومان عرفوا مسا تستحقه بيروت من الرعاية وانها قابلة للترقي، فوجهوا اليها بنظرهم، وأخذوا يزينونها بالبنائات الضخمة المتنوعة (٢) . ولعل أعظم أثر معنوي تركه الحكم الروماني في بيروت هو مدرسة الفقه والحقوق والشرائع، وسبب هذه المدرسة اتجهت أنظار مثقفي الامبراطورية الرومانية كلها الى بيروت وصار التلاميذ يأتون اليها من جميع جهات آسيا وافريقيا ومن أوروبا أيضا (٣) .

ولكن الازدهار الروماني ببيروت لم يدم مع مباحجه ومفاته، فقد رافقه زلازل فادحة قضت على المدينة، فكان الزلزال الاول سنة ٣٣٤ م، ثم تابعت الزلازل في القرنين الميلاديين الخامس والسادس، وأنزلت بيروت أضرارا جسيمة أهمها

(١) انظر: روجي جميل، بيروت والجمهورية اللبنانية، بيروت، ص ١٤٩-١٥١، ومقالة يوسف ابراهيم يزبك، بيروت عاصمة لبنان، الهلال، ٧٤-١٢، ٩٤، سنة ١٩٧٤، ص ٢٥ .

(٢) انظر: بيروت والجمهورية اللبنانية، ص ١٤٩-١٥٢ .

(٣) تاريخ لبنان الحضاري، ص ٥١ .

انهيار مدرسة الحقوق العظيمة في الزلزال الدمار الذي قلب المدينة عاليها سافلها ولم يبق لها من أثر عام ٥٠١ م (١) .

وعاد الرخاء والرفاهية الى بيروت منذ أن بدأ الحكم الاسلامي ، فقد أتى يزيد بن أبي سفيان من دمشق لفتح جبل صيروت وصيدا ، وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها بيسر ، وأجلى كثيرا من أهلها ، ثم ان الروم البيزنطيين عادوا ففلبوا على هذه السواحل في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان فقصدهم معاوية ففتحها ثم أصلحها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع .

ولما فتح المسلمون بلاد الشام ، قسموها الى خمسة أجناد وجعلوا دمشق واحدا منها ، ثم قسموا الاجناد الى كور ورتبوا بيروت كورة تابعة لدمشق .

واستطاب بعض الامويين مناخ بيروت وسهجة بحرها وسهلها الاخضر ، فصاروا يرتادونها للنزهة ومنهم الوليد بن عبد الملك ، وشيّد معاوية أول خلفاء بني أمية السفن فيها ، واستخدمها في أول حملة بحرية ، ومذلك غدت بيروت ثغر دمشق وازدهرت بها الحياة العقلية سريعا وظهرت فيها طائفة من العلماء * والمحدثين (٢) .

وكانت الحروب المشؤومة المنعومة بالصليبية ، فجاءت بالهال على المشرق العربي وسجلت في تاريخ بيروت صفحات سوداء ، فعانت بيروت من كراولئك المتحاربين وفرّهم معاناة كبيرة ، فقد استولى عليها " بلدوين الاول " صاحب بيت المقدس بعد حصار دام شهرين ، وذلك عام ١١١٠ م ، واستعادها صلاح الدين عام ١١٩٧ لكنها

(١) انظر: دائرة المعارف الاسلامية ، ص ٣٩٧ وبيروت والجمهورية اللبنانية ، ص ١٥١ .

(٢) انظر: معجم البلدان ، ص ٢٧٥ ودائرة المعارف الاسلامية ، ص ٣٩٨ .

* من أشهر العلماء العرب الذين عاشوا في بيروت ونسبوا اليها :

الوليد بن مزيد العذري البيروتي ، وابنه ابو الفضل العباس بن الوليد ، ومحمد ابن عبد السلام بن أيوب البيروتي المعروف بمكحول الحافظ ، وأبو عمران موسى ابن عبد الرحيم البيروتي ، وعبد الحميد السلمي البيروتي .

(معجم البلدان ، ص ٢٦٥ والانساب ، ص ٣٩٠) .

سقطت ثانية في أيدي الصليبيين وظلّت في حوزتهم حتى عام ١٢٩١م (١) .

ولم يترك الشعراء هذه المرحلة دون أن يسجلوا بعض الاحداث ، فقد كتب
العماد الاصفهاني في مدح الملك الطاهر غازي بن يوسف صاحب حلب :
هم الملوك ذوو بأس ومكرمة ان سالموا آمنوا ، أو حاربوا خيفوا
أغناهم القدس عن قول الورى فتحت عكا وصيدا وبيروت وارسوف
جيش الفرنج اذا لاقى سوابقهم كأنه جبل بالرياح منسوف

ثم كان عهد المماليك ، وفيه كان الحكم فوضوا مضطربا كل الاضطراب قاسيا على
(بر الشام) تعست به بيروت من شدة تقلبهم في الرأي وتسرعهم في البطش .

وفي سنة ١٥١٦م غزا العثمانيون الشرق العربي ، وأبقوا بيروت ملحقة
بالشام ، لا يذكر لها شأن حتى احتلها ابراهيم باشا فتتفتت الصمداء وفي ذلك
العهد نشأ أول مجلس شورى في لبنان .

وفي سنة ١٨٤٠ أطلق الانجليز والنمساويون والعثمانيون القنابل على
المدينة لاخراج الجيش المصري منها ووقفوا (٢) .

وفي النصف الثاني من القرن الماضي بدأت النهضة ترتقي في بيروت ، فاعتبرت
بيروت المركز الثقافي والتجاري لجميع سكان سوريا ولبنان ، وكانت المدارس الارومنية
التبشيرية التي أنشئت بهذه المدينة سببا في نشر الثقافة الارومنية ، كما شجعت حركة
الطباعة بها ، وسهل الخط الحديدي الذي مذهب بين بيروت ودمشق عام ١٨٩٥ والعرفاء
الجديد الذي أنشئ عام ١٨٩٣ حركة التجارة التي تتلخص في تصدير الحرير
والمنسوجات والمواد الغذائية وأدوات الزينة (٤) .

(١) انظر: بيروت والجمهورية اللبنانية ، ص ١٥٢ ، ودائرة المعارف الاسلامية ، ص ٣٩٧ .

(٢) ديوان العماد الاصفهاني ، ص ٢٩٧ .

(٣) انظر: بيروت والجمهورية اللبنانية ، ص ١٥٣ ، ودائرة المعارف الاسلامية ، ص ٣٩٧ ،

وبيروت عاصمة لبنان ، الهلال ، ١٩٧٤ ، ص ٢٨ .

(٤) انظر: دائرة المعارف الاسلامية ، ص ٣٩٧ .

وبيروت اليوم هي عاصمة الجمهورية اللبنانية ، يزيد عدد سكانها على المليون نسمة ، وهم يقسمون من حيث العقيدة الدينية الى طوائف متعددة منها الاسلامية المنقسمة بدورها الى سنة وشيعة ودروز ، والمسيحية المتشعبة الى مارونية وارشوزكسية وكاثولوكية وروتستانتيه ولا تينية وسريانية .

وقد تقدمت بيروت في المجال الثقافي تقدما كبيرا ، حيث عرفت بكثرة مدارسها وجامعاتها وعلمائها ودور النشر فيها ، واعتبرت في هذا المجال من أغنى المدن في البلدان العربية ، كما تميّزت بكونها تتلاقى فيها مختلف النزعات السياسية والفكرية .

وتلعب بيروت دورا هاما في اقتصاد لبنان كله ، لأنها الميناء البحري التجاري الرئيسي في لبنان ، ومركز الاصطياف الاول ، ويركز معظم سكانها على الصناعات فني حين ينصرف قسم آخر منهم الى الزراعة^(١) . وقد تأثرت بيروت أخيرا بأحداثها المؤلمة التي أودت بجزء كبير من معالم الازدهار فيها .

(١) انظر: بيروت والجمهورية اللبنانية ، صص ١٤٢ - ١٤٨ ، وناظرة على العالم ، المركز الجغرافي ، عمان ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦٤ .

البصرة :-

وفيهما ثلاث لفات : فتح الباء وضمتها وكسرها وأفصحهن الفتح وهو المشهور،
والنسبة لها بصرى بكسر الباء وفتحها ولم يقولوه بالضم (١) .

وقد قيل في تسمية البصرة روايات كثيرة ، وقد أجمعت معظم هذه
الروايات على أنها سميت بالبصرة لأن فيها حجرا سودا ، أو لأن هذه
الحجارة رخوة تضرب الى البياض * . وقد أطلق على البصرة أكثر من

(١) النووى ، تهذيب الاسماء واللفات ، ج ١ ، القاهرة ، ص ٢٧ . ولسان
العرب ، ج ٤ ، ص ٦٥ .

* أشهر الروايات في تسمية البصرة :

- البصرة : حجارة الأرض الفليضة (الزيدى ، تاج العروس ، ج ١ ، الكويت ،
١٩٧٢ ، ص ٢٣) .
- البصرة هي الحجارة الرخوة تضرب الى البياض (البكرى ، معجم ما استعجم
من أسماء البلاد والمواضع ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ٢٥٤) .
- البصرة الحجر الابيض الرخو ، وأرض فلان بصرة بضم الصاد اذا كانت حرا
طينية (لسان العرب ، ص ٦٥) .
- سميت البصرة كذلك لأن الأرض التي شيدت عليها من الحجر الابيض
(دائرة المعارف الاسلامية ، ص ٦٦٩) .
- اسم البصرة مأخوذ من الحجارة السوداء ، وقيل لا بل الحجارة الرخوة
التي تضرب الى البياض (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ١١٧) .
- سميت بالبصرة للحجارة الفليضة البيضاء فيها (معجم البلدان ، ص ٤٣٠) .
- قيل ان سبب تسميتها بالبصرة هو أن عتبة بن غزوان كتب الى عمر بن الخطاب
ليستأذنه في تمصيرها فوصفها له بقوله : اني أرى أرضا كثيرة القضة فسي
طرف البر الى الريف ، ودونها منافع فيها ماء وفيها قصباء ، فقال عمر :
هذه أرض بصرة قريبة من العشارب والعرى والمحتطب (المصدر نفسه ، ص ٤٣٢) .
- البصرة : الأرض الفليضة ذات الحجارة الصلبة ، وقيل الأرض ذات الحصى
وقيل الحجارة الرخوة البيضاء ، وقال بعضهم تعريب بصر راء .
(المعلم بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، ج ٥ ، بيروت ، ص ٤٥٣) .

اسم خلال العصور التي مرت بها (١) .

تقع البصرة على الضفة الشرقية من شط العرب على بعد حوالي ٦٧ كلم من الخليج العربي، و ٥٠ كلم عن الحدود العراقية الكويتية، و ٤٩٥ كلم الى الجنوب الشرقي من بغداد (٢) .

ويكاد يكون الاجماع على أنها أسست سنة أربع عشرة للهجرة بعد معركة القادسية ،والفاية من تأسيسها واضحة وهي أن الخليفة عمر بن الخطاب قصد ببناء البصرة أن تكون مركزا للجيش الزاحف لبث الدعوة .

وكانت البصرة تسمى أرض الهند ،حتى أن الخليفة عمر بن الخطاب قال لعتبة بن غزوان : اني أريد أن أوجهك الى أرض الهند لتنع أهل تلك الجيرة من امداد اخوانهم على اخوانكم . واستنتاجا من هذا يتبين لنا بأن منطقة البصرة كان يسكنها قبل الفتح الاسلامي خليط من الناس منهم الفرس والزط والهنود، وان القائد الذي مّصرها هو عتبة بن غزوان ثم خلفه المغيرة بن شعبه (٣) ثم

(١) من أشهر الاسماء التي أطلقت على البصرة :

- البصرة بالتصغير .
 - تدمر والموتفة لأنها اوتفتت بأهلها في أول الدهر .
 - قبة الاسلام .
 - خزانة العرب .
 - الثغر الباسم .
 - الفيحاء .
 - المعجوز النجرا .
 - الرعنا - بسبب رطوبة هوائها وتقلبه لقربه من البحر .
- (تهذيب الاسماء واللفات، ص ٣٧، ومقالة عبد الجبار السامرائي ، البصرة بندقية الشرق ، مجلة الفيصل ، ٩٧٤-٩٩٤، سنة ٩٩٨٥، ص ٢١) .

(٢) سليمان فيضي ، البصرة المعظمى ، بغداد ، ١٩٦٥، ص ٦ .

(٣) انظر: حامد البازي ، البصرة في الفترة المظلمة ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ٨ ، وأحمد كمال زكي ، الحياة الادبية في البصرة ، دمشق ، ١٩٦١ ، ص ٢٣ .

أبو موسى الأشعري الذي شهدت البصرة في عهده تطورا كبيرا حيث استنوطن
أشراف العرب في التنطقة (١) .

في العهد الاموي زاد الاهتمام بالبصرة كثيرا لخطورة موقعها الاستراتيجي
ولكونها تربط بين سورية والحجاز وبين النهرين (دجلة والفرات) وفارس ولذلك
اتخذوها في بعض الأحيان مقراً لامارة العراق ، فازدهت بألوف التجار وأهل الصناعة
والمعارف ، وطار صيتها في الاقاصى حتى عظم شأنها ، وأصبحت من أعظم بلادر العروبة
والاسلام في عهدهم واشتهرت بالسعة وال عمران وكثرة الخيرات وظل السعد يخدم
البصرة حتى سماها العرب (خزانة العرب) . وكانت البصرة في هذا العهد مهدا
للعلم والفنون والآداب ومركزا للتجارة والصناعة ومجتمعاً لكبار العلماء والفقهائ
والفلاسفة والشعراء .

وعندما قامت دولة بني العباس سنة ١٣٢ هـ ، واتخذ أبو العباس السفاح مدينة
الكوفة مقراً له ، بعث في السنة ذاتها عساكره لاخذ البصرة من الامويين ، فانسلخت منهم
على يد القائد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بعد معركة دامت سبعة أيام ،
وقد بلغت البصرة أوج ازدهارها في عهد العباسيين وخاصة في عهد الخليفة
هارون الرشيد ، وصارت من أكبر مدن الاسلام ، وزادت عمارتها وكثرت ثرواتها . على
أن البصرة قد عانت خلال هذه الفترة من نكبات كثيرة كان أشهرها نكبة الزنج سنة
٢٥٥ - ٢٥٧ ، واحتلال قرامطة البحرين لها (٢) .

وقد وقف بعض الشعراء في قصائد هم على البصرة ، ورثوها بأبيات جميلة
صوّروا فيها الجرائم البشعة التي قام بها الزنوج والحال التي آلت اليها البصرة
بعد ثورة الزنج ، ومن أشهر هؤلاء الشعراء ابن الرومي وأبو ناظرة السدوسي
وغيرهم .

(١) معجم البلدان ، ص ٤٣٣ .

(٢) انظر: علي ظريف الأعظمي ، مختصر تاريخ البصرة ، بغداد ، ١٩٢٧ ، ص ٥-١٠ ،
ودائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثالث ، ص ٦٦٩ - ٦٧٢ .

يقول ابو ناظرة السدوسي في احدى قصائده يرثي البصرة بكلام موجع وعاطفة صادقة :

نعت أرضنا الدنيا ألينا وأدبرت	بكى نعيم في الحياة وطيب
وما كانت الدنيا سوى البلد الذي	خلا اليوم من دأح به ومجيب
إذا الدمع لم يسعد كئيبا فأنني	سأبكي وأبكي الدهر ككئيب
على دمن جرت بها الريح بعدنا	ذيول البلى من شأل وجنوب
وما كد بصرى شكا بمغنى	ولا كد بصرى بكى بمعيب
فيا بصر كم من هالك مات حسرة	عليك ومن صب اليك طروب
عليك سلام الله منا فأننا	نرى العيين الآ فيك غير حبيب (١)

بعد أن ضعفت الدولة العباسية بدأت البصرة بالانحطاط وخاصة في عهد بني بويه وأيام السلاجقة ، ثم توالى النكبات على البصرة ، فأغار عليها الخوارج حتى اضطر من بقي من أهلها الى الهجرة ، فتركت وخربت عام ٧٠١ هـ عن آخرها ، وكان سبب خرابها ظلم الولاة واستبدادهم بها وهجمات الاعداء عليها .

وفي عهد الاتراك استطاع (أفراسياب) أن يكون أسرة مستقلة بالبصرة وفي عهد تلك الأسرة وتحت حمايتها فتحت البصرة ميناءها للتجارة الأوروبية وظلت البصرة بيد الترك ما عدا الفترة التي احتلها محمد علي باشا عام ١٨٢٢ - ١٨٤٠ م .

لقد عانت البصرة في عهد السلطنة العثمانية من التأخر والجهل طويلا ، وقد لاقى أهل البصرة صنوب الاضطهاد والتعسف على أيدي الحكام العثمانيين وتعرضت البصرة في هذا العهد الى غزو فارس مرارا وتكرارا ثم استعادها العثمانيون .

في أواخر الحكم العثماني أولت (بريطانيا) البصرة اهتماما خاصا لأهميتها الاستراتيجية وقربها من الهند وموقعها الجغرافي المتاخم (لعمادان) . وانتهت تلك

(١) السرد ، التعازي والعراسي ، دمشق ، ١٩٧٦ ، ص ٢٨٢ .

الاطماع أخيرا باحتلال البصرة سنة ١٩١٥ تمهيدا لاحتلال العراق كله فيما بعد (١).

لقد قطعت البصرة خلال هذه العصور شوطا بعيدا في الحضارة والرقى ولا سيما في أيام العباسيين ، فأصبحت ذات تجارة واسعة وفنى عظيم ، فامتلات متاجرها بالبضائع النفيسة ، اذ أنها تهبأت مركزا وسطا بين العراق وبلاد الخليج ومن طريق التجارة بين اوروا وبين الهند والصين من جهة أخرى ، وانتعشت فيها الزراعة فصارت تصدّر الفائض من الغلال الى الاقطار الاخرى ،

والى جانب هذه الحضارة العظيمة فقد ارتفعت منزلة البصرة الادبية والعلمية فحوت العلماء والفقهاء والادباء وطلاب العلم الذين أقبلوا على مدارسها ومعاهدها ومساجدها من كل حدب وصوب ، وقيد أن الأمن أمر أن يحصى من كان في البصرة من المدرسين فاذا بهم ٧٠٠ مدرس ، وما كان قد ألف بها من تأليف الفقه والادب والعلوم الاخرى خلال عشرين عاما فاذا بها تزيد على مائتي ألف مجلد أمر بنقلها الى بغداد فحملتها ثلاث سفن (٢) .

وقد نبغ في البصرة عدد كبير من علماء المسلمين وفقائهم من طبعوا بطابع التحريض والنقد وأولعوا بالمنطق في معالجة مسائل النحو والتحقيق في رواية الشعر والبحث والنظر في الحديث (٣) ومن أشهر علمائها وفحولها في عصر ازدهارها الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وأبو الاسود الدؤلي ، والجاحظ ، والحريزي ، وواحد بن عطاء وابن سيرين ، وابن المقفع ، والأصمعي ، والفرزدق ، وأبو هلال المسكري ، وروبة بن الحجاج والمبرد ، وابن دريد ، واسحق بن حنين وغيرهم * (٤)

(١) انظر: مختصر تاريخ البصرة ، ص ٥-١٠ ، ودائرة المعارف الاسلامية ، ص ٦٢١ .

(٢) انظر: البصرة العظمى ، ص ٦ .

(٣) الحياة الادبية في البصرة ، ص ٩٥ .

(٤) البصرة العظمى ، ص ٧ .

* من علماء البصرة أيضا :

ابو عبيد ممر بن المثنى ، ابو نواس الشاعر ، القاضي أبو وائلة اياس ابو الحسن علي بن محمد الجاودي ، ابن عبدك ، المازني ، محمد بن عبد الرحمن بن جبير ، وابراهيم بن يحيى اليزيدي .

واشتهر من محلاتها المريد* الذي هو سوقها الرئيسية أيضا ، وكانت تجرى فيه مساجلات الشعراء* ومناظرات الادباء* ومجالس الخطباء* ، وقد كان لهذه السوق شأن عظيم في نشأة علوم اللغة والمعاجم والعروض ، كما اشتهرت البصرة بكثرة مكباتها وأهمها دار الكتب للقاضي أبي الفرج ودار الكتب التي انشئت قبيل زمن عضد الدولة بن هوية ، ودار الكتب التي أنشأها الوزير ابو منظور بن شاه مردان ، وقد آت مصير هذه المكبات جميعا الى النهب والحرق على يد أعراب الاحصاء سنة ٤٨٣ هـ (١) .

وقد بلغ من عظمة هذه المدينة أن ياقوت الحموي وصفها بالبصرة العظمى ، وقال الاصمعي : جنان الدنيا ثلاث : غوطة دمشق ونهر بلخ ونهر الابلية (٢) .

وقد قيد شعر كثير في التفنن بجمال البصرة وحسنها ، فقد قال ابن ابي عيينة المهلبى :

يا جنة فاقت الجنان فما	يعدلها قيمة ولا ثمن
الفيثها فاتخذتها وطنا	ان فؤادى لثلثها وطن
زوج حيتانها الضباب بها	فهذه كنة وذا ختن (٣) .

(١) البصرة العظمى ، ص ٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨ .

(٣) معجم البلدان ، ص ٤٣٦ .

* كان المريد في عصر الخلفاء الراشدين والامويين مركزا سياسيا وأديبيا نزلت فيه عائشة أم المؤمنين بعد مقتل عثمان تطالب بدمه وتؤلب الناس على علي ، وكان المريد مركزا للمهاجاة بين جرير والفرزدق والاختن ، فانتج ذلك نوعا من أقوى الشعر الهجائي الذي نقرأه في النقائص .

واستمر المريد في العصر العباسي ولكنه كان يؤدى غرضا آخر غير الذى يؤدى به في العصر الاموي ، ذلك ان العصية القبلية ضعفت في العصر العباسي بمهاجمة الفرس للمرب ، وأحسن العرب بما هم فيه من خطر ، لكنهم لم يستطيعوا المقاومة ، ففوز الفرس وغلبوا العرب على أمرهم وبدأ الناس في المدن كالبصرة يحيون حياة اجتماعية هي اقرب الى حياة الفرس منها الى حياة الاعراب ، وظهرت العلوم تزاما مع الادب والشعر ، ونشأ اللحن بين الموالي ، فتحول المريد يؤدى غرضا يتفنى وهذه الحياة الجديدة ، وهكذا أصبح المريد غرضا يقصده الشعراء لا ليتهاجروا ولكن ليأخذوا عن أعراب المريد الطلعة الشعرية .

(احمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٨٠) .

وقال يتشوق الى البصرة :

فان أشك من ليلي بهرجان طوله فقد كنت أشكومنه بالبصرة القصر
فيا نفس قد بدلت بوئسا بنعمة ويا عين قد بدلت من قرّة عـجـر
ويا حبذاك السائلي فيم فكرتي وهتي ، ألا في البصرة الهم والفكر (١)

وأما أهلها فقد اشتهروا من قديم بالتطوح في الافان والترامي على الأسفار البعيدة
والضرب في مناكب الأرض طلبا للرزق والتماسا للثراء ، وحذق البصريون الزراعة وعكفوا
عليها وجودها واختصوا بمعرفة النخيل* وضرومه وأصون غرسه (٢) .

وعرف أهل البصرة بثقوى الله وورعه وكان ابن أبي ليلى يقول : (ما رأيت بلدا
أبكر الى ذكر الله من أهل البصرة) (٣) .

والبصرة اليوم مدينة ضخمة تتخللها شوارع فسيحة ، وتقطعها حدائق واسعة
وتخترقها الأنهار والقنوات ، مساحتها ١٦٥٠٠٠ ميل مربع ، وعدد سكانها يتجاوز
المليون نسمة بين مسلمين ونصارى ويهود .

وهي تقسم الى ثلاث مناطق سكنية هي : البصرة ، والعشار ، والمعل . ومدينة
البصرة الحديثة وسط حزام من النخيل ، ويصلها بشط العرب القناة المعروفة بـ " نهر
العشار " .

وتلعب البصرة اليوم دورا هاما في اقتصاد العراق كله ، فهي ميناء العراق
ومنفذه على البحر ، وكان العراق قبل الحرب مع ايران يصدر منتجاته عن طريق ميناء*

(١) معجم البلدان ، ص ٤٣٧ .

(٢) البصرة العظمى ، ص ٨ .

(٣) معجم البلدان ، ص ٤٣٨ .

* ما قيل في نخل البصرة : قال الأصمعي : سمعت انرشيد يقول : نظرنا فانا
كن ذهب وفضة على وجه الأرض لا يطلع من نخل البصرة .

(البصرة العظمى ، ص ٧) .

البصرة الى جميع أنحاء العالم ، وكان يستقبل السلع التي يحتاجها من مختلف دول الشرق والغرب ، ولعل من أهم المراكز الحضارية في البصرة اليوم جامعة البصرة ، ومركز دراسات الخليج العربي ، ومتحف التاريخ الطبيعي ، ومركز علوم البحار والقبلة الساوية وغيرها من المراكز الحضارية الأخرى (١) .

(١) انظر: البصرة المعظمى ، ص ١٥ ، ودائرة المعارف ، ص ٤٥٣ .

الفصل الأول

أنحاء المدن العربية المقاتلة في الشعر الحديث

يتناول هذا الفصل دراسة موسعة لأهم الأبعاد التي مثلتها المدن المقاتلة الثلاث (القدس ، بيروت ، البصرة) في قصائد الشعراء العرب . وقد تبين لي من خلال هذه الدراسة أن القدس قد حظيت بهمد ديني واضح في جدّ القصائد المقاتلة ، وأن هذا الهمد قد برز واضحا ضمن حديث الشعراء عن أكثر من قضية تخص هذه المدينة ، حيث نجد ذلك ضمن تغنيهم بمكانة القدس الدينية ، وأساهم وحزنهم لحال المقدسات الإسلامية والمسيحية هناك ، ثم تذكيرهم بتاريخ القدس الإسلامي الزاهر ، وأخيرا من خلال تأكيدهم على الحب والانتما للقدس كدينونة ذات مكانة كبيرة عند كل الشعوب العربية .

أما مدينة بيروت فقد أخذت بعدا سياسيا واضحا في قصائد الشعراء العرب ، وقد برز هذا الهمد جليا من خلال حديث الشعراء عن الاقتتان في بيروت ؛ أسبابه ونتائجه ، ومن خلال تركيزهم على قضية الانفتاح كنتيجة من النتائج السلبية ، ثم من خلال رثائهم للمعالم الثقافية والجمالية في بيروت كنتيجة سلبية أيضا من نتائج السياسة اللبنانية هناك .

وقد لاحظت أن بعض الشعراء العرب قد أعطوا بيروت اهتماما كبيرا من خلال تأكيدهم على حبها والانتما إليها رغم كل الظروف المحيطة بها ، وقد دفعني هذا لأن أفرق بعداً خاصاً لهذا الحديث هو الهمد القومي .

أما البصرة فقد نالت بعدا قوميا واضحا ، جاء ضمن حديث الشعراء عن مواقف البصرة المشرقة في الدفاع عن الوطن العربي ، ثم من خلال تأكيدهم على دور العبد الشعري في جمع شمل الأمة ، وأخيرا من خلال التذكير بالدور الثقافي التاريخي لهذه المدينة الذي هو بمثابة فخر واعتزاز لكل أبناء العربية .

القدس

الهد الديني :

لعل المتتبع لتاريخ القدس يلاحظ أنه من مدينة في تاريخ العالم تمتعت بقدسية دائمة مثل مدينة القدس ، ولعل هذه الأهمية الدينية كانت من أبرز العوامل التي ساعدت على بقاء القدس قائمة في هذا الوجود ، متصدرة طليعة المدن والبلدان على الرغم من أنها كانت مطعماً للفزاة والقاتحين منذ قديم الزمان .

وقد ظلت القدس محط أنظار المسلمين والمسيحيين في جميع أنحاء الأرض ، يأتونها من كل حدب وصوب مؤكدين أنها المحج ورمز الطهارة والقداسة بالنسبة للجميع .

وحينما احتلت إسرائيل هذه المدينة ، وبدأت بممارساتها الصهيونية البشعة الهادفة إلى طمس المعالم الدينية هناك ، أدرك الجميع حقيقة الخطر الصهيوني المحيط بهذه المقدسات ، وطالبوا بوضع حد لها . وكان من بين هؤلاء مجموعة كبيرة من الشعراء العرب كتبوا من كل اقطار العربية يصورون الجرائم البشعة التي ارتكبتها الصهاينة بحق هذه المقدسات ، ويطالبون الأمة العربية بالوقوف في وجه الظفالة الظالمين من أجل المحافظة على قدسية هذه المدينة ، وقد جاءت قصائدهم اسلامية في طابعها ركز الشعراء القول فيها على الأهمية الدينية لهذه المدينة وفصلوا في الحديث عن الأماكن الدينية هناك ، على أنه لا بد من الإشارة إلى أن شعراء فلسطين لم يركزوا كثيراً على ذكر الأماكن الدينية في قصائدهم ، وهذا راجع في رأيي إلى أن نظرهم أكثر رحابة وأفكارهم أكثر انطلاقة ، فالحق أن القضية ليست قضية المسجد الأقصى أو كنيسة القيامة بقدر ما هي قضية الأرض ذاتها التي يقوم فوقها هذان الأثران الدينيان .

وقد جاء حديثا الشعراء ضمن هذا الاتجاه في عدة محاور أهمها :-

١- التغني بمكانة القدس الدينية :-

فقد خص الله تبارك وتعالى القدس بمنزلة عظيمة ، وباركها على كل بقاع الأرض
بعد مكة والمدينة ، فهي مهد الرسالات السماوية وهي أولى القبلتين ، وسرى الرسول
محمد صلى الله عليه وسلم ، ووطن آثار الأنبياء ، ومقر الأئمة والمحدثين .

وقد تغنى الشعراء وتفاخروا بهذه المعالم الدينية العظيمة ، ووقفوا فني
قصائد هم عند بعضها وفصلوا القول فيها ، ولعل هذا راجع الى الشعور الديني العميق
عند بعض الشعراء من رأوا أن القدس تمثل تراثا دينيا عميقا لا تمثله أى مدينة فني
العالم .

وقد كان هؤلاء الشعراء في تغنيهم أكثر تفاؤلا حيث أكدوا على أن القدس
ستظل مهد الديانات السماوية ، وأن المحاولات الصهيونية المستمرة لتغيير معالمها
لن تزيد الأمة إلا صرامة وبأسا ، ولن تنال من المقدسات شيئا ما دام في الأمة دم
يجرى في العروق .

الشاعر عبد الله السعيد يؤكد على أنه ما من مدينة وعلى مر التاريخ قد شهدت
المكانة الدينية التي شهدتها القدس ، فهي مهد الديانات السماوية التي أنجبت رسلا
هداة معلمين ، وهي أرض الاسراء والمعراج ، وأرض الطهارة والبركة باركها الله عز
وجل وجعلها قبلة أولى لكل المسلمين :-

للناس في كل الدن منها بدا
عيسى المسيح وأمه ومحمدا
الصخرة العظمى بسرى أحمد
رسلا هداة علّموا الناس الهدى

حيّوا معي القدس الحبيبة فالهدى
حيّوا معي القدس الحبيبة قد رأت
حيّوا معي القدس الشريف بها نرى
مهد الديانات التي قد أنجبت

نشروا العدالة في ربوع الأرض ما منهم رسول راعه جند العدا (١)
وهو في جزء آخر من القصيدة يفصل القوم في المكانة الدينية للصخرة المشرفة ويذكر أهم
فضائلها حيث عرج منها النبي صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلا ، وهي سيادة
الصخور ، منها سينادي العنادي يوم القيامة .

أما قصة الاسراء والمعراج فقد اعتبرت حدثاً هاماً في تاريخ هذه المدينة،
تجلت فيه القدرة الالهية والمكانة الدينية للمسجد الأقصى ، ولحمود الشاهد أبيات
يرى فيها أن ليلة الاسراء كانت بمثابة النور الساطع في هذا الكون وأن الله تبارك وتعالى
قد شرف المسجد الأقصى وباركه بهذا الحدث العظيم :-

يا قدر أبواب السماء تفتح	وتطلعت في لهفة وحنان
سبحان من أسرى بطنه عبده	في ليلة ضاءت على الأكوان
أسرى به الروح الأمين برحلة	فيها تجلت قدرة الديان
للمسجد الأقصى أهلاً بركبه	من مكة فتعانق الحرمان
الله شرفه وبارك حوله	في محكم التنزيل في القرآن
من قو صخرته تسامى للعلى	طويت مسافات بيض ثواني
ولجنة المأوى تناهى وارتقى	يا هوله ما تبصر العينان
فلقد رأى الآيات يعجز وصفها	ما نالها بشر من الانسان (٢)

ثم يشير الشاعر ناهض الرأس إلى هذه الحادثة مؤكداً أن الله قد خص القدس
بهذه النزلة وباركها دون غيرها بمقدرة الهية فائقة :-

اليها تناهى الطهر والبشر والتقوى	وباركها في الوحي من أنزل الوحي
عشية أسرى بالنبي وفتح	من القدس أبواب ليرقى لها رقى

(١) عبد الله عبد الرازق السعيد ، ديوان حبيتي القدس ، الزرقاء ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦ .

(٢) محمود الشاهد ، يا قدس ، الدوحة ، ع ١١٣ - ١١٦ ، ع ١١٦ ، سنة ١٠١٥ ، ١٩٨٥ ، ص ٧٤ .

وربك أدرى حيث يفتح بابــــــــــــــــــــه
معالم كالأحلام لم يتطابق علىـــــــــــــــــ

ويعلم أى الأرض اطهرها أيتـــــــــــــــــا
مشيل لها جفن ولا حلقــــــــــــــــت رؤــــــــــــــــيا (1)

ثم يفاخر الشاعر يوسف حنا بمكانة القدس الدينية حيث القبلة الأولى وأرض الاسـمـرا
والمعراج، ويرد على اليهود ادّعاءاتهم الباطلة والمزعومة بحقوقهم فيها، مؤكداً على أن
القدس ستظل مركز الطهر والعصاة :-

يا قدس أول ما تنزل آية
كنت الأثرية باصطفائك قبلية
زعموك في التوراة أرض ميعادهم
سرى الرسول اليك أبطل وعدهم
سرى الرسول عدتك أطماع العدى
ردد على الآفاق آيات الهدى
جاورت فاخترت الحفاظ وجاوروا

تدعو لوحدا نية الفتحاح
أولى لذكر الواحد المنّاح
فمحا المزاعم في المنزل ماحي
وأعزّ بالاسلام ركن صلاح
لا زلت للأذان رجع فلاح
قدسية الاسماء والا صباح
فالتاث كنه محرم ومباح (٢)

وتتعالى صيحات التفني بالقدس الشريف من المغرب العربي ، حيث يفاخر شعراء المغرب بمكانة القدس الدينية ويؤكدون على أنها ستظل بلد المعجزات والرمل العظام رغم كل المؤامرات المحاكة ضدها :-

الشاعر محمد العلي يؤكد على أن القدس ستظل على الدوام فيضا من التكبير والتهليل وأن الله عز وجل سيحمي كل ركن من أركانها مهما حاول الظالمون العبث بها :-

يا قدس ، يا مهد السلام
سرى الرسول ، وقبله
يا جنة الزيتون ، يا
مهما يطر كثر الزمان

(١) ناهض الرئيس، القدس، الدوحة، ع٧٣-٧٦، ع٧٤، سنة ١٩٨٢، ص ٣٥.

(٢) يوسف حنا، يا قدس، أفكار، ١٦ع، ١٨ - ١٦ع، ١٩٧٢/١٩٧٣، ص ٢٨.

فيض من التكبير والـ تهليل يعبق بالهيام
في حضرة الله السهيـ من ، من تفضل بالسلام! (١)

ثم يبعث الشاعر محمد الحلوى بتحياته الى القدس بلد الطهر ومهد الرسالات
ولتلقى الأنبياء، جازما على أن القدس كانت وستظل بلد المعجزات الكبار وموطن الجمال،
وأن كلمة الحق والايمان (الله أكبر) ستظل عالية مرتفعة في فضاها الطيب :-

سلام على ملتقى الأنبياء ومولد عيسى ومصرى النبي
يمسح فون رباها الحمام ويسبح في عطرها الطيب
منائرها الزهر فوق القباب ، عرائس تختال في موكب! (٢)

(١) محمد بن محمد العلي، يا قدس ، دعوة الحق ، ٥٤ ، ٧ - ٨ ، ٧٤ ، سنة ٢١ ،

١٩٨٠ ، ص ٨٤ .

(٢) محمد الحلوى ، سلام على القدس ، دعوة الحق ، ٥٤ ، سنة ٢٢ ، ١٩٨١ ، ص ١١٨ .

٢- الأسى لحال المقدسات الاسلامية والمسيحية :-

لقد أدركت اسرائيل النتائج المترتبة على الاساءة للمعالم والمراكز الدينية في القدس ، فعاشت فيها فسادا ، وشوهت صورتها الحقيقية وطمست معالمها الدينية كاملة ، فلم تعد القدس مدينة الشمر التي لا تغيب ، فقد عمّ الخوف ساجدها ، وقتل الصمت أجراس كنائسها ، وهدمت أسوارها وخيم السواد والحداد على منائرها ، ففقدت ذاك الجمال والرونق وذوت زهرة جميلة دون أن تجد من يأسى لحالها ويسعى لخلاصها ، فما لعرب في خصام دائم واسرائيل تسعى بكل الوسائل لارساء قواعد هيكلها المزعوم .

وقد وقف الشعراء عند هذه القضية فأظهروا الحزن والألم من خلال المقارنة بين حال المقدسات اليوم وحالها بالأمس ، وعلموا على الأمة تخاذلها وتفرق صفوفها ودعوا الى وقفة صادقة لتخليص المقدسات ما هي عليه .

الشاعر بدوي الجبل يأسى في قصيدته " من وحي الهزيمة " للحال الذي وصلت اليه القدس ، حيث عمّ الذل واستبيحت الديار وعمّ الحداد كل الديار الاسلامية فقد ضيع كل ما بناء الأولون وتحول فرح المسلمين الى عويل مستديم ، وماتت في الناس روح النخوة والحمية فطوى القرآن الكريم ولم يجهر بالاذان :-

هل درت عدن أن مسجدها الأقصى	كان من أهله مهجور
لم يرتل قرآن أحمد فيـــــــــــــــــه	ويزار المبكى ويتلى الزبور
طوى المصحف الكريم وراحــــــــــــــــت	تتشاكى آياته والسطور
تستبي المدن والقرى هاتفــــــــــــــــات	أين . . أين الرشيد والنصور
يا لذلّ الاسلام : لا الجمعة الزهــــــــــــــــر	را ، نعمى ، ولا الاذان جهير
كلّ دنيا للمسلمين مناحــــــــــــــــات	وويل لأهلها وشبور
ليست مكة الســــــــــــــــواد وأبكت	شهد المرتضى ودك الطور

ويستمر الشاعر على هذا النحو في بقية قصيدته ، ونحس بالدفع حين نقرأ الأبيات

التي يقرّ فيها أن المسلمين والمسيحيين همهم واحد ومصائبهم واحد وأن القرآن والانجيل قد فقدوا معاً :-

أين آي القرآن تتلى على الجمع	وأين التهليل والتكبير
أين آي الانجيل فاح من الانجيل	عطر وضوء الكون نور
النصارى والمسلمون أسارى	وحبيب الى الأسير الأسير
يا لذن الاسلام والقدس نهيب	هتكت أرضه فأين الغيور (١)

ثم يعبر الشاعر حيدر محمود عن حزنه العميق لما حل بالقدس فيجعلها كالزهرة التي تذوى دون أن تجد من ينهش بها ، ويعيب على الأمة خصامها وتفرقها ، ويجعل من هذا الخصام سبباً في ارساء قواعد الهيكل المزعوم وتثبيت أقدام اليهود :

هي القدس مفتاح السماء وبابها	ومنها الى الرحمن تفضي شعابها
أحدن فيها . . لا أراها ، وانما	أرى (زهرة الزهرات) يذوى شبابها
واسأل عن (سرى الرسون) دروها	فترد مخنوقاً ، التي جوابها !
(هنا كان !) من عشرين عاماً وأطبقت	عليه (يهود) فاستوى فيها نابها
(وهيكلها المزعوم) . . قام مقامه	وصار كتاب العالمين . . (كتابها)
ونحن (بني الاسلام) أشلاء أمة	تداس بأقدام الفزاة . . رقابها (٢)

ويجعلن الشاعر ماهر الكنعاني المصاب واحداً عند المسلمين والمسيحيين حيث عمّ البدر المحراب والقيامة معا ، ففقد السلام وخيم السواد والحداد عليهم ، ونقدت التسابيح ومشت البوضة في حماهم . ثم يربط الشاعر بين حال القدس اليوم وبين عزها وتاريخها المشرق في الماضي ويتساءل عن أشادوا عزها طالباً أن يكون في تاريخ هذه الديانة عبرة لنا في الوقت الحاضر .

(١) محمد سليمان الأحمد (بدوى الجبل) ، من وحي الهزيمة ، القدس الشريف ،

ع ١٠ - ١٥ ، ١٥٤ ، ١٩٨٦ ، ص ٣٤ .

(٢) حيدر محمود ، هي القدس ، هدى الاسلام ، ع ٥٥ ، مجلد ٣١ ، ١٩٨٧ ، ص ٦٧ .

قالوا السلام فقلت ذلك قبـــــره
يتأوه (المحراب) من شجن بـــــه
يتساءل ان عن التسابيح الســـــتي
ما بالها اختنقت أ أخفت صوتها
واضيعة (البيتين) لا عيسى له
فلزمة البيت العتيق تفجـــــع
تمشي الوضاعة في حمى حرميها
هب ان خلف البحر بيتا أبيضـــــا
أين البيوت الخافقات على النـــــدى
أين الألى حملوا اللواء دـــــاوة
في القدس داست هامه الأجنـــــار
وعلى (القيامة) خيبة وســـــوار
فيها لأبواب السما معـــــار
طاغي الخوار أ للخوار وصـــــار
دفع ولا من أحد أحشـــــار
ولبيت لحم كابة وحـــــداد
عجبا اما عا ذخرن يـــــذار
فيه لكل رذيلة أسنـــــار
اعلاها ووعيدها المنـــــار
فيها الزعامات العجاف تشـــــار (١)

وتفقد القدس مكانتها شيئا فشيئا ، ومع مرّ الأيام تصبح قصة ولغزا محيـــــرا ،
تصبح عنوان مشكلة مزمنة ضمن أوراق متناثرة في مجلس الأمن ، فتفقد كنّ التواريخ وكل
البطولات وكلّ القداسات ، وأمام هذا الواقع يجد الشاعر عبد الله العتيبي نفسه خجلا
غير قادر على التعبير عن هذا الوضع لأن في الاجابة عارا ، يجلس جبين كن عربي يؤمن
بأهمية القضية ومكانتها :-

عن القدس تسألني الأزمنة
وكلّ المسافات والأمكنـــــة
وكنّ المساجد ، كل السائر كنّ القباب التي لفها اليتم
..... يا للسؤال الذي يطفئ * العمر في لجة الانكسار
عن القدس ماذا أقـــــو ؟

إذا سألتني النجوم التي كبرت في السماء لأحمد في ليل مسراه
يا للسؤال الذي يطفئ * العمر في لجة الانكسار

(١) نعمان ماهر الكنعاني ، نشيد الثأر ، الأعلام ، ع ٩ - ١٢ ، ١٤ ، سنة ٤ ،
١٩٦٨ ، ص ٥٤ .

عن القدس ماذا أقول ؟

إذا سألتني عنها الشمس . . الشموع التي أخرجت
للمسيح بن مريم في يوم ميلاده . . . وكلّ الدروب التي
شهدت رفعه للسموات

يا للسوا ان الذي يطفي* العمر في لجة الانكسار
أحكى لهم أن كل التواريخ . . كل البطولات . . كل القداشات
وكلّ الزمان الذي علّم الدهر معنى الخلود . . تحوّن في مجلس
الأسر بنداء . . . وعنوان مشكلة زمّنية (١)

ويترحم الشاعر وديع ديب على القدس ورسلكم الكرام ، ويدعوه أن تحلّ
رحمته بعد أن استفحل الشرّ والكذب والنفاق بين أهلها عهد أن أصبحت القدس
مطمعا لكل طاغية :-

يا قدس كم هام في مفناك سلطان	وحطمت دون هذا السورتيجان
حتام يطمع في مفناك طاغية	وتستبيحك أعجام وعربان
ان كان لله ما يدعون كلهـم	فكيف يظلم باسم الله انسان
أين ابن مريم في آيات رحمته	قالناس صمّ كما كانوا وعيان
وأين أحمد يدعو الخلق ثانية	لله قالا أرض أصنام وأوشان
رحماك ربي هل نور ومرحمـة	وهل بقلبي عهد الشك ايمان (٢)

ويعبّر الشاعر نزار قباني عن هذا الواقع المؤلم من خلال أبيات يظهر فيها
حزنه وألمه العميق للحال الذي وصلت له مدينة الأنبياء :-

بكيت . . حتى انتهت الدمـوع
صليت . . حتى ذابت الشمـوع

(١) عبد الله المعتيبي ، عن القدس ، البيان ، ع ١٨٢ - ١٨٥ ، ع ١٨٣ ، سنة ١٩٨١ ، ص ٣٩ .
(٢) وديع ديب ، ديوان قلب يقضي ، بيروت ، ١٩٥١ ، ص ٦٢ .

ركعت... حتى ملّني الركوع

سألت عن محمد...

فيك وعن يسوع...

يا قدس يا مدينة تفوح أنبياء

يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء (١)

ولعل أكثر ما يظهر هذه النزعة في شعر الشعراء وقوفهم عند حريق المسجد الأقصى وتناول هذا الموضوع بشي من التفصيل ، ففي الحادي والعشرين من شهر آب عام ألف وتسعمائة وستين أقدمت اسرائيل على اشعال النار في جزء كبير من المسجد الأقصى بقصد الاساءة للمسلمين في البلاد الاسلامية كلها ومقصد اقامة هيكلهم المزعوم مكانه ، وقد كان لهذا العمل الاجرامي صدى كبير في العالم العربي بأسره ، حيث أدرك الحكام والشعوب النوايا الحاقدة التي تبيتها اسرائيل للأمة العربية والمتعثلة في طمس كل المعالم الدينية في فلسطين من أجل القضاء على الهوية الاسلامية والمسيحية فيها .

وقد تناول الشعراء العرب هذه الحادثة بشي من القوة والشجاعة ، بينوا فيها الآثار المترتبة على حريق المسجد الأقصى ودعوا الأمة العربية الى تبني موقف رادع يرضي الله ويرضي كل الضائر العربية .

وقد كان على رأس هؤلاء الشعراء الشاعر محيي الدين الحاج عيسى الذي كتب قصيدة طويلة بعنوان (حريق المسجد الأقصى) فضح في بدايتها نوايا الصهاينة ، وبين أن جرائمهم عظمت واستشرى بهم الجشع ، وأن حريق المسجد الأقصى قد تم بعد تخطيط مسبق :-

(١) نزار قباني ، ديوان الأعمار السياسية الكاملة ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ١٦١ .

منه الجرائم واستشرى به الجشع
مستهترا ما له من وازع يـزرع
في القدس وهو يطبع الشر مندفع
يا غيرة الله تغشاه فلا تدع
به ذئاب على الافساد قد طعموا
فخيّب الله ما خطّوا وما وضعوا

ماذا يريد عدو الله ؟ قد عظمت
بالأمس قد سلب (العذراء) حليتها
وداس من حرّات الله أقد سهبا
واليوم تستهدف الأقصى أذيتة
البيت بيتك يا ربي فقد عبثت
تلك الأمانى قد خطّوا لها خططاً

ثم قصّ الشاعر الحديث في حريق المسجد الأقصى ورسم صورة لأهم أحداث هذا الحريق ،
حيث تظاهر اليهود بمساعدة المسلمين باطفاً الحريق علماً بأنهم كانوا يضرّون القدس
واللوم لهم ، كن ذلك بأسلوب قصصي واضح :-

غرّ كرام وأملاك بهيم ورع
آثار فن عليها قد غدا الجزع
وقبة النور بالنيران تلتفّع
الى الحريق الذى يذكو ويرتفع
لا ماء فيها وقالوا : الماء منقطع
على وجوههم واللوم والخدع
عصابة بثياب المكر تدرع
ودمعهم فوق ذاك الماء ينهمع
أم قد انقضّ يردى طفلها السبع
تأتي على البيت لا تبقي ولا تدع (١)

أتى الحريق على ما شاده سلف
تدمر الجانب الشرقي واحترقت
والمنبر القد قد زالت معالمه
والناس في القدس مذعورون قد هرعوا
مدّ اليهود خراطيماً مزيفّة
وأظهروا أسفاً والبشر مرتسم
ما يفعل الناس ؟ والأقصى تدّمّره
تناقلوا الماء من آبار ساحتهم
كأنهم حوله والنار تأكلهم
فأطفأوها وكان القدس يأمل أن

وقد كان حريق الأقصى دافعا لكثير من الشمرء للتعبير عما يجون في خاطرهم
من نقد ذاتي لأمة الأقصى ، ومن دعوة جادة الى الوحدة والقيادة المنقذة وتعدّد وتهديد
للذين دسّوا المقدسات الاسلاميّة .

(١) محي الدين الحاج عيسى ، حريق المسجد الأقصى ، الأديب ، بيروت ، ج ١١ ، سنة

فالشاعر علي عارف جعل من غفلة الأمة العربية وتناسيها سببا مباشرا فسي
ضياع القدس وحرق مقدساتها وفقدانها لتاريخها المشرق وقد تبتها السديمية :

والعرب سهارى سّار	المسجد تأكله النار
سنتين فأين الشوار؟	والقدس تدّثر حرمتيه
بالقدس يعانقها الأفس	والقبة كانت تأتلق
تدعو الحجاج (أن استبقوا)	وتشعّ النور على بلد
وتنوح عليها الأشعار	أست في ليل تحسّس
بدخان الحرق وينهار (٢)	والزخرف أسود يختنق

أما الشعيرة هيام الدردنجي فقد بكت حريق الأقصى وجعلت منه نذيرا بالشوم
على الأمة الإسلامية، ورجت الله أن يرزق الأمة المسلمة قيادة شجاعة تحو ظلال اليأس
وتحلّ بدلا منه الأمل بالنصر والمعودة :-

الى الاسلام بالشوم الرهيب	حريق المسجد الأقصى نذير
حريق في الشاعر والقلوب	حريق يا رفاقي في الروابي
صلاح الدين كالأسد الغضوب	الا من يمنح الاسلام رجلا
ظلال اليأس من أمن مخيب	يزيح العار عن أرضي ويمحو
غدا مستودع الاثم المريب	فعالنا الطلي بكـلّ داء
وليس لصيل حزني من نضوب (٢)	ومات الشرفي كد الروابي

ولكن وعلى الرغم من حريق الأقصى ، فان النار التي شبت في أستار قبته
لن تزيد الأمة العربية الآ نارا وغضا ، ولن تزعزع من عزيمة الأمة الصادقة شيئا ،
هذا ما أكدّه الشاعر محمد جواد فضل الله حين ندّد بالعمل الاجرامي البشع وبين

(١) علي عارف ، ديوان أبعاد ، تونس ، (١٩٧١) ، ص ١٣٨ .
(٢) هيام الدردنجي ، ديوان أغنيات للقمر ، ليبيا ، (١٩٧٣) ، ص ٣٩ .

أن هذا الحريق لن يزيد أمتنا الآقوة واصراراً وتصميها على الشار :-

ان شبت النار في أستار قبته	فن لظاها على أكبادنا نار
تحوم أرواحنا من حوله شغفا	ويقتدي به بذوب الأنفس الشار
سور له من ضحايانا سنحكاه	إذا تهاوت له بالفدر أسوار (١)

ويؤكد الشاعر أحمد القضاة أن حريق المسجد الأقصى كان عملاً مدبراً ، وان هدف الصهيونية من ذلك هو إقامة هيكلهم المزعوم بدلاً منه ، ثم يدعوا إلى القصاص من هؤلاء الأوغاد لأن الرواة العربية ترفض أعمالهم هذه :

حرقوك يا (أقصى) وهان لديهم	ما يتبع الاحراق من (غليان)
حرقوا المساجد كي يرمم (هيكل)	ويشاد صرح البغي والعدوان
وتقوم للعلاج الدخيل (دويلة)	في أرضنا العربية السكان
أين الرواة يا رجال وأين هم	أتباع أحمد في مدى الأزمان
جاسر اليهود د ياركم وتوطنوا	في أقدس الأقطار والبلدان (٢)

(١) محمد جواد فضل الله ، يا قدس ، العرفان ، ٧٤ ، سنة ٥٧ ، ١٩٦٩ ، ص ١٠١٣ .

(٢) أحمد حسن القضاة ، ديوان بشراك يا قدس ، عمان ، ١٩٨٠ ، ص ٩٥ .

٣- الدور التاريخي الاسلامي لمدينة القدس:-

عاشت القدس تاريخا مشرقا عريقا ، عرفت خلاله المجد والعظمة على يد أبطال سجلوا الانتصارات العظيمة ودحروا أعداءها الكبار وهبوا العالم بشجاعتهم .

فقد عاشت القدس عهد الفتح على يد الخليفة عمر بن الخطاب ، وعهد التحرير على يد القائد صلاح الدين ، كما عاشت عهد التطور والحضارة والبناء على يد خلفاء أيهمين وعباسيين سجلوا صفحة مشرقة في تاريخ هذه المدينة .

لقد ظلت القدس مدينة مشرقة عبر التاريخ ، شعارها المحبة والسلام، ثم ما لبثت أن بدأ نجمها بالانفول والسقوط نتيجة للمؤامرات العالمية المحاكة ضدها ، فقد تحولت في فترة قصيرة الى مدينة مزيفة أسيرة داسيتها أقدام اليهود ، وعشت بهيها ومعالمها الدينية .

وقد وقف الشعراء على هذا التاريخ العظيم وربطوا بين ماضي المدينة الساطع وبين البطولات الاسلامية الفذة ، كما تحسروا على تلك القيادات العظيمة وتمنوا وجودها لتخلص القدس من قبضة الاحتلال ، ولعلّ هؤلاء الشعراء أرادوا بطريقة غير مباشرة أن يسخروا من تخاذلنا العربي اليوم ليكون لنا عبرة من تاريخ أمتنا المجيد .

الشاعر علي الرياحي يأسي للتمزيق والخراب الذي حلّ بالقدس، ويذكر جزاء من التاريخ المشرق الذي عاشته المدينة والذي غدا حزمة من الأساطير بعد أن فقدت القدس أسدها العظام (ابن الخطاب وصلاح الدين) وبعد أن سيطر عليها الصهاينة وعاثوا في مقدّساتها خرابا ودمارا ، فلم تنهض الزعامات العربية ، بل تناسلت القدس ، فكانت صفحة العار الكبيرة التي لا زمت ولا تزان تلازم شعوبنا العربية فـي يومنا هذا :-

حنينا أبا الزهراء فالقدس أغريست وأقصاك جافاء النصير وأغريست

تجمع فيه كل طاع وفاسق
فلبت أبا حفص يرى ما بارشقه
فدا حزمه رث الأساطير مذ غدا
فلا الفتح مزهوا ولا الساح مشرق
وقد خلعت حطين أثواب يعرب
ويستصرخ الأقصى فلم يلق صاعيا
ولا مهد عيسى يلتقي من يجيره
فوارحة التاريخ هانت جباهنا
وشعبك في شتى الدروب تشعبا
ليعلم ما يلقي وما نان يعربا
وبانيه في نهجه من تنسبنا
وقد أعل التزيق فيه وخربنا
وهانت وما لاقت من العار مختبنا
ولا شاحذا عزما ولا ستوثبنا
وجافاه من صلى عليه وصلبنا
ونصر صلاح الدين عنا تغربنا (١)

ثم يذكر الشاعر محمود الشاهد بذلك الجزء المشرق من تاريخ هذه المدينة المقدسة وذلك حينما استطاع الخليفة عمر بن الخطاب تحريرها بعد أن تعرضت للغزوات المتعاقبة فترة طويلة من الزمن ، حيث أعطى ميثاق الأمان لكل سكانها ، الميثاق الذي لن يسجل التاريخ في صفحاته ميثاقا وعهدا مساويا له ، ويذكر أيضا بالتحرير العظيم الذي تم على يد صلاح الدين بعد أن دك صرح البقي وأزاا عهد الظلم والطغيان بالوحدة العظيمة التي استطاع أن يبنها على أساس المحبة والایمان :-

القدس والذكرى تطوف بخاطرى
والعادل الفاروق يفتح بابها
ويخط في سفر الخلود وثيقته
هن سجل التاريخ في صفحاته
لكنما التزيق ينخر صفنا
حتى يتيج الله جمع شتاتنا
يأتي صلاح الدين يصنع وحدة
نيدك صرح البقي من أركانها
وتقلب الأيام والحدشان
بمفتاح الأنصاف والاحسان
كانت لكل الناس عهد أمان
عهدا يساوي الكفر في الميزان
وتديقنا البغضاء طعم هوان
ويعود قلب الحب للخفقان
للعرب يبنها على الايمان
ويزين عهد الظلم والطغيان (٢)

(١) علي حمدان الرياحي ، رسالة الى أبي الزهراء ، الثقافة السورية ، دمشق ، ع ك ١ - حزيران ، ع آذار ، ١٩٧٨ ، ص ١٣ .

(٢) يا قدس ، الدوحة ، ١٩٨٥ ، ص ٧٤ .

والقدس عربية منذ فجر التاريخ ، بناها اليهوديون في عهد ملك صادق واحتلتها اليهود وزعموا حقهم فيها ، وهذا باطل بكل تأكيد ، ولعل القبور الموجودة فيها شاهد كبير على أصالتها العربية حيث قبر رابعة العدوية وشداد بن أوس وأبو عبد الله القرشي وذو الأصابع التميمي وفيروز الديلمي وغيرهم . هذا ما أكدّه الشاعر الشاعر عبد الله السعيد وهو يسرد تاريخ مدينة القدس بأسلوب قصصي واضح :

والقدس عرب قد بنوها قبس	لاف السنين وقيد أن يأتي العدا
واليهود ظلما قد دعوها أورشليم	ما ذا العمرى سنة لمن اعتدى
يوما سليمان أتاها بمعد	ف من سنين وهيكل قد شيدا
حقا سليمان نقول بأنفسه	ما كان الآ غازيا ومجسدا
فالقدس للعرب الذين بنوا بها	مجدا عتيذا شامخا ومخلدا
فيها قبور العرب منذ زمن ومن	قد راح يعبد ربه مترقا
قبر لرابعة وشداد بها	وكذلك القرشي فيها الحدا
وبها التميمي ذو الأصابع قد شوى	والديلمي وصحبه لا قوا السردى

ثم يتابع الشاعر سرد الأحداث فيبين كيف فتحها عمر بن الخطاب وكيف لاقت الازدهار الكبير في عهد معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان ونسليهما :

قد جاءها الفاروق ان صلى بها	قرب القيامة شاكرا متهجدا
للصخرة العظمى أتى عمرو وقعد	ذاقت كؤوس الهون من أيدي العدا
في عهد رومان كزيلة غدت	مكّته الفاروق كنس ما يسدا
وبنى بها الحرم المشرف خاشعا	مناه من خشب ليصبح مسجدا
فيها معاوية جميعا بايعوا	وله غدا الحسن الشريف مؤيدا
وأبو الوليد ونسله قد شيدوا	فيها البنى وماذا والمسجدا
فبنى الوليد المسجد الأقصى الذى	يزخارف رمزا بدعا قد غدا
وأبوه عبد ربهما ولقبسدة	للصخرة الفراء راح مشيدا

والقدس من أرضها صعد السيد ج الى السما من هول ما فعل العدا (١)

ويفاخر الشاعر محمد اسماعيل داود بهاضي القدس ، ويذكر أنها كانت فخرا لكل العرب ورمزا لعزتهم منذ أقدم العصور ، ذلك أن الأمة كانت تعيش في تلك الفترة عهد النخوة والحمية والمنعة ، مطلبها الأول والأخير هو نيل الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الدين . كما أنها كانت تضم بين صفوفها عددا كبيرا من القادة الأبطال من سجلوا صفحة بيضاء من صحائف العز والمجد لأمتهم أمثال خالد ومعتصم وصلاح الدين وغيرهم :-

يا قدس ، يا درة الاسلام ناصعة	سرى رسول الهدى ، المختار ، خير نبي
أنت الفخار لنا ، رمز لعزتنا	من غابر الدهر في سلم ومحترق
أيام كنا ، وأسياف الجهاد ، حمت	رايا لنا ، يعتلي في قمة الشهب
أيام (خالد) و (اليرموك) في وطني	أيام (حطين) عهد النصر والغلب
في عهد نخوتنا ، في كل نائبة	أيام (معتصم) في ثورة الغضب
أيام عزتنا ، في عهد هيبتنا	أيام دين لنا ، في عهد الذهب
والمسلمون بأرض الله مطلبهم	نيل الشهادة والاقدام عن رغيب (٢)

ثم يقارن الشاعر كان فوزي الشرايبي بين حال القدس أيام حطين وحالها اليوم ، فيبين كيف تحولت شمس القدس فحمة ، وكيف تحول الزمن المشرق الى غراب يملأ هياكل العبادة بنعيقه ، ولم يعد هناك صلاح الدين المنقذ المحرر :-

حطّ عند قبره وصلّى :
رأى ركوع الدهر في حطين
رأى السماء أعلى

(١) حبيتي القدس ، ص ٣٥ .
(٢) محمد اسماعيل داود ، يا قدس ، عمان ، ١٩٨٦ ، ص ٦٠ .

والشهب خطا - كلمه :
صلاح الدين
وعاد من صلاته
فأبصر الدنيا دما ينج في آهاته
والشمس فوق القدس فحمة
تغوص تحت الطين
موطنه جراد
تأكل حتى مهجة الحجر
موطنه سنجاب
يقرض حتى قشرة القمر :
والليل ألقى فوق منكبيه مشلح الابداء
والزمن الفسراب
ينمق في هياكل العبادة (١)

ويربط الشاعر الحسن الهزيمى بين ضياع الأندلس وضياع القدس ، فالأندلس
ذات الحضارة الرائعة والأيام الزاهية والخيرات الكثيرة تحولت في فترة قصيرة الى مدينة
عشها الذل والاطلام ، والقدس بعد تاريخها الشرق داستها أقدام اليهود وعشت بها
ومقدساتها :-

تضي القرون وأرضنا مفصومة	ود يارنا للفاصمين مقام
بالأسر أندلس يفيب هلالها	ويصيبها الاندلس والاطلام
كم كانت الأيام زاهية بها	منوا أمة هم لها اكمام
في حضنهم وجه الحضارة رائق	يزهوبه الأخوال والأعمام

(١) كان فوزى الشرايبي ، ديوان الحرية والبنادق ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ١٠٢ .

يد طارق بسطت لهم خيراتها
واليوم أقدام اليهود تدوسنا
القدس عار أن تضيع ربوعه
والمسجد الأقصى فداه نفوسنا

لكنهم ناموا فزال الجسام
وبهان في أوطانه الاسلام
ويهود في أبنائه العاخم
عبت اليهود به ونحن نيام (١)

(١) الحسن الهزيمى ، القدس عار أن تضيع ربوعه ، دعوة الحق ، ع ٥ ،
سنة ٢٢ ، ١٩٨١ ، ص ٣٠٩ .

٤- التأكيد على الحب والانتماء :-

لقد عشو الشعراء القدس ، أحبوها وحملوها جرحا سخيا في أعماق قلوبهم ، حفروا اسمها في الروح والشریان ، وشربوا من عطرها ، تعلموا منها عراك الزمان ومعنى الفرام ، انها درة الخالدين بالنسبة لهؤلاء الشعراء ، أحبوا جبالها وسهولها وهوائها وشوارعها وتفريد بلابلها ، كما أحبوا أهواياها وأقواسها ونقوشها وزخارفها وأعلنوا أنهم لن يسلموا للريح جناحهم حتى تولد الشمس فيها من جديد ، فهم سيقدّمون الدم والروح والثورة ، وسيقتلون الموت من الدروب وسيقتاتون بالأمل المرتجى حتى يعترفوا الهيوت والساجد .

وكما أحب الشعراء مدينتهم الأم ، واعتزوا بانتعائهم لها ، فقد أحبهم هي أيضا ، وأعلنت أنها تعزبهم ومصودهم ، وأن تراثهم المنقول عن أجدادهم باق برغم الفاصلين وانها تنتظر لحظة اللقاء بهم .

لقد وقفت عند هذا الموضوع طويلا ، وكنت أودّ أن أجعله مندرجا ضمن بعد خاص به وهو البعد القومي ، الا أنني معد دراسة فاحصة متأنية وجدت بأن البعد الديني فيه أبين وأظهر ، وتعليل ذلك أن القارى لهذه الأشعار يحس فيها بصدق الشاعر والمواطن ويقول : ما أشجى هذا اللفظ . . ما أظهر الفجيرة فيه فما دلالة هذه الفجيرة ، وما البعد الذي تحمله ؟ أليس لأن القدس مهوى أفئدة المسلمين وقبلتهم الأولى ؟ أليس لأن القدس مسرى نبيهم وموئل مقدساتهم .

وان قال قائل : ان تفني الشعراء بهذه المدينة لا ينفي الدلالة القومية لأشعارهم فيها . فاني أقول : نعم ، ولكن أليست مدن الخليل ونابلس وأريحا مدنا عربية مستباحة سلمية ، ألا تستحق هذه المدن قصيدة تعكس الروح القومية لقائلها ، فما معنى ان أن تقتصر قصائد الشعراء على مدينة القدس دون غيرها ؟ ليس لذلك من تفسير في حدود قناعتى سوى ترجيح البعد الديني على غيره مع عدم اغفال ما لها من مؤشرات قومية .

ولعل الشاعر هارون هاشم رشيد يقف في طليعة هؤلاء الشعراء العرب، فقد أكد هذا الشاعر في أكثر من قصيدة على حبه وعشقه لهذه المدينة، فهو في قصيدته (عربي - مقدسي) نجده يفاخر بأسلوب تعلوه الروح الحماسية بالانتباه لهذه المدينة ولهذه الأمة العريقة في التاريخ الضاربة في جذور الأرض :-

أجل اني من القـديـس	وفيهـا قد نما غرسـي
جذورى في عروق الصخر	في الصلد، وفي الطمس
ومن كنعان بي شمس	ومن عدنان، من قيس
من الماضي من الحاضر	من يومي، ومن أسـي
عريق المجد والأنساب	شدود الى الشمس
بها اختال في الدنيا	وأمشي رافع الرأس

ولأنه العاشق المتعلق بكل ذرة من ترابها، فهو يقدم دمه وماله ونفسه من أجلها، وهو قطعة منها برغم كل المخاطر المحيطة بها، يرفض ذلها ويؤسها ويؤكد على غدها المشـرى :-

أنا أعطيتها عـمـرى	فدا، أسكنتها حمـي
أنا غنيتها شمـرا	رفيع الوقع والجـرس
أنا منها وان غرقـت	ببحر الهم والبـؤس
أنا منها وان حطـت	عليها راية البـؤس
دمي هذا الذى يجـرى	لها متدفق البـس
أنا منها وأفديـها	أنا بالمال والتفـس
ولا أرضى لـها ذلـاً	لمحتـل ومنـدس (١)

(١) هارون هاشم رشيد، عربي مقدسي، الغيـص، ٣٢٤ - ٣٦،
٣٢٤، سنة ١٩٨٠، ص ١١٤.

والشاعر في موقع آخر نجده يجاهر بعشقه لهذه المدينة مؤكداً على أنه
أحب كل ذرة فيها ، سهولها وجبالها وطبورها ، انه العاشق المدنف المـزروع
فيها :-

أحبك يا قدس لا تسأليني	لماذا ، وكيف ، وماذا أحب
فاني حملتك جرحاً سخيها	بأعماق قلبي ، ونار تشب
أنا عاشق مدنف مستهام	أنا تائق ، ومشوق وصب
تدبين في ديباب الدما	فيخفق باسمك في الصدر قلب
أحب جبالك تسمو سموها	وتختال كبرا ، وتزهو وتصبو
أحبك خضراً قدسية	يطرز وجهك زهر وعشب
أحبك يا قدس هذا هو	الك كشلال نهـد يصب
أحب الشوارع أنى تلفت	أهل على جانبيها وصـب
وأهوى بلابلـك الشاريـات	تفرّد فالكون حلو ورحب
أحبك أوقد مصباح عمري	لتزهر سماً وتطـر سحـب
وعندك أترك روحي تـلـي	وتسعى الى قدميك وتحبو

وهو رغم كل الصعاب التي تجتاح المدينة ، سيظل الزيتون المنزرعة في
أرض القدس ، سيظل العاشق لها لأنها الأم التي علّته معنى الشجاعة والمحبة
في آن واحد :-

أيا قدس يا درة الخالدين	ويا وطننا يفتدى ويحب
أطير اليك صباحاً مساءً	وأحمل اسمك أنى أدب
أحبك مهما يمر الزمان	ويقلع في عاصف الريح ركـب
أغازل فيك الزهور	وأشرب من عطرها وأعـب
نشأت كما صخر المقدسي	فؤادى قوى وعمودى صلب
ترعرت زيتونة في ذراك	لها في عروقك جذر وخصب

تعلمت كيف يكون الغرام النقي ، وكيف يكون المحب (١)

ولأنه العاشق لمدينته فهو الملتزم بالدفاع عنها ، يقدم روحه ودمه من أجلها ومن أجل
سعادة أهلها ، يضحي دون أن يعرف اليأس طريقا الى قلبه :-

أنا في القدس ما زلت

أنا في القدس قاتلت

أنا والنار تأكلني

على جمراتها سمرت

أنا من أجلها شرت

وقدّمت وضّعت

أنا ما قلت :

" رب البيت يحميه " وسلمت

ولكنني تسمرت

هنا

ومهما يعصف المسوت

هنا

عن حرمة الاسلام

دافعت

وناضلت

أنا والله ما هنت

ولا يوما تخاذلت

وان كنت

أناجي الله في صمتي

لأجر كرامة الاسلام

(١) هارون هاشم رشيد ، يا قدس ، الدوحة ، ع ٤٥ - ٤٨ ، ع ٤٦ ، سنة ٤ ،

يرعد دائما صوتي
لعمد الله يسميني
ولومرة
لأجل المسجد الأقصى
الذي بارك والصخره
أنادي به
وأقول له
ولومرة ، ولومرة
وأعطي كل ما عندي
دمي ...
والروح ...
والثورة ... (١)

ومكلمات تغلب عليها العاطفة القوية يعلن الشاعر خالد محادين عن انتماؤه
الشديد وعشقه الكبير لهذه المدينة ، انه طفلها المخلص رغم كل التحديات ، وهو الذي
سيناضل من أجلها حتى يولد فجرها من جديد ، وحتى تشرق شمس الحرية فيها ،
سيناضل وسيروى زيتونها بدماؤه ، وعلى سورها سيسقط لأنه لا يحفر دمه بالحزن بل
بالأمل والتفاؤل :-

يا قدس المغرب والمشرق
طفلت اني طفلك رغم البعد
قد تسقط من أجنحة النسر الريشه
لكن النسر يظل النسر
أبدا كالقمة فوق القمة
وأنا يا قدس النسر المطعمون

(١) هارون هاشم رشيد ، ديوان هارون هاشم رشيد ، ١٩٨١ ، ص ٤٤٦ .

وأنا طفلك ، نورك يا قدس
لن أسلم للريح جناحي
حتى تولد فيك الشمس
هذه أسوارك في قلبي
أنهار عظماء
وأنا خلف الأسوار
لا أحفر دوسي بالحزن
بالدمع بفيض الأشجار
خلف الأسوار ولدت
خلف الأسوار أموت
وأصنع منه التابوت
وعلى سورك يا قدس ، أسقط مش العيد
مليون شهيد
وأغني سيفي قيثارتني ، ودسي العطر (١)

وكعشق قيس وطرفة يمشى الشاعر أديب رفيق محمود القدس ، فهو يكتسي
أمام أطلالها ، ويطأطي " الجبين " أمام كل قوس من أقواسها ، ويلتص الحب في كل نقش
من نقوشها ، انه ان يعمل حبه هذا فلانه المشرّد والخليع في بلاده وبين أفـرار
أنته :-

أحبّ باب السلسلة
أحبّ في مدينة السلام كلّ قوس
وعندما أمرت تحت قوس كلّ باب
أطأطي " الجبين " مرة

(١) خالد محادين ، ديوان صلوات للفجر الطالع ، عمان ، ١٩٦٩ ، ص ٢٣ .

ومرة أناطح السحاب
عشقت هذه النقوش والزخارف
ماذا يضير لو رميت نفسي
مرّغت وجهي الحزين بالتراب ؟
ماذا يهم ؟ انني ككك عاشق
كش طرفه الحروود مش قيس
أسائل الطلول باكيا وجائيا وواقفا
لست الذي يموت قلبه على العذاب
أنا المدله الحزين في مفارق الطرق
أنا الذي تقاته الجماعنة
ولست من قيس ولا خزاعنة
أنا الطريد والخليع والمعبد المنفي
في بلاد المضاعة
ماذا يهم لو جثوت ، همت جبهة البلاط
لو صمت تحت وطأة السباط ؟ ! (١)

وحينما يكون الحب كبيرا ، فان المستحيين يبدون صغيرا ، ويكون البذل والعطاء غاية ما يسمو اليه المحب . الشاعر مصطفى بدوي يقدم روحه ويده وصوته من أجل أن يلقى السبيل الى القدس ، انه يصلي ويسر التعاويذ ويقات بالأمن المرتجى من أجل رؤية القدس :-

بكل انعطاف الروى اليك
أرى المستحيل
هو الحب ، أجتزح المعجزة
وأسر غور الزمان
وأقات بالأمن المرتجى

(١) أديب رفيق محمود ، ديوان صلوات على مذبح الحياة والموت ، القدس ، ١٩٧٧ ، ص ٢٥ .

* *

أنا البازل الروح هذا جناحي

وهذي يدي

وصوتي الذي ما احتواء المدي

* *

رجوتك يا سدرة المنتهى

بذلت لك القمح والأسرجه

ورحت أصلي

أرض التعاويذ فوق الحصا

لعمل السبيد اليك تـلـيـن

وينبض بالحب قلب المفا (١)

وتؤكد الشاعرة سعاد عبد النبي على هذا الانتقاء من خلال أبيات تبين فيها أنها تعيد ذكرى القدس في كل لحظة ، تذوب لها شوقا وحنينا لأنها الأرض والسما التي لا بد من عود لها بقوة السلاح والايـمان :-

القدس أرضي والسما	روحي لتربتها فـدا
اني أدوب لها هوى	نذرا نذرت لها الداء
ما لي سوى تذكاريها	يحيا معي .. ألفا ويا
لا بد نرجعها فـدا	ونعيد مهدوم البنا
لا بد من عود لها	بالنار والدم والغدا (٢)

(١) مصطفى بدوي ، أغنية الى القدس ، الثقافة السورية ، ع ك ٢ - ك ١ ، ع أيار ، ١٩٢٥ ، ص ٤٩ .

(٢) سعاد عبد النبي ، ديوان نذرت نفسي ، عمان ، ١٩٢٤ ، ص ١٩ .

ورغم الحدود الفاصلة بين الشاعر علي مبارك وسحبته القدس ، ورغم البعد
بينهما ، فإنها محفورة في روحه وشربانه ، انه يعدّ العدة للقائها في يوم تشرق فيه
شمسها رغم المأساة التي تعصف به والبؤس الذي يغتالسه :-

يا قدس مزقت الغواء وطالبا	مزّته في السر والكتمان
تراقص الأصوات فوق مشاعري	وتفت في رأسي وفي وجداني
لا تعتبي فالبؤس كم يغتالني	في أعين الفتيات والفتيان
هذا أنا يا قدس يا أنشودة	محفورة في الروح والشربان
عصفت بي المأساة أبقتني هنا	في حيرتي دوما وفي هذياني
لا تعتبي فأنا نزييف قاتل	عنف السنين يدور حول كياني
هذا أنا أعددت كل سفائلي	ماذا الرياح تعدّ للربان (١)

ويك من معاني العشق والانتما نجد الشاعر محمد اسماعيل داود يعتز بهرصة
القدس أرضا وتاريخا وطهارة ، ويجعل منها موثلا لكل العرب الكرام :-

يا قدس أنت على المسمى	عربية من عهد (حام)
(عربية) أرضا وتاريخا	يظلّ على السدوام
رفع الأذان على قبابك	منذ نيف ، ألف عام
رمز القداسة والطهارة	موئل العرب الكرام
سيعود وجهك مشرقا	يا قدس يوما بالحمام (٢)

أما الشاعر عطا الله قطوش فهو العاشق المدنف لمدينة القدس ، انه يقسّم
زنود شرايينه حراسا لمينتي القدس ، ويهب دمه من أجل المحافظة عليها ، ولا غـرو
في ذلك فالشاعر ثوب المدينة وفرحة شمسها ونكتها الأزليّة :-

- (١) علي مبارك ، ديوان قصائد من وراء الحدود ، عمان ، ١٩٧٨ ، ص ٥٠ .
(٢) محمد اسماعيل داود ، ديوان أناشيد فلسطينية ، ١٩٨٥ ، ص ٨ .

وأحبك يا قدس الأقداس

....

هذا الأقصى شكل النبضة في قلبي

شكر الشاة في طفل لم يخلق بعد

يا سوكا

يا أصفر حارة

يا شهقة وتر ... وناره

هيك دمي نهدا ... ورغيف

وزنود شراييني حراس

لعينيك يا قدس الأقداس (١)

أما الشاعر عبد اللطيف عقل فقد راح يصور حبه للقدس من خلال
المقارنة بين القدس وبين غيرها من المدن العربية ، ومن خلال التأكيد على ارتباطه
الوثيق بأرضها الطاهرة وأهلها الطميين ، انه جزء لا يتجزأ من هذه المدينة ، يحصل
حبها معه أينما غادر ، ويعود مؤكدا أنها الأم التي لا يعادلها حب آخر :

في طريقك اليك أحمد حزني

آء ما أتفه الدرب بيروت عاهر

تلقف الناس والحقائب بالترحاب والسعدون فيها

سألوني ... والشوق يذبح كالسيف ... عن ساحة السهد

والموت ، عن جيل النار عن غلال البيادر

حملوني اليك حزنا تعرفته في عيون الصفار

وفي ورق اللوز والتين

(١) عطا الله قطوض ، ديوان كتمان يقرع الأجراس ، القدس ، (١٩٨١) ،

قال محمود : سلّم على الأرض والنار
أرجوك سلّم على الأرض والناس
أرجوك سافر
ها أنا عدت، أخ يا خشب اللوز ، يا وجه
سلمى على باب (طهاس) فيم سافرت ،
أهوالك يا حضن سلمى ، اضطهدني
علّمتني بيروت أنك طاهر
واعذريني يا حلوة الوجه كالسيف
سافرت يومين ، أّججتني المسافات لكنني لم أسافر (١)

والحب عند الشاعر هارون هاشم رشيد حب متبادل بين المدينة وعشاقها ،
فقد أحببت القدس كل أبنائها لأنهم أخلصوا لها وحملوا جراحها في قلوبهم وداروا في
كل الأقطار يروون قصّتها ويسمّون لكسب مواقف العالم تجاهها ، انها عاشقة لهم
لأنهم الصادقون والمقاتلون والمشرّدون من أجلها ، وهي انما تعيش على الأمل
بلقائهم من جديد لأن الأرض أرضهم والتراث تراث أجدادهم ولا بدّ من لقاء وان طال
الفراق :-

قومي فأنا صائد ومقاتل	بالمدر ، والعينين يهدر مرعدا
أو فارس تزعمه مني عنوة	فمضى طريدا في البلاد مشرّدا
حمل الجراح ودار يروى قصّتي	للعالمين موضحا وموَكّدا
صوتي يدور به وينفخ مشاعري	والحب والشوق الذي قد أنشدا
وأنا سكنت عيونه وشجونـــــــــــــــــه	وعرفت فيه المفتدي والمفتدى
ما زلت أنتظر اللقاء ولحظة	للوحد تختصر المسافة والمدى

(١) عبد اللطيف عقل ، اعتذار عن سفر قصير جدا ، البلاغ ، ع ١٥٥ - ١٧٦ ،

ع ١٥٨ ، سنة ٤ ، ١٩٧٥ ، ص ٤٧ .

الدار حيث مشى وحيث ترددت أنفاسه والملتقى والمنتسدى
وترائه المنقول عن أجساد ، باقى برغم الغاصبين تخالسا
صوتي . . وهل بلغت هل من سامع صوتي ، وقد دوى قويا أرعدا (١)

وهكذا نجد العاس الديني هو المحور الأساسي الذي يركز عليه الشعراء
في حديثهم عن القدس ، ونلاحظ بوضوح أنه الأظهر وأنه الأقوى .

ويتفاعل هذا العامل في نفوسهم وهم يذكرون ماضي القدس فيكون على
واقعها ، ويستنهضون الهم لانقاذ مقدساتها . وما ذلك إلا لما تمثله القدس
من طهر ينبغي أن يظل مصونا عبر العقب والأزمان .

(١) هارون هاشم رشيد ، قصائد للقدس ، القدس الشريف ، ع ١ - ٩ ،

بيروت :-

الهدم السياسي :-

عاشت بيروت صراعات وانقسامات مدمرة ، فقد شهدت نزاعات طائفية وحروباً أهلية وتناحرات دينية جعلت منها مسرحاً لتشيد لعبة القتل بأشكالها كافة ، ولعل ذلك عائد في حدود تقدير إلى تركيبة السكان في بيروت وإلى سياسة الانفتاح التي انتهجتها بيروت على مدى سنوات طويلة ، فقد جمعت بيروت بين جنسيات مختلفة وأديان متعددة ، كما فتحت الأبواب على مصاريعها لكل الغرباء فكانت المسؤولة الأولى عن الأحداث المدمرة التي عتبت بيوتها وشوارعها .

وقد وقف الشعراء عند هذا الموضوع وقفة جريئة ناقدة حيث فصلوا الحديث في الأمور التالية :-

- ١- التناحر والقتال في بيروت .
- ٢- الانفتاح .
- ٣- زوال معالم الحضارة .

أ- التناحر والقتال في بيروت :-

تناول الشعراء هذا الموضوع بكثير من النقد ، وأكدوا على أن هذا القتال ضد مصلحة اللبنانيين والأمة العربية .

الشاعر عدنان مردم بك ركز كثيراً على هذه القضية واعتبر التناحر الطائفي في بيروت من أهم أسباب هدم حضارتها المتمثلة بما بناه الآليون :-

بجوائح عنتا ويعصف فيك
للحد ممتلح بصدربنيك

عام تصرم والردى يرميك
والنار يهدر غربها في عاصف

وغدا بنوك طوائفا أهواؤه
يتقاتلون وكلهم غرض الردى
هم قوضوا ما شاده في غاب
لطفوا صغائف مجدهم واستسهلوا
وأدوا حضارتك العريقة جملته
يتناحرون علي حطام زائف
حقده عيون ليله وقامه
شقى تميل مع الرياح النوك*
بضراوة وتلصص وقتوك
أبناؤك الصيد الأولى رفعوك
ما سار بجري من دم سفوك
يا ضلّ سعي بنيك إذ وأدوك
ما كان يدفع طائلا ويقيك
ينداح عن قتم له محبوك

ثم يبين الشاعر أنه لا عذر لأهل بيروت فيما قاموا به من دمار وهدم، وأن أعمال
من سبقوهم من البرابرة تهون عن أعمالهم لأنه من أصعب المواقف أن تموت أم على
يد بنيها :-

اعزز عليّ بأن أراك خرائفا
عصف الدمار بساحتك ولم يمدد
ان البرابرة الأولى نكبوا النهى
ما عذر أهلك في أذى يجنونه
تلك الضحايا بعثرت أشلاؤه
نشرت كأوراق الخريف على الشرى
مهجورة ويد الردى تطويك
لك من جدار ، ليس بالمدكوك
في سالف ، لم ياثموا كنيك
أولم يخافوا الله في ماضيك
في شامع أطباقه شاطئك
في غرة للموت ذات حلك (١)

أما الشاعر نزار قباني فيشير الى الحروب الأهلية في بيروت ويعتبرها عبوة
للعصور الوثنية ، تلك الحروب التي جعلت من بيروت وردة بأنياب ، وحولتها الى مدينة
الحزن البشرى :-

ماذا تتكلم يا بيروت

وفي عينيك خلاصة حزن البشرية

(١) عدنان مردم بك ، ديوان نفحات شامية ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٩١ .
* النوك - الهيج .

وعلى نهديك المحترقين . . رماد الحرب الأهلية
من كان يفكر أن نتلاقى . . يا بيروت وأنت خراب ؟
من كان يفكر أن تنمو للوردة آلاف الأنساب ؟
من كان يفكر أن العيون تقاتل في يوم ضد الأهداب ؟
ماذا نتكلم يا لؤلؤتي ؟
يا سنبلتي . . يا أقلامي . . يا أحلامي
يا أوراق الشعرية
من أين أتتك القسوة يا بيروت ،
وكنت برقّة حورية
لا أفهم كيف انقلب العصفور الدوري . .
لقطة ليل وحشية
لا أفهم أبدا يا بيروت
لا أفهم كيف نسيت الله . .
وعدت لعصر الوثنية (١)

ويشير الشاعر حسن القرشي الى التناحر الديني في بيروت مؤكداً أن مثل
هذا التناحر لن يكون في صالح بيروت أبداً :

لا أجب أن يتعدى (نيرونو) القرن العشرين
لا أشأم أن تتناحر فيك الأديان
أن يعبت جنون بضمهرك المزدان
أن تعبد في أرضك - بعد الله - الأوثان (٢)

(١) الأعمال السياسية الكاملة ، ص ٥٨١ .

(٢) حسن القرشي ، زخارف فوق أطلال عصر المجون ، الآداب ، ع ١ - ١٢ ،

سنة ٢٦ ، ١٩٧٨ ، ص ٣٧ .

ويتساءل الشاعر كاظم الخلف عن تناحر الشعوب في لبنان ، عن أسبابه وعن نتائجها ، ويؤكد أن نتائج مثل هذا التناحر لن يكون في صالح العرب قطعا :-

بيروت ما شكواي إلا شـورة	منها تأجج في الضلوع أوار
ماذا بلبنان الحبيب شت به	وبأهله الأحقاد والأوغار
ولم التناحر بين شعب واحد	يسعى لشق صفوفه أنفار
وعلى م يوغ في القطيعة أخوة	ومن الأخوة ذمة وذمار
وعلى م يدعي للبلاد أباعد	ليزول بين الأقربين شجار
ولمن جنود المحرق قد جاءت بهم	وفيرهم خلف الحدود بهار
ولمن يعد الفاصيون برهطهم	خططا تدبر خلسة وتدار
والى متى تبقى البلاد رهينة	وستى يكون على الجلاء قرار (١)

ويتساءل أسعد علي بنقعة الغضب عن هذا التناحر في بيروت مؤكدا أنه تناحر أخوة ضحياتهم الأم بـبيروت :-

ما هذه الأفعال . . ما تفسيرها	ما العنف في بيروت . . ما الجبروت
أجميع قومي عاجزون عن الرضى ؟	وعن التفاهم والوفاء سكوت ؟
بيروت ظمأى في الشتاء حزينه	وعجبية الدنيا غدت بـبيروت
الأم يذبحها البنون وكلهم	في حبها الموصوف والمنعموت
أخوان يقتتلان في أحضانها	وكأن آدم فيهما مبهـوت (٢)

ويجعل الشاعر علي الخليلي من بيروت ساحة لمختلف الاتجاهات والصراعات ، تلك الاتجاهات التي أوبات بحياة بيروت وجعلت منها جثة هامدة :-

بيروت يا محاصـرة
في غربها
وشرقها مؤامرة

(١) كاظم الخلف ، ديوان أزاهير وأعاصير ، بغداد ، ص ٧٤ .
(٢) أسعد علي ، بيروت والأعياد ، الثقافة السورية ، ع تموز - ك ١ ، ع تشرين ١ ، ١٩٧٦ ، ص ٢٠٢ .

والموت والجنون والمقامرة

والعرب النكاذرة

في بعضهم

ومعهم ضامنة

ومعهم قراصنة

ومعهم صهاينة

ومعهم أميركان

ومعهم ... معهم

العمية... وهيلوان

وجثة بلا كيان (١)

ويرثز الشاعر داود معلّ الحديت على حزب الكتائب ، ويعتبره اسرائيل الثانية ،

يقاتل باسم اسرائيل ، وحقده انما يدلّ على أنه قد جاء باسم الغرب :-

أهكذا أنت ... اسرائيل ثانية	يريدك الغرب فينا مرتعا خصبا
وكران للكفر مقرون ملاحهم	وخنجران على أحشائنا ضربا
باسم العروسة أم باسم اليهود أتى	حزب الكتائب هذا العار وارثها
حقده ... وقتل ... وأشلاء مبعثرة	ألا يبين هذا أنهم غربا
ليست عرومتنا شيئا نقدسه	الا اذا كان للاسلام منتسبا (٢)

أما الشاعر نذير العظمة فيشير الى هذا الانقسام بصورة عظيمة ، ويجعل من

تجزئة بيروت وتقسيمها الى غرف وحجرات سببا في دمارها ودمار فجرها وطفلهما
وأرزهما :-

(١) علي الخليلي ، ديوان انتشار على باب السخيم ، عمان ، ١٩٨٣ ، ص ١٩ .

(٢) داود معلّ ، ديوان الطريق الى القدس ، عمان ، ١٩٨٤ ، ص ١٤ .

أيها الرحم الذي أصبح فرقا وحجرات
من أين تأتي الولادة ؟
كيف تدخلك الشهوة
كيف تخرج منك عافية وضوء
أيها الرحم الذي تزوّج حجرات
آية حجرة منك لطفه ؟
آية حجرة منك ليسوع ؟
أيها الرحم الذي لم يسر مسافة الجلجلة
كيف تتم الولادة ؟
أيها الرحم الذي لم يصر علامة في القرآن
كيف تتم القراءة وتفك الحروف ؟
كيف يصلب الانسان الذي يصلي للفجر ؟
كيف يذبح الفجر الذي يصلي للانسان ؟
أيها المعجر الرحم
كيف تطلع منك نخلة أو سند يانه
كيف يشمخ الأرز ؟
من يجزى* الرحم يجزى* الولادة
من يجزى* الولادة يجهض الطفولة
ويجمع منك أيتها المدينة جارية عند الطاغية
الداخل الى رحمتك بالجنس الهجين
يخطفك للشهوة الجسد
يدخل الى اللذة منك ويزرع رصاصا مكان النبص (١)

(١) نذير العظمة ، بيروت والسيدة ، فكر ، ع ٥١ - ٥٢ ، ع ٥١ ، سنة ٨ ،
١٩٨٢ ، ص ٥٤ .

ب - الانفتاح* :-

منذ فترة طويلة وبيروت تفتح أبوابها على مصراعيها لكن أبناء العالم ، تستقبلهم باسم الحضارة والانسان ، وتصنع منهم جيلا بلا هوية ولا عنوان ، جمعت بيروت كـل السائحين الغريب* واحتضنتهم فكانت الأم لأطفال شرعيين وغير شرعيين .

غرقت بيروت في وهم كبير وسقطت في غيوة طويلة ، ولما استفاقت وجدت نفسها قطعة من نار اکتوى بلظاها الفقراء والأطفال .

لقد عانت بيروت وما تزال من نتائج هذا الانفتاح ، اذ أنها لم تكن تعلم بأن هذا الانفتاح سيكون في يوم من الأيام الشعلة القاتلة في بيروت ، والتي ستجعل من بيروت الجمال ، بيروت الدمار والنار .

وقد وقف الشعراء عند هذه القضية طويلا ، وتحذروا عنها بنفمة قلب عليها السخط والسخرية ، فهم ساخطون ساخرون ، جلدوا بيروت بسوطهم لأنها المصولة الأولى عن كل ما حدث لها ، ولم يتوانوا عن قذفها بعبارات العهر والزنى فهي فسي انفتاحها كالرأة الزانية القاسية على أبنائها التي أرضعتهم السم بدلا من الحليب . انها ملتقى العشاق والفتانين والدجالين والرقاصين والعلماء من كل جهة ، انها المرأة التي ضاعها الجميع وحينما همت بالقاء ما في جوفها تخلص عنها الجميع .

الشاعر أحمد حسن الأمين حمل بيروت مسؤولية أحداثها الأخيرة بذلك أنها أباحت للعشاق محارمها ، وتداعت أخلاقها ، ولما اعتدوا عليها لم تجد من يقف إلى جانبها فكانت المخدوعة في انفتاحها :-

* الانفتاح في المادة بعد حضارى ، ولأن نتائج انفتاح بيروت لم تكن ايجابية ولأن الشعراء عدوا هذا الانفتاح من نتائج السياسة اللبنانية المقيتة ، فقد ارتأيت أن أدرج هذا الموضوع الذى تناوله الشعراء بأسهاب ضمن محاور البعد السياسي في قصائد بـيـروت .

كُن الطُّرُقَاتُ إِلَيْكَ تَوَدُّى يَا بَيْرُوتُ
مَا زِلْتُ وَمَا زَالَ الْفَرَسُ
يَتَوَالُونَ بِلَا اسْتِئْذَانٍ
يَعْرِفُهُمْ لُبْنَانٌ بِسِيَاهِهِمْ
وَسَوَالِفُهُمْ يَلْمَعُ تَحْتَ مِعَاطِفِهِمْ
زَهَبٌ "أَنَاسِيْسٌ" وَسَيْفٌ "يَهُودُ"
مَا زِلْتُ كَمَا أَنْتِ مِفْتَاحَةُ الْأَبْوَابِ وَجَانِحَةُ
لَمْ يَتَغَيَّرِ إِلَّا وَجْهُ الْعَمَلَةِ
كُنْتُ تَسَامِينِ عَلَى أَرْصَفِ الطُّرُقَاتِ الْمِثْلِ

(١) أحمد حسن الأمين، بيروت، العرفان، ١٤٠٥ - ١٤٠٥، سنة ٦٦، ١٩٧٨، ص ٢.

بدع جميع الأطفال الفقراء
كنت تباعين بسعر الفرق
صرت تباعين بسعر الجملة
كل الأحياء غدت " حمراء " سوداء وكن الأحياء
أشلاء تبحث عن تابوت (١)

وهي امرأة زانية تعيش في الوحول وتتلذذ بالحرام كما وصفها الشاعر فؤاد الخشن
ولكنه يتخلى أن تعود طاهرة شريفة لأهلها الكرام :-

بيروت يا زانية فؤادها الجليد والسخام
يا جسدا يعيش في الوحول ، يستلذ بالحرام
لو يفصل المطر
فؤادك اللي بالمد يد
واسمع اليمام
يكر في قرميدك الندى في نوافذ الشجر
مقطرا في هذه النفوس من جديد
غائم الحنين والذاكرة (٢)

مكن معاني السخط والقهر نجد الشاعر هشام الكرمي يهاجم بيروت هجوما
قويا ويصفها بالقسوة على أطفالها وصفارها الفقراء ، لأنها المسؤولة عن ضياعهم وتشردهم
أنها تهوى العيش في الوحول وتهوى العبيد والتجار الذين يقامرون ليل نهار . لقد
فقدت كل معاني الجمال ولم تعد تعرف سوى الدماء والدمار :-

بيروت ليست تعرف الأحلام
لأنها لا تعرف القمر

(١) كمال عار ، مدينة الألف ميليشيا ، الدوحة ، ٩٧٤ - ١٠٠٠ ، ع ١٠٠٤ ، سنة ٩ ،

١٩٨٤ ، ص ٤٥ .

(٢) فؤاد الخشن ، ديوان سنابل حزيان ، مصر ، ١٩٧٢ ، ص ١٥٠ .

ولا الليالي البيض والسمر
في أديم العشاق والأبتام
لأنها تنام في مستنقع القدر
وتضغ الفجر
أحشاؤها فتلد الهوام
ماعة " العلكة " و " النصيب "
ماسطي الأيدي على صليب
بيروت ليست تعرف الأزهار
ولا الزقاريد ولا الأشجار
لأنها لا تعرف الضحكة في حناجر الصغار
ولا غناء الأرض في نوار
ولا حكايا الصبايا الحالمات :
من قبل الفجر على الغابات
وزقة الشيطان
يغزلن ثوب الفارس المجهول
بيروت تهوى العيش في الوحول
وتسحق الأحرار
في قبضة العبيد والتجار
يقامرون الليل والنهار
بالله ، باللحم ، بالأوطان
بكل ما يؤله الإنسان
بكل ما يسلخ عنه سحنة الإنسان
لأنها تؤمن بالشيطان
وتعبد الأوثان
لأنها تعيا بلا قلب ، بلا رجاء

وتجهد الدموع
في ظلمة الأكواخ، والشموع (١)

ولم يبرز السخط والعنف في شعر الشعراء فقط، بل أننا نجد عدداً من
الشاعرات يثرن ويحملن بيروت مسؤولية أحداثها الأخيرة . فالشاعرة حنان يموت
تتهم بيروت بالعهر والرخص والزنا وتبين أن زبائنها قد قسموها الى أنصاف كثيرة
بعد أن اقتصبوها وأطبقوا على صدرها وفمها :-

حببتي بيروت
ماذا فعلوا بك ؟
أنت وأنا
نغرق كلانا في العزن
نأكله
ياكلنا
يجترنا
يلفظنا
نقبل
نسكت
نصمت ..
لشدة ما أحبوك
قتلوك
لشدة ما اشتبهوك
اغتصبوك
زانية أنت

(١) هشام الكرسي ، ديوان بيروت والنافذة البيضاء، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٦٣ .

شئت أم أهيئت
زانبة تفتح ساقيهما
لكل عابر سبيل
لكل من يريد أن يمتحن فحولته
جسدك أصبح مصفاة للدم
للعار

* *

لم أكن أعرف يوما بأنك رخيصة
هأنك عاهرة
أسمع صوتك يصم أذني
أسمعك تصرخين
أحد هم يطبق على فمك ، ينهشه
آخر على صدرك يقتلعه
آخر على خصرك يطويه
وآخر يشطرك
وتصرخين
لما زلت (١)

أما الشاعرة سميرة الشرباتي فتجعل من بيروت امرأة تغازل كل شباب العالم ،
ثم تزني وتحمل طفل سفاك ، إنها حمقاء مغرورة ترقص وتغني حتى الفجر وترمي بزجاجات
الخير على الأرصفة والطرققات :-

من تلك وقد هدأ السماء
ونامت موسيقى البارات
وما زالت تنقل خطواتها

(١) حنان يموت ، ديوان الفرح الأجل ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١٢٠ .

ترقص حتى في الشوارع
من تلك الحقائق المفرورة
تحمل فتنة أهل الأرض
وتحمل بغى نساء الليل
وتحلم بالوهم الضائع
من تلك
أراها رأى العامين
تقارل كل شباب العالم
تشى تحمل طفل سفاح
ترقص تتلوى تتمسرى
تحتكر البارات
تفني حتى الفجر
تضاجع فجر الكون وتسكر
ترمي بزجاجات الخمر
على أرصفة الأرض العطشى
تقبل حيننا وتنازع
من تلك :
أراها تنزع كأس الخمر
ببعض بقايا من دمي
أبصر كفيها تمسرف
السرّ تصبّ كؤوس الراح
لتسكر كل رجال الأرض
وتهتك ستر حجاب السر
وتستلطف حتى أمي
تلك لعمري

أقسى قلب
عشق البغي وعاشق
الليل بغير نهار
تلك يقال بأن الاسم
لها بـيروت (١)

وهي في نظر الشاعرة مجرمة خادعة أحببت الشرقيين والغربيين لكنها خدعتهم
في الوقت نفسه لأنها تجرى وراء الآمال :-

تقتل من يهواها دوما
مجرمة القرن العشرين
الآن على الطرقات تموت
تلك ومنذ زمان الحبيب
أحبت شبانا وكهولا
عشقت شرقيا وغربيا
خدعت كل رجال الأرض
وبالت نحو شفاء العالم
تمتص الآمال وتترك
أفئدة تغلي بلظاها
تسكّر تحرق
تفقد ما ترجو من قوت
تلك وحق حريق صباها
تلك لعمري هي
بـيروت (٢)

(١) سيرة الشرباني ، ديوان قصائد تبحت عن رفيق مسافر ، القدس ، ١٩٧٦ ، ص ٨٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

ولم تكن بيروت في انفتاحها هذا سرحا لأهل الشرق فقط بل جمعت بين
أهل الشرق والغرب ، أنها ذات طبع محير حقاً ، هذا ما بينه الشاعر سهيل
ابراهيم :-

أنت معي
أم أنك للغرباء
فرشت سرير الليلة
من يدري ! ! !
قدر يجمعنا الليلة يا بيروت
يولد ميعاد
اقطع بر الشام اليه
فيضحك في عيني كلهم
ثم يموت
طبعك حيرني
للشرق فتحت نوافذك الحمراء
وللغرب تعدين " أقداح " العرق البيضاء
من منهم سيكون السمكة
هذي الليلة ...
من منهم سيكون الحوت (١)

ثم يتساءل الشاعر سهيل ابراهيم عن نتيجة هذا الانفتاح ، من سيتحمل
وعلى من ستعود نتائجه ، فيبين أن أطفال بيروت وفقراءها هم الضحية الكبرى
لذلك :-

(١) سهيل ابراهيم ، ننسى أولاً ننسى يا بيروت ، الموقف الأدبي ، ع ٦ - ١١ ،
ع ١٠ ، سنة ٢ ، ١٩٧٢ - ١٩٧٣ ، ص ٨٠ .

غابة صحرو أنت
على الطرقات
وفي علب الليل الشمعية
في أحضان نساء " البرج "
وأرصفة " الحمراء "
بين سطور الصحف اليومية
في أندية الفكر ...
وفي أروقة جميع المؤتمرات ...
لكن للصحو ضربته
وحدى أدفعها عنك ...
ويدفعها أطفال الوطن
وأبناء " الريف المسترخي
في فلولات الشرق
يدفعها بشعر
لا يعرف منهم أحد
طعم امرأة
لم يدخل مؤتمرا يوما ...
لا يذكر اسم جريدة
ندفعها ...
وإذا ما يجمعنا قدر ...
نلقاك وراء نوافذ الحمراء
والفرياء
تعددين " قدام " العرق البيضاء " (١)

(١) المصدر السابق ، ص ٨١ .

بيروت في شعر خليل أحمد سائحة عجيبة ، نسيت أهلها يعيشون الفقـر
والحزن يسرقهم التجار والضجر، على أنه لا ييأس بل يدعو لتغيير الحال وعدم
الاستسلام :-

بيروت يا سائحة عجيبة
ينهبها القرصان والبحر
أغضت عينيك
فلم ترى عيوننا
يسرقها التجار والضجر
ولم ترى قلوبنا
ولم ترى دماننا
تمطر من شريانها الشجر
بيروت لا تستسلمي
أزهر في عيوننا المطر (١)

وأما في شعر ناجي غلوس في بيروت مدينة الانفتاح الأولى ، انها ملعب وسرح
لكل الذين يقصدونها :-

بيروت
يهرها البحر ، تخطفها الريح
يسرقها العابرون
فتخلد للراحة الخادعة
بيروت يقصدها الجائعون
ليلهبوا بنوارها الساطعة
بيروت ..

(١) خليل أحمد خليل ، ديوان بير السلاس ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ١٩ .

ملاعب للأرجل الضائعة

ساحر للأنف الضائعة

بيروت ..

بيروت ..

بيروت ..

لو تعلمون (١)

ومن أرض الرافدين يتألف الشاعر علي جعفر العلق في وصف بيروت وقد هجرت
زبائنها وبها هجها الساحلية وعادت الى الأهل مجبهة لتجرب الفجيعة العربية والدماء
المسالة، ولتجرب الخوف مرة بعد أن كانت آمنة بين أذرع الفرياء :-

قيل : من تلكم القادمة

من يد البحر، غاسلة ثوبها

وتردد ها بالحمى والدماء

متخطية ساحة الذعر:

بين يديها دم مشرر

مؤد للمثور على الأهل،

أو زهرة للصبر

أوجشت الأصدقاء

قيل : أغلقت البحر من خلفها

تركت كل غزلتها الساحلية،

ها انها ، الآن أكثر معرفة بعلامتها :

جرّبت خضة الخوف ، والذلة المستقره

والركض دامية القديس

جرّبت أن ترى جثثا في الأزقة

(١) ناجي علوش ، بيروت تولد في العاصفة ، الآداب ، ١٤ - ١٢ ، ١٤ ، سنة ٢٤ ،

أن تبادل غرفة مكيا جها بالأسى
والمشقة
جريت أن تغادر عزلتها وزئائنها
وبهاجها الساحلية
أن تعود الى الأهل مجبهة
أن تجرب بعض فجيئتنا العربية

والشاعر يرى أنها اذا ما حاولت أن تعود للبحر ثانية ولزئائنها الغرباء والأنيقين
فان الأرض ستجذبها لذابح عادللة :-

قيل : ها انها تتلفت ناحية البحر ثانية
قيل : ثانية أنكرت أهلها والمحبين
ثانية هتف البحر منتشيا
ان بيروت لى
لزيائنها الغرباء الأنيقين
للماء : أطاره ومقاهيه
عزلته وسجاياه
لكنما الأرض تختلض :

بيروت طفلة هذا الزمان
دمها الدم في كل أرض
معرضة للأسى والفضيحة
جثتها موعده
لذابح عادللة
وهواها رهان (١)

(١) علي جعفر العلاق ، أيتها الطبية القادمة ، آفاق عربية ، ٥٤ - ٨ ، ٨٤ ، سنة ٦ ،

وسين الشاعر كمال رشيد كيف كانت بيروت المتنزه والمخدع، ولم تكن تفكر
بالنتائج المترتبة على ذلك، وسرعان ما حدثت مقبرة الموت فيها بالمجان، لقد
جرحت فكشفا هذا الجرح مخزون الماضي كله :-

كنت المخدع والمتنزه يا بيروت
وغدت المقبرة الأولى
فيك الكل يموت
لفحتك الفتنة عرت كل الناس
كأسك كانت كأس الليل الأحمر
واليوم أراها مترعة بالموت
والنشوة في أعطافك كانت تسرى
كنت بها مثل السكرى
واليوم أراك البت الحسرى
تخرج من تحت البرد العاتى
ودم يخرج من عينيك ومن شفطيك
والشرح بدا يكشف مخزون سنين (١)

ويؤكد الشاعر بشار الزين أن كل ما حدث لبيروت إنما كان نتيجة حتمية من
نتائج الضرر والزيغ الذي لبسته بيروت، فقد أنعم الله على بيروت وخصها بمميزات
دون غيرها من الأقطار العربية إلا أنها لم تقدر هذه النعمة ولم تصنها، فمشت في
طريق اللهو والخداع حتى حلت بها الخراب والدمار :-

براقة اللون في بنيانك الشمسم	يا درة الشرق كنت الزهر عابقة
صفو الهواء وفيه العطر منسجم	يوئمك الناس سياحا ليكتسبوا
والله ينعم حتى تشكر النعمسم	كم جاءك الرزق والنعماء مسبقة

(١) كمال رشيد، ديوان عيون في الظلام، المزرقاء، ١٩٨٤، ص ٦٤.

فأطيب والحب والخيرات كم د فقت
لكنما النفس زاغت ثم ما لهشت
فكنت باللهو مثل الشرّ عابثة
لبست زهو غرور الزيف مترفّة
والعيش قد صار للمتخوم من ثمر
أما الفقير فان الكوح حاضنه
والناس من حوله عريدين غانيّة
فالظلم مقتدر والفقر منتصر
شعارك الزيف يا بيروت قد فسدت

والناس والجهد وال عمران كم عظموا
أن خانت الحق واستشرى بها السقم
وكنّت بالفحش مثل النار تضطرم
وفي ملاهيك جن العهر والنفسم
لا يعرف الجود بل في الشح يلتحم
ضاقت به الأرض وانهارت به القيم
ملأك أهنية شر ومغتنام
والغش منتشر والرعب منتقم
منه المكارم واستعلى به اللطم (١)

أما الشاعر يوسف أبو لوز فيجعل من بيروت مدينة حضارة منفتحة، فيها الأسماء
والأعنام وكل الجنسيات والسفارات والمخبرون وأجهزة الالتقاط وسباق التسلح والعنصرية
وغيرها :-

لم يبق أيتها الواحدة
غير أنت
الوحيدة في الاحتراق
الوحيدة في القوّهات
الوحيدة في الترهات
الوحيدة في الانفجار
الوحيدة في الانتهاك
الوحيدة في الاحتال ، وفي الجوع ،
في البور في الحر في الشر ،
في السقطة الصاعدة
والوحيدة أنت إذا

(١) بشار الزين ، يا درة الشرق ، العرفان ، ج ٦ - ١٠ ، ٦٤ ، سنة ١٩٨٢ ، ص ٧٠ .

تشطين أبي ،
تشطين عموتنا
تشطين مواليدنا الحائرين على أى جنسية
تشطين الجوار الذين لهم هيبة
والذين لهم غيبة
تشطين العموم :
السفارات والحملات الذكية والمخبريين
وأجهزة الالتقاط الدقيقة
والافتتاح ، سباق التسليح
أخذية الجند والعنصرية (١)

(١) يوسف أبولوز ، لا غيمة تحجب المذبة ، المجلة الثقافية ، ١٤ ، ١٩٨٣ ، ص

ج - زوال معالم الحضارة* -

شهدت بيروت تطورا حضاريا واضحا ، وقد ظلّ هذا التطور طابعا مميزا لبيروت ومصدر فخر واعتزاز لكل بناتها ، فصارت بيروت درة الشرق بها* وجبالا ، وبرز الاستقرار الأول ، لكن هذا الوجه الحضاري الرائق لم يدم طويلا ، إذ تأثر تأثرا كبيرا بالأحداث المؤلمة والحقيّة التي أفقدت بيروت الشيء الكثير من وجهها المشرق .

وقد وقف الشعراء عند هذا الموضوع وقفة طويلة ، فرثوا الحان التي وصلت اليها حضارة بيروت وأكدوا أن هذا الوضع المؤلم ما هو إلا نتيجة من نتائج السياسة الحقيّة في بيروت . وقد جاء حديثهم في ذلك منصبا على موضوعين هما :-

أ - انهيار معالم الثقافة .

ب - زوال معالم الجمال والفن والاستقرار .

أ - انهيار معالم الثقافة :-

شهدت بيروت حركة ثقافية مزدهرة منذ فترة طويلة ، تمثلت بإقامة الجامعات والمعاهد والمطابع ودور النشر المختلفة ، وظلت بيروت على مدى الأيام صرحا علميا

* الحضارة : نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافي ، وتتألف الثقافة من عناصر أربعة : العواد الاقتصادية ، النظم السياسية ، التقاليد الخلقية ، متابعة العلوم والفنون .

(و ن ديورانت ، قصة الحضارة ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٤) .

وهي تجسيد للنشاط العقلي عند الانسان ، وتاريخ الحضارة سجد لتطور هذا العقل ومدى فعاليته في مختلف نواحي الحياة من سياسية واجتماعية واقتصادية وادارية وحربية وعمرانية ، ودراة هذا التاريخ يتناول الى جانب ذلك وسائل انتاج الانسان ومستوى معيشته وفنونه الجميلة ومعتقداته الدينية وأساطيره وعلومه وأدبه .

(د . مصطفى الراقصي ، حضارة العرب في العصور الاسلامية ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ١١) .

ونظرا لأن الشعراء تناولوا زوال معالم الحضارة كنتيجة مؤلمة من نتائج السياسة المضطربة في بيروت فقد رأيت أن يكون هذا الموضوع من أطراف البعد السياسي في الشعر .

شامخا سيزا لوجه حضارتها العظيم ، وقد باهت بيروت وفاخرت بهذه الحركة المزدهرة
زمننا طويلا ، فهي موطن الفكر والفن والأدب ، وهي ملتقى الأديباء والعلماء من كل
صوب .

وقد ظلت بيروت كذلك فترة طويلة من الزمن ، حتى كانت أحداثها الأخيرة
التي أثرت تأثيرا مباشرا في ثقافتها تلك ، فقد افتقدت المعارف ، وعم الذعر مراكز
الثقافة المختلفة . وهجر رجال العلم والثقافة مراكزهم ، وحلّ الصمت فيها . وقد وقف
الشعراء في قصائد هم عند هذا الموضوع فتحدثوا عن الفجائع التي لحقت بدور العلم
المختلفة وأكدوا أن ذلك كله دمار اقتضته الظروف السياسية في بيروت .

الشاعر عدنان مردم بك يقارن في إحدى قصائده بين حال الثقافة في بيروت
اليوم والآن ، ويرثي الحال التي وصلت إليها اليوم بعد أن فقدت معاهد الثقافة
بهجة ندياتها وقد روادها وسادها الصمت المطبق :-

واطلعت المسومة المرابا	معاهد أينعت وزكت رهاها
على الدنيا رحيقا مستطابا	أفادت بالمعارف من قد يها
نجوم الأفق طولاً ، والسحابا	وحاكي صرحها في شمسها
وقوض شامخا وطوى القبابا	أحان الذعر عامرها يبابا
هواجس من روى ، طيفا سرايا	وأغلى ربعا المعمور الآ
يصوغ القول ألحانا عذابا	فلست ترى بندوتها سميرا
ثقل اللج ، دفعا وانجذابا (١)	وران بكلكل صمت عميق

ويتساءل الشاعر نسيم نصر بحسرة واضحة عن الفن والفكر والشعر في بيروت
مبيناً أن أحداث بيروت أحوالت كل معاني الفن والجمال الى قبح لا معنى له :-

(١) ديوان نغمات شامية ، ص ١٥ .

لبنان ماذا دهي دنياك فارتجفت
أهاجر الفكر عن أحضان مولده
مهابط الوحي ، من ألوى منابرهما
ولوحة الفن هل ناءت بتزينتها
فأوقد الخلق فيها فتنة نهست
بهاصف من رياح الشر يذروها
أم أن لسن اللظى شبت لتحوها
وأبكة الشعر هل ماتت أفانيها
فأمعن القبح في الابداع تشويهها
كالنار تأكل ، ان تشد صاليها (١)

ويرثي الشاعر بشار الزين الفكر والقلم في بيروت وذلك من خلال حديثه عن
الغاسي التي حلت بالمدينة كلها :-

تفجر الوضع حرمانا وضائقه
مدينة الرعب أنت اليوم سائبة
لبنس أمرك يا بيروت اذ وهنت
وعريد الشر والأجيان قد صدموا
وفي شوارعك الآثار والرحم
فيك الحياة ومات الفكر والقلم (٢)

ويسأل الشاعر حسين حيدر وكل ألم وحسرة عن حال الشعر والفن في بيروت
بعد أحداثها القاتلة :-

أميرة الوجد المنسي في وطني
وطائر البحر هل حملته خبرا
وشهقة الموج فوق الرمل هل سكنت
والشعر والفن والأيام هل برئت
أ تلك بيروت أم هذى قياستها
هل فادرت في غياهي آخر السفن
الى مرافئنا أم مات من شجن
أم لا تزال تشيع البحر والدمن
من فتنة الذات في دأمة الفتن
أم يا ترى غيرت من غربة اذ نسي (٣)

أما الشاعر هارون هاشم رشيد فيفاخر بنهضة بيروت وحركتها الفكرية ، ويؤكد
أن بيروت ستظل النوار المنضي الساطع في عالم العرب رغم كل المحاولات القائمة لقتل

(١) نسيم نصر ، انتفاضة فينيق ، الأديب ، ج ١ ، سنة ٣٥ ، ١٩٧٦ ، ص ١٤ .

(٢) يا درة الشرق ، المعرفان ، ١٩٨٢ ، ص ٧٠ .

(٣) حسين حيدر ، ديوان كلمات للريح والأرض ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٨٠ .

حركتها الفكرية هذه ، ان بيروت ستظل بلد الفن والداوين والمراجع ، ستظل ثغني
وتشد والمقاطع وستواصل اشراقها وتتابع دون أي احباط :-

برغم الصواريخ رغم المدافع
ورغم المجازر رغم الفواجع
تظل بيروت ، تبقى المطابع
وتواصل اشراقها وتتابع
وتسبح بالحب ، دمع الشوارع
تغني القصائد تشد والمقاطع
ترفع أعلامها والبدائع
هنا . . . وهناك تجوب الروائع
داوين شهر ، وفن ، ومراجع
تضي * بيروت ليل المواجه
كتاب العروة فيها يصارع
برد الغزاة ، ويحمي الرابع
فيروت منها تحيك الأصابع
شباك التامر ، منها تخادع
تظل منارا مضيئا وساطع
ورغم الصواريخ ، رغم المدافع
تواصل اشراقها وتتابع (١)

ب - زوال معالم الجمال والفن والاستقرار :-

حظيت بيروت بجمال فائق تميزت به كظهر من مظاهر حضارتها الفائقة ،
فقد حباها الله حسنا وبها تمثل بزرقة بحرها وخضرة سهولها وهندسة عمرانها ، فكانت

(١) هارون هاشم رشيد ، ديوان النفس في الظلام ، عمان ، ١٩٨٣ ، ص ٢٠ .

كالدرّة والياقوتة في جبين الدهر ، يومها السياح من كل صوب لمشاهدة آثارها الشاهدة
على حضارتها العظيمة .

وقد أخذ هذا الجبان من الشعراء بعدا كبيرا ، فقد عدّوا بيروت عروس الشرق
ذات الأساور المشغولة بالياقوت ، وعدّوها امرأة من أجمل النساء تختال بالقبضة
الزرقاء من الملكة وترقص مثل السمكة ، عدّوها الفأبة الوداعة التي حفظت مجدد
الانسان وعلمته معنى الحرية ، لكن الحال لم يدم طويلا فقد بدأت بيروت ونتيجة
للأحداث الدامية تفقد معالم جمالها شيئا فشيئا فأضحت المدينة المفجوعة بجمالها
واستقرارها ، شاخت قبل أن تصل من الهرم والشيخوخة وطعنت بأيدى أهلها
ومحبّيها .

وقد وقف الشعراء عند هذا الموضوع وقفة طويلة أظهروا من خلالها أسفهم
وحزنهم للحال الذي وصلت اليه بيروت ، وهاجموا كل من مدّ يده ليطعنهم
من الخلف .

الشاعرة نازك الملائكة تحدّث طويلا في بيروت فلا تجد سوى الكآبة ، لقد
فقدت بيروت بها بحرها وتحولت في لحظة قصيرة الى مقبرة للأبرياء :-

بيروت غابّة

ومن دماء القتلى على جفنها سحابة

أين ترى البحر ؟

كان بالأسس ها هنا يا بيروت بحر

تكتب أمواجه وتمحو ، وينثر الشذر والفراشة

يقرأ تحت السماء في لهفة كتابه

كانت هنا زرقة وشمس . . وجاء عصر

جبينه يطر الكآبة (١)

(١) نازك الملائكة ، نجمة الدم ، الآداب ، ع ٧-١٢ ، ١٢٤٠ ، سنة ٢٣ ، ١٩٧٥ ، ص ٣٠ .

ويرثي الشاعر هشام المراني حال بيروت حيث ماتت فيها أُمسيات الحب والشعر
والفزل ، وفقدت معظم خيراتها ، وشاغت فيها الصبايا ولم تعد تشهد الديكــة
والأفراح :-

عروس الشرق
هي مَرّت عليك حوافر التــر ؟
كما مَرّت على وطني
وهي فقأت عيونك خيل هولاكو
فعمّ كل ما فيك
أحقًا لم يعد في " شارع الحمراء " أطفال ؟
أماّت أُمسيات الحب والشعراء والفزل ؟
أحقًا لم يعد يتكاثر التفاح في الوادي ؟
وهي شاغت صباياك
فما عادت تجيد الحب والصبوات والضحكة
ولا يتردد الموان والديكــة (١)

وينكر الشاعر حسن القرشي أن تكون هذه بيروت ، فقد تحولت من عروس فجر
الى عجوز في التابوت ، هزمت وشاغت قبل أن تص من الهرم والشيخوخة ، سقطت
أزهارها وذابت أوراقها ، فلم تعد قادرة على العطاف :-

أنكرتك أمس أنا ، أنكرتك يا بيروت
أنكرتك عروس الفجر عجوزا في (التابوت)
سقطت أزهار الأشجار ، وأشواك الصبار
وذابت أوراقك يا توت
وبدت عوراتك
ما أقبح أن تبدو العورات

(١) هشام المراني ، بيروت المحترقة ، الآداب ، ١٤ - ١٢ ، ٧٤ ، سنة ٢٤ ، ١٩٧٦ ، ص ٣٢ .

ما أفطع أن يجرى الدم مجانا في كلّ الساعات (١)

وهي مصدر أنسى وألم بالنسبة للشاعر أسعد علي وذلك لضياغ كل مظهر من مظاهر الجبال فيها ، فكل ما هناك قاتم وكبوت :-

لا أزرق الفيروز متهاجا بها	لا لؤلؤ العمران لا الياقوت
لا مريم سحت على طرقاتها	بيد الحنان . . . ولا حنا السلوك
وخديجة لم ترعها بحفوها	فجميع ما فيها يعيش . . يموت
رمضان والأضحى وميلاد المسيح	قاتم . . في شعبها . . وكبوت (٢)

وبيروت في شمر الشاعر راضي مهدي السعيد هي المدينة المفجوعة ، المفجوعة بجمالها وبهائها ، لقد أصبحت تصلي في كل يوم صلاة الفجيرة ، وتتألم على زمين كانت فيه الخيرة المعطاءة المورقة والعاشقة المغنية للبحر وللسمفون :-

أبيروت . يا عرس كل الظلال الخدية يا فتنة البحر ، يا صيحة الوطن المستفيق

على الجرح ، يا صوت كل الرجال الذين استحالوا محاريب أزمنة تلد البشر الانبياء

تباركت دنيا بها يولد الحب والشعر أغنية حلوة ويخط طريقا مريرا نشيد الفداء

يقولون أنت التي تحملين الهوى نفسا عاشقا

والأمانى الجميلات أصداء شوق ولحن ارتقوا

تصليين في كل يوم صلاة الفجيرة ، تفننين فجرا

به كنت تحيين عاشقة ، وتفننين للبحر والسفن المشرقية

ما فوق أمواجه الخضر أغنية الابتهاال (٣)

(١) زخارف فوق أطلال المجون ، الآداب ، ١٩٧٨ ، ص ٣٧ .

(٢) بيروت والأعياد ، الثقافة السورية ، ١٩٧٦ ، ص ٢٢ .

(٣) راضي مهدي السعيد ، صلاة الفجيرة ، آفاق عربية ، ج ٥-٨ ، ٦٤ ، سنة ٤ ،

وهي المفجوعة لأن كل عنصر من عناصر جمالها التالية قد ضاع :

يقولون : قامت شواطئها ، أطفأت الريح

ساحاتها ، لم يعد في شواطئها نفس للعصافير

رائحة الندى البحر ، غطوا لك الميرون التي تلتقي

بالينابيع ، بالشمس ، بالرياحات الفساح

يقولون : ما عاد فيها الصباح

يمر شراعا يفني وينسل طيرا طليق الجناح

يقولون : فاتنة البحر مذ هجرتها السواقي

وجف بها الماء وارتحلت عن سماها النجوم

ولم يبق فيها سوى شجر الموت والصهوات التي نبتت أدمعا

مرة في سواد المآقي

ونامت على الرمل ظلا حزينا وصوتا يعمرش في ضفتيه

الأسى وتشب الهموم (١)

ويتساءل الشاعر حسين حيدر عن انحدار الجمال في بيروت واكتوائها بنار

الثورة ، فقد فقدت عشقها وكحل عيونها لتكتحل بدلا منه بالنيران :

أرضي السدودة بين الماء وبين الماء الآن تموت

من بعد جمال ما ولدت الآخصيانا ، يا بيروت

حسدوها ظنوا أن بيادرها شعر وفن وحنان

حسبوها تركع صاغرة وتقدم كأسا للمسد وان

من قال العاشقة الأولى ستكون الأولى في الميدان

من قال الكحل من خفر تتكحل يوما بالنيران

من قال الثورة سوف تؤدى العمرة يوما في لبنان

تركت بيروت تجارتها لتبيع الجنة في رمضان (٢)

(١) المصدر السابق ، ص ١١٢ .

(٢) ديوان كلمات للريح والأرض ، ص ٤٩ .

ويتساءل الشاعر محمد الفيتوري عن سبب ضياع الجمال من عيني بيروت بمسند
الفرح العميق الذي عاشته ، أكان ذلك قدرا محتوما عليها :-

أكان محتوما عذابك !
أن تغوص حجارة الكبريت في عينيك
هاتين المظللتين بالفرح العميق
وأن تلفا جناحك الذهبي (١)

ولعل الشاعر نزار قباني من أكثر من كتبوا عن هذه القضية ، فهو عاشق لبيروت
أحبها وتغنى بجمالها كثيرا ، وحينما فقدت هذا الجمال رثاها وجمع من أبناءها
سببا في فقد حرّيتها واطلاق النار عليها ، لقد قتل الفرّح في عيني بيروت وشطّط
وجهها بالسكين وقصت ضفائرها الذهبية وصودر خاتنها السحري (بيروت هــي
الحرية بالنسبة لـه) :-

ياست الدنيا يا بيروت
من باع أساورك الشغولة بالياقوت ؟
من صادر خاتمك السحري ،
وقصّ ضفائرك الذهبية ؟
من زرع الفرّح النائم في عينيك الخضراوين ؟
من شطب وجهك بالسكين ،
وألقى ماء النار على شفّتك الرائعتين
من سمّ ماء البحر ، ورشّ الحقد على الشيطان الوردية ؟
ها نحن أتينا معذرين .. ومعترفين
أنا أطلقنا النار عليك بروح قبلية ..
فقتلنا امرأة .. كانت تدعى (الحرية) (٢)

(١) محمد الفيتوري ، بيروت في زمن الولادة والدمار ، الآداب ، ع ٧-١٢ ، ع ١٠٤ ، سنة
١٩٧٥ ، ص ٢٣

(٢) الأعمال السياسية الكاملة ، ص ٥٧٧ .

وهو في قصيدة أخرى نجده يفصل القول في هذا الجبال المذهوح فيصف
بيروت بالملكة والسكة المذهوحة ، ثم يهاجم بأسلوب ساخط كل الذين طعنوا بـبيروت
وقتلوا جمالها :-

أين بيروت التي تختال بالقبة الزرقاء مثل الملكة ؟

أين بيروت التي كانت على أوراقنا ..

ترقص مثل السمكة ..

ذهبوها ...

ذهبوها

وهي تستقبل ضوء الفجر مثل الياقوتية ..

من هو الرابع من قتل مدينته ؟

ضيّعوا بيروت ، يا سيدتي

ضيّعوا أنفسهم إذ ضيّعوها

سقطت كالخاتم السحري في الماء ، ولم يلتقطوها ..

طاردها مثل عصفور ريمى الى أن قتلوها

هذه الوردية الجسم التي تلبس في معصمها البحر سوارا

ثم قطعنا البن من أشجار نهد يها

وحولنا جبال الثلج نارا ..

واكتشفناها رصيفا ، .. فرصيفا ..

وميناها جدارا فجدارا ..

ثم دخلنا بيتها البحرى أطفالا صفارا ..

فلعبنا .. ورقصنا

وخرجنا نحمل الشمس بأيدينا

وأساكا .. وخبزا .. ومحاراً ..

فلماذا قتلوها ؟

هذه الأنثى التي كانت ترقى الماء .. في وجه الصحارى (١)

ويشير الشاعر شريف الرضي الى ذلك الجبال الخفود المتمثل ببحرها وجبالها
وموانئها وأسواقها :-

كانت كل المسافات الخصب غنا
البحر ، وضيق ، وتبع القهر ، وعال المينا
والباعة ، والأسواق ، وألوان العلم المزدان بأرز
الطوفان

كانت سفن الهجرة نحو الحب تغامر
كانت بيروت البشرية ينشرها القرصان على جزر
الأرزا

والفرح المغلق بالسركما الآتي ، شراعات تدلع للحلم
كانت أسئلة الخوف تثار في أوردة النسيان (١)

ويشبه الشاعر عادل الشرقي بيروت في جمالها وهائها بالمرأة الجميلة
والوردة الزهراء التي ما لبثت أن ذبلت :-

بيروت كانت أجمل النساء

بيروت كانت وردة

تزهو وسط الماء

لكنها اليوم بلا ضياء

كثيرة

كثيرة

تجهش طول الليل بالبكاء (٢)

(١) شريف الرضي ، ديوان قراءة في عذابات تن الزعتر ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٣٧ .

(٢) عادل الشرقي ، ديوان دم القرنفل ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٧ .

ويقارن الشاعر داود معلّاً بين جمال بيروت قبل الحرب وبعد ، فهي العروس
اللاهية في السابق وهي المرأة السروقة في حاضرها :-

بالأمس كانت ترينا شهباً القصباً	تختال فيه على أقرانها عجباً
بالأمس أي عروس أنت لاهية	تمارس الحب كأساً مدهقاً وصباً
واليوم أي حريق بات يأكلها	يحرق اللحم والأعراى والعصباً
كن الخواتم ذابت في أصابعها	وذوت بعدها الأقراط والذهباً (١)

ويرثي الشاعر جورج أبو خليل المدينة العظيمة صاحبة الحضارة أم الشرائع
والأمّ العظيمة لكل الأبناء ، يرثيها لأن الجميع شارك في قتلها ، تركوها فريسة للشقاء
فتحوّلت من عروس جميلة الى مرتع للأسى ومصدر للبكاء :

بيروت كنت السيّدة
ودول العالم اماء ،
أم الشرائع دعيست
وذدت عن كلّ الحقوق
ولما جاء دور الحق فيك
نبذك الكلّ يا بيروت ،
وتركوك فريسة
بين أيدي الشقاء ،
كنت واحدة رجاء
يقصدك الجميع
يروون فيك الأم الرووم
والملجأ الأميين
والآن

(١) ديوان الطريق الى القدس ، ص ١٣ .

تركوك في محنتك
تواجهــــــــــــــــين
الموت والدماء
بالأمر كنت عروسا
ترقلين بثياب العرس
واليوم
أصبحت يا بيروت
مرتج الأسى
ومصدر الهكباء (١)

وهي في شعر الشاعر عدنان الصائغ غابة هادئة تحولت في لحظات بسيطة
الى غابة ملتهبة ، حراسها اللصوص والقطاع :-

انها الغابة الوادعة
هجر النهر . . أعشابها
والحارس الكل
نام على دكة الباب
دون عشاء
باع بالأمر . . خنجره
واللصوص على الباب
ينتظرون
دخلوا . . !!
واحدا
واحدا
ثم في لحظة

(١) جون أبو خليل ، ديوان جلجلة الخلاص ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٥٩ .

أضرموا النار... في الغاية الرائعة (١)

على أننا نجد الشاعر ادوارد عويس يؤكد بقوة أن جمال بيروت باق رغم كل ما حدث لها ، وأن الحاسدين لن ينالوا من بيروت ومن حضارتها شيئاً :-

أدنو من بابك فاتنتي	فيضوع المسك المفتوت
وأحاور بابك ليلكـتي	فتضي* القلب مواقيت
ألقاك - أعانق أحلامي	ومصدرك يزهو الياقوت
ها أنت الحسن كما بالأمس	وما بهائك تشتيت
قالوا : أفناؤك ذاهلة	والماء تضال والقوت
قالوا : أضناك حصار البحر	وغلف قلبك تابوت
ما صبح الزعم ولا أجـدى	قول بالخية منعوت
الموت لهم والخرى لهم	والبحر يقول لهم موتوا (٢)

(١) عدنان الصائغ ، ديوان انتظريني تحت نصب الحرية ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٤٧ .

(٢) ادوارد عويس ، ديوان رواد المساء ، عمان ١٩٨٥ ، ص ٩٦ .

الهمد القومي* :-

ظلت بيروت منذ زمن طويل جنة الدنيا ومنارة العرب الأولى ، عشقها الصغار والكبار وهاموا في حبها ، وحينما حاول اللصوص قتلها وقف العاشقون وأعلنوا أن بيروت لن تقتل ، وأنها ستظل الأم الحاضنة لكل أطفالها . وقد أخذت هذه المدينة بعدا قوميا واضحا في الشعر العربي ، فقد تعالت صيحات الشعراء من جميع الأقطار العربية مؤكدة اعتزازها بأصالة بيروت العربية وولائها وانتائها لكل ذرة تراب في بيروت ، فهي الجسد والروح ، وهي ملققة كل العرب بجمالها وبهائها وطيبة أهلها ، وهي الملاذ الوحيد لهم .

لقد أحب الشعراء بيروت حب العباد ، وأعلنوا أن آلاف الأطنان من النار لن تفصل بينهم وبين ثدي أسهم ، وأن بيروت ستظل عربية مشرقة رغم كل المحاولات الماكدة للنيل منها ، فالشاعر نزار قباني يعلن عن ارتباطه بأرض بيروت ، رغم كل المحاولات الضالة لاقتلاع محبتي بيروت من أرضهم ، وهو يعاهد هذه المدينة أن يبقى قطعة من جبالها وسهولها وينالهمها الخيرة :-

طلبوا منا بأن ندخل في مدرسة القتل

ولكننا رفضنا

طلبوا أن نشطر الرب لنصفين

ولكننا اختلنا

طلبوا منا بأن نشهد ضد الحب

(*) ورد في تعريف القومية أنها الشعور الذي يربط أفراد الأمة بعضهم ببعض ، وأن أهم الأسس التي تقوم عليها : الأرض ، وحدة الجنس ، اللغة ، الدين ، الاقتصاد المشترك . كما ورد في الحديث عن مظاهر القومية في الأدب العربي الحديث أن أهم هذه المظاهر : تردد اسم العروبة والتذكير بحمد العرب والفخر بأثرهم ، الإشارة إلى وحدة الشعور بين أبناء العروبة على اختلاف أوطانهم ، الدعوة إلى الوحدة العربية ، الدفاع عن اللغة الفصحى . ومن هنا فإن التعريف السابق والمظاهر السابقة أيضا تؤكد أن حديث الشعراء عن بيروت هو بعد قومي . (انظر : جورج حنا ، معنى القومية العربية ، ودرويش الجندى - القومية العربية في الأدب العربي الحديث ، ومحمد زغلول سلام ، القومية في الأدب العربي الحديث ، وساطع الحصري ، آراء في القومية العربية) .

ولكن ما شهدنا
طلبوا منا . . . بأن نشتم بيروت التي قمعا . . .
وحبا أطعمتنا
طلبوا
أن نقطع الثدي الذي من غيره ، نحن رضعنا
فاعتذرنا
ووقفنا ضد كل القاتلين
مقينا مع لبنان سهولا . . . وجهالا
مقينا مع لبنان صليا . . . وهلالا
مقينا مع لبنان اليتامى
ولبنان العناقيد
ولبنان الصابئة (١)

وهو في القصيدة نفسها يؤكد انه لا يوجد وطن أفضل من بيروت ، لقد بحث
وحاول أن يعشق وطننا غير بيروت لكنه لم يجد :

احتملنا نفينا عشرين شهرا
وشربنا دمعنا عشرين شهرا
محتنا في زوايا الأرض عن عشق جديد
غير أنا ما عشقنا
وشربنا الخمر من كل الدوالي
غير أنا ما سكرنا
محتنا عن بديل لك

(١) نزار قباني ، آه يا بيروت سامحينا ان تركناك تموتين وحيدة ، جريدة الدستور ،
عمان ، الأحد ١٩٨٢/٧/٤ ، ص ١٢ .

يا أعظم بيروت
ويا أطيب بيروت
ويا أظهر بيروت
ولكن ما وجدنا (١)

ونزار في قصيدة أخرى يسأل إن وجد العشاق بديلاً في الحب عن بيروت،
ثم يدعو لحبها لأنها المدينة الأم التي تمنح الجميع الخصب، ولا بديل غيرها :-

آه يا عشاق بيروت القدامى
هل وجدتم بعد بيروت البديلاً
ان بيروت هي الأنثى التي ...
تمنح الخصب وتعطينا الفصول
ان يمت لبنان ... تم معـه
كل من يقتله ... كان القتيلاً
كل قبح فيه ، قبح فيكم
فأعيدوه ... كما كان جميلاً
ان كونا ليس لبنان به
سوف يبقى عدماً أو مستحيلاً (٢)

وتظن بيروت الخبز والماء والزيتون بالنسبة للشاعر محمد راضي جعفر ، وهو
ستعد لأن يقدم كل شيء في سبيلها لأنه العاشق المحب لها :-

أحبك أن تعيشي أو تموتي
ليس لي حق الخيار

(١) المصدر السابق ، ص ١٢ .

(٢) الأعمال السياسية الكاملة ، ص ٦٢٥ .

لأنك الصوت الوحيد : فأنت ملهمني وأنتك هذه الدنيا
فأنت الماء والزيتون والخبز ، أسأليني أي شيء : جري
ان تطلبي ما لا يهون وما يهون ، وحدتي هي حين يرتعش الهوى وحين
تخضر الأصابع فوق وجهي شاطئا وظلال نخل أنت ترتعشين ،
تحضرين في قلبي ، وما انطفأ التحرق (١)

وتنساب الشاعرة سهام عيطور بأبيات جميلة نعت فيها الدفء حين تبتين
أن جذورها راسخة في بيروت وأن أباها وأجدادها عاشوا هناك ، وأن مروجها
وزيتونها يشهد لحياتها ، انها تعبد تراب بيروت اذا ما عبد التراب :-

تركت ركبك والنجوى تورقني	والشوق ينثني في ناره شهباً
وفي مروجك أنفاسي مفردة	فيها الصنوبر سكران بما شرباً
وفي خدودك أجداد لي ارتحلوا	ومن ترابك شادوا العروق والنسباً
يا من تشد جذوري في مناكبها	ويرقص اللحن في سمعي لها طرباً
كم بت أرعى نجوم الليل أسألها	طيفا تنافى به حقلني الذي صلباً
فيه انتشأت أغني احتسي حقبني	وما يعتني به الأتراب منتسباً (٢)

ثم يعلن الشاعر حسين حيدر أنها ستبقى معبودة الآلاف من العرب ، وأن
الجوع وأصوات القنابل لن تفرق بينها وبين محبيها :-

يا درة البحر والأصداف نادرة	ما زلت رائعة في ثوبك الخشن
ما زلت معبودة الآلاف قبلتهم	في غامر الصحو أو في غامر المزن
الخوف في بابك الموصود قبلة	وما تفرق شمل الأهل والسكن
والجوع والبرد والقناص هل شربت	طفولة حلمها في غية اللبـن

(١) محمد راضي جعفر ، بيروت ، الآداب ، ١٤-١٢ ، ٧٤ ، سنة ٢٤ ، ١٩٧٦ ، ص ٦٩ .

(٢) سهام عيطور شاهين ، ديوان الأبحار في المواسم الصعبة ، ١٩٨٣ ، ص ٤٥ .

أطفالي استعذبوا لقياك من ولده وآثروا حضنك الجاني على حضني
أودعت عينيك يا بيروت في وجل نور العيون فان عز الحنان ، قني (١)

مكل معنى الولا * والانتما * يتحدث الشاعر سليمان العيسى مؤكدا بأن آلاف
الأطنان من النار لن تفصل بين بيروت وعشاقها ، انه سيمشي نحو بني أمه فسي
بيروت معلنا أنهم الجسد والروح وان أرضهم ستنهض وردة ضوء ملء الأرض :-

لن تفصل بين الجذر وبين الجذر
وبين الزرقة والبحر
وبين قوافي الشعر
لن تفصل أطنان النار
ولا تدمير الأبراج
واحراق الأطفال
وتجويع الأحرار
لن ينفع ألف حصار
لن ينفع ألف حصار
المجرم لا يخنق إلا نفسه
والقاتل لا يقتل إلا نفسه
بيروت ستنهض وردة ضوء ملء الأرض
وبين النض الزهر بالحرية ، والعشاق ، وعطر القنبلة ، والنبس
سأشي نحو بني أمي
من فجر الأرض ، وفجر الضوء ، بني أمي
أنا سحبة ميجانا عربية
في الغربية والشرقية
في الشرقية والغربية

أطنان النار وأعوام التزوير وتاريخ القهر

لن تفصل بين الجذر والجذر

بين الزرقبة والبحر

لن تفصلي عن أهلي

في الجبل المدثر بالنجم وفي السهل

لن تفصلي عن أهلي (١)

ومهما حدثت لبيروت فان الشاعر حسب الشيخ جعفر لن يهجرها لأنه أحبها
وعشقها وأن الذي يهجرها هو المتآمر الخائن الذي عاش فيها ولم يخلف سوى الفساد
والهـلاك :-

لا أهجرها المهجورة في أسال الصيف بلا بحر

أو أصباغ ، لا أهجرها ، الحسناء ، النازفة المتقيحة

الشكلي . . بل يهجرها المتآمر كتعت عباته ، المصطك

الركبة لا من هلع في جبة ابن نصير ، يهجرها المصطاف

المنتفخ الجنين ، اقبل جبهتها وأقول :

صباح الأرضة المحروثة

أطفالا شهداء ، صباح القبلة المفتضة في أعرام

النبعة والعينا ، صباح عيون الرضع صارخة تعبت

الانقاص ، صباح الوردية تطلع فوق رماد مخيم جسر الباشا

نازفة في عرى

الروح الصافية العربية

نازفة في عرى

الفدر الفاقع (٢)

(١) سليمان العيسى ، ديوان الكتابة أرق ، دمشق ، ١٩٨٢ ، ص ١٩٨ .

(٢) حسب الشيخ جعفر ، وطن أسسه بيروت ، الآداب ، ع ١٤ - ١٢ ، ٧٤ ، سنة ٢٤ ،

١٩٧٦ ، ص ٢٠ .

ويؤكد الشاعر سعدى علي السند أن المحبة والعشق أمر طبيعي ، غير أن
العشق يجب أن لا يقتصر بالبكاء والعذاب ، وأن عشق بيروت العربية يفوق عشق أى بلد
آخر :-

علمتنا الشوارع : أن الهوى قاتل
والطريق الذى ما احتوته المحبة لا خير فيه ،
ولا خير في عاشق عذبت الجراح . . ويكفي
علمتنا الشوارع :-

ان الدم الحار زنبقة ورصاصة !!
لماحتوتنا ضلوع النضال . . وقلنا البقية فينا
وبيروت صابرة
والعيون الجميلة لمزقها العاذلون ،
وهذا أوان الحنـان
كل عشق له غربة . . وليبيروت في عشقها غربتان (١)

يمكن معاني المحبة والانتاء ، تعلن الشاعرة زليخة أبو ريشة اعتزازها ببيروت
وحبها لها ، وتؤكد أن حب بيروت عبادة :-

وسال في دمي شعاع موتك البطيء يا
بيروت

قبلت موجك الضباب
طاردت وجهك المنيث في مسار
السحاب

لثمت كلمة الحبيب يا حبيبتى
وحيثما تلمس الحبيب شهوة اغتسال
روحـه

بلحظة الرضاب
فانفتحت على مدا معي

(١) سعدى علي السند ، لبيروت عذاب ولنا عذاب ، الآداب ، ١٤ - ١٢ ، ٧٤ ، سنة ٢٤ ، ١٩٧٦ ، ص ٣١ .

وفوق زرقة تمسوت
وانقذفت في بصرى مجارز الهيوت
وزغودت أعراس محفل الابدانة
وقلت: يا بيروت يا بيروت، حبنا عبادة
لأنه عكس النهى
لأن حبنا انصهاره تذيب حكمة
النظام دججست
بحكمة الأصول
والفصول
والرضى
لأن حبنا يقول:
لا حب إلا الحب..
لا حب إلا الحب..
لا حب إلا الحب يا بيروت (١)

ويؤكد الشاعر أحمد فطاشة أن بيروت ستبقى راسخة في الأعماق كالجذر
الراسخ، فهي الفرع الذي يمكن أعين المحبين وهي الوجد والوتر الذي يحمل أصوات
البسطاء:-

سأفتش عنك فناديني
من بين حطامك
ناديني
أبدا يا وجعا يسكننا
يا فرحا يسكن أعيننا
عذراء أنت كيلا

(١) زليخة أبو ريشة، لا حب إلا أنت يا بيروت، جريدة الرأي، ١٩٨٧/٨/٢،
عمان، ص ٩.

يا وترا يحمل أصوات البسطا*

ويورق كالأشواق

ذاكرة تحمل أغنيائي

وروي تتألق في الأحداق

باقية أنت

وفي الساحات

جدور تبقّى

في الأعماق (١)

مكل عزم واصرار يؤكد الشاعر نذير العظمة أنه سيأتي بيروت من مكان بعيد
ويقتل كل الطاغين في طريقه، لأنه المحب لبيروت المقبل لرماد وصخر بيروت من أجل
أطفالها وسنابلها وخبزها :-

يا مدينة الحكمة التي يدثرها الاحتكار والشهوة

أشب القارات اليك ولست البعـل

أنازل التنين في صاحتك وليس لي

قداسة مار جبريـس

أشب القارات اليك أيتها المدينة

فامنحني فير الزبد

أقبل رملك من أجل البيادر

أقبل صخرتك من أجل الأطفال والسنابل

أقبل رمادك من أجل الحنطة والخبز

والقصائد

بالشهادة الكلمة

بالقلم الرمح

(١) أحمد غطاشة ، ديوان اشتعلات الدم والزنايب ، عمان ، ١٩٨٤ ، ص ١٦٠ .

بالماء الرويا التي تشق الضغينة
وتفجر الحبيب

اقتل عهر الطافية في سراديك وزواريك (١)

أما الشاعر نذير الحسامي فيفاخر ببيروت ويؤكد أنها في انتعاشها كانت كأسماء
بنت أبي بكر، أم لا تكره أبناءها تجمع كل الثوار فيها، رغم أنها مزرحة بالدم، تجمع
كل العرب فيها على المحبة والأخوة :

استغفر الأم ظفر الغدر يجرحها	وفي جوانحها أهل الهوى اختلفوا
ما شرد الطير عن ايك يلبود به	الآن وكان له في روحها غمر
ولا تطوح عصفور بغربته	الآن وحسن له غصن بها لهف
إذا انتمت حرة يكفك قولهم	(أسماء) بنت أبي بكر وما اختلفوا
ذات النطاقين من أبنائها طرف	ومن بني الجرح أشبال الفدا طرف
تعانقا أخوى ليل وشدهما	في ليلها قلب أم في الهوى لهف
يضرخ الدم منها جانحا وفما	ولا يفلّ لظاها في الأسى سرف (٢)

ويؤكد الشاعر ناصر بدوي ان العشق سيقى قائما بينه وبين بيروت وأن كل
المحاولات لن تفصل بينه وبين بيروت الدم :-

أيتها الزنينة
يا رفيقة الحلم الأبيض
والشفيف الأبيض
أيتها الزنينة . . التي تحتمي بخيوط الشمس
أيتها الطونة على طريقة عباد الشمس
أشعر أن دولة العشق ما زالت مواسمها . . تغلب

(١) بيروت والسيدة ، مجلة فكر ، ١٩٨٢ ، ص ٥٥ .

(٢) نذير الحسامي ، ديوان الا تزورنا أيها الغضب ، دمشق ، ١٩٨٣ ، ص ٧٨ .

مراكبي

وان أجفانا أعتى من الموج .. هي التي تركتني
وذ هبت

تري من يصدني عن ملكتي .. ؟

وجد اولي ونبيذى ؟

اذا كنت أنت .. فلا بد أن تعرفي وجه الحقيقة
وهو أن " الندى " عائد في الصباح الاخر ..
وليس هناك قوة تستطيع أن ترهق دوتني
الدوية

فالشمرا لا تباع .. ونكهة الخبز .. كوجع
المشقق

كلاهما احترق ساحة معينة .. في الحرارة
والحوار

وكلاهما صنع لفته الجديدة (١)

ثم يؤكد الشاعر وليد أبو بكر أن بيروت هي الأم التي تحتضن أبناءها وكلهم
أمل ومحبة :-

ونزرع الأحلام

... تأتين يا حبيتي في الصيف

كما يجي " الزهر في الربيع

تضمنا بيروت تحت ظلها ننام

نكون طفلها الوديع

نعيش في الحمراء حينما

في الرملة البيضاء ، في الكورنيش ، في الجبل

(١) ناصر بدوي ، ديوان أهواك ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ١٢٦ .

نعيش في بيروت كالأمل ..
تعيشنا بيروت كالأمل
بيروت يا حبيتي مدينة كالحبيب
وكل شارع نعرفه ينبت ألف قلب (١)

وتظهر عظمة الانتاء عند الشاعر بلند الحيدري الذي يحاول الوصول الى بيروت
ليفصل أوزاره في الظلام قبل أن يوجد مرميا خلف الأسوار :-

أيتها الحبيبة التي تجي* كاخر الليل
ثقلة بهموم العشاق العنودين الآ من حلم
أت قبل الصبح
أيتها الحبيبة المستيقظة في الألم كالجرح
أيتها الرغبة القديمة
يا أرض الطرح
ها أنا أسقط عند أسوارك
أعلق بنواتي* أحجارك
أسقط وأقوم
أسقط وأقوم
ويظلّ الليل وراء الأسوار طويلا
مثل حكايات عجائزنا

ويستمر الشاعر في اعلان انتائه وولائه فيقول :-

يا ليل ان صرت فمنا
خبرها عن هذا العرمي وراء الأسوار
خبرها ان دمي ما زال على الأسوار

(١) وليد أبو بكر ، بيروت الموت والحياة ، الآداب ، ع ٧-١٢ ، ١٠٤٠ ، سنة ٢٣ ،
١٩٧٥ ، ص ١٠ .

يا أنت
الليل البارد خلف الأسوار
يا أنت
الحجر الناتي* بين الأحجار
يا أرض الملح
يا حياً كالبحر
هل لي .. أن أسأل ليلك أن يستر عاري
هل لي أن أضل في الظلمة أوزاري
هل لي يا وطننا من حجر
يا حجراً أقسى من وجه امرأة لا تملك سراً
سيجي* الصبح
وستعبر بي رمياً خلف الأسوار
ولن تعرفني
فأنا مسحوف في ظلي ، وظلي لا يذكر شيئاً عني
... لن تعرفني (١)

أتأ شعراء الثورة الفلسطينية فقد ظهر في شعرهم بعد قومي واضح تجاه
بيروت ، فبيروت هي الأرض التي احتضنتهم وقاتلت معهم ، أنها خيمتهم الوحيدة
وهم سيظلون معها ومع أهلها حتى اللحظة الأخيرة :-

الشاعر محمود درويش عبر عن هذا الموقف في قصيدة بعنوان " بيروت نجتنا
الأخيرة " وأكد أن بيروت ستظل العشق العربي الكبير لكل الفلسطينيين :-

تفاحة للبحر . نرجسة الرخام . فراشة حجرية ، بيروت . شك الروح
في المرأة

وصف المرأة الأولى ، ورائحة الغمام

(١) بلند الحيدري ، إلى بيروت الحجر الناتي* ، أفكار ، ٧٨٤ - ٨٠ ، ٧٩٤ ، ١٩٨٥ ، ص ٥٩ .

بيروت من تعب ومن ذهب ، وأندلس وشام
فضة . زيد ، وصايا الأرض في ريش الحمام .
وفاة سذيلة . تشرد نجمة بيني وبين حبيبتني بيروت ، لم أسمع دمي من
قبل ينطق باسم عاشقة تنام على دمي . . . وتنام . . .
من مضر على البحر اكتشفنا الاسم من طعم الخريف هرتقال
القادمين من الجنوب كأننا أسلافنا نأتي إلى بيروت كي نأتي إلى بيروت . . .
من مضر بنينا كوخنا ، والريح لا تجرى فلا تجرى كأن الريح مسمار
على الصلصال تحفر قبونا فننام مثل النمل في القبو الصغير
كأننا كنا نغني خلصة :

بيروت خيمتنا

بيروت خيمتنا

وهو إذ يعلن عشقه لبيروت انما يعلن أيضا أنه وشعبه سيقفون مع اخوتهم
اللبنانيين في الدفاع عن أرض بيروت ، تلك الأم التي حملتهم بعيونها بعد أن رفضتهم
الدول العربية ، أنه يعلن أن لا أرض تستحق الدفاع عن تعرجها وحنطتها إلا بيروت
وانها المدينة الوحيدة التي سيصدون ويتسرون بها :-

نحن الواقفين على خطوط النار

أحرقنا زوارقنا ، وعانقنا بنادقنا

سنوقظ هذه الأرض التي استندت إلى دمننا

سنوقظها ، ونخرج من خلاياها ضحايانا

سنفسل شعرهم بدموعنا البيضاء

نسكب فوق أيديهم حليب الروح كي يستيقظوا

ونرض فوق جفونهم أصواتنا :

قوموا ارجعوا للبيت يا أحبائنا

عودوا إلى الريح التي اقتلعت جنوب الأرض من أضلاعنا

عودوا إلى البحر الذي لا يذكر الموتى ولا الأحياء

عود وا مرة أخرى
فلم نذهب وراء* خطاكم عثما
مراكبنا هنا احترقت
وليس سواكم أرض ندافع عن تعرجها وحنطتها
سندفع عنكم النسيان ، نحميكم
بأسلحة صكناها لكم من عظم أيديكم
نسيجكم بجمجمة لكم
مركبة زلقت
فليس سواكم أرض تسعّر فوقها أقدامنا
عود وا لنحميكم
ولو أننا على حجر نبحنا
لن نغادر ساحة الصمت التي سوت أياديكم
سندفع بها ونفديكم (١)

وينفس الروح الطهية عند درويش نجد الشاعر معين بحيسو يعلن عن الانتماء
والعشق للحرية بيروت التي كرمت المنظمات واحترمتها :-

رفاقنا
شريانكم على شرياننا
جناحكم على جناحنا
جذورك على جذورنا
ملتفة ، أغصانكم على أغصاننا
وهذه الطيور في سائكم
أطفالكم ، أطفالنا
نقسم الرصاص في حواصل الطيور

(١) محمود درويش ، ديوان حصار لدائع البحر ، عمان ، ١٩٨٦ ، ص ٨٨ .

بينكم ، وبيننا

حيات قمع

حبة لكم ، وحبّة لنا . . . (١)

وأما شعراء جنوب لبنان فهم العاشقون لأرض بيروت ، المقتولون في أزهارها
وينابيعها وأحلامها ، ينسون كل العالم ولا ينسون بيروت ، وهم أنما يمثلون القومية
في شعرهم لأنهم يحطون في قصائد هم هموم بيروت التي هي هموم لبنان كله والعرب
جميعاً .

الشاعر محمد علي شمس الدين يرى أن موته كشاعر من أجل بيروت قد لا يكون
مجداً لذلك فإنه سيقا تل وسيقتل من أجل بيروت الوطن ، فالوطن سيظل عنده شفافة
تطلع من أحلام الفقراء والمهجورين والمقهورين ، أغنية ترددها الحناجر في حقول
الغضب ، وفي ساعات العزلة والتأمل :-

سبقتني الحرب اليك . . .

سألبس خوذة جندي . . . أو أذهب مكشوف

الرأس ومكشوف الكتفين كجندي الأغوار

أحاربهم وأبوت . . .

فهل ترفض موت الشعراء ، وموت مفنيك . . . إذن :

سأقاتل حتى ترضى

فاشهد

مقتول فيك

ومقتول في الأزهار

ومقتول في شفة الأمطار

ومقتول في الجوع

(١) معين بسيسو ، أعماله الشعرية الكاملة ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٦٤٢ .

ومقتول في عطش الينابيع
ومقتول في الشـمـر
ومقتول في الأحمـم
واشـهـد :
سأناديك فتسمعني
وأوزع فون جبال الأرض دمي كالطير . . فتجمعني (١)

ويؤكد الشاعر ياسر بدر الدين على أنه أول العاشقين لبيروت الوطن ، وأن قلبه
متيم فيها ، ومنتعر بجفونهمـا :-

أنا أول العاشقين
وقلبي اسطورة المشق
لكم كان مـرآ
لوجهك لون الحريـو
وشغرك طعم الرمـاد
أنا ميت فيـك
قلبي أسحبه القرنفل
أنا ميت فيك منتعرا بالجفون
اسبقيني الى المـوت
اسبقني وعشتي للجنون
اقلعي شجر النار
ازرعني تربتي شجرا عاشقا
ذرة ذرة
فميناك أبحرتا في دمي
وقلبي هنا مرناً ينتظر

(١) محمد علي شر الدين ، الزلزال ، الآداب ، مج ١ - ١٢ ، ١٤ ، سنة ٢٤ ، ١٩٧٦ ،
س ٤ .

جسدي مرفأ للعبيور
مرهف مثل حلم وشفاء
بضرجه العبد
مرهف مثل حـد
عابر في المفاوز فوق الرذاذ
مرهق مضر الحب والنار
وعينات لوحنا بالغيموم
امطرى ..
امطرى ..
انني مترع بالعيون (١)

أما الشاعر محمد نور الدين فيؤكد هذا العشق بقوة ، ويؤكد أن بيروت
تسرى في شربانه وأنه سيدخل في عينها ورثتها ولا يخرج منها ، يستظل هي المـلـان
الوحيد لـه :-

كانت بيروت محاصرة في جسدي
ودمي منحاذا نحو دمي
قلت أكون
وأدخل في عينيك وفي رثتيك
ولا أخرج إلا في آخر هذا العصر
ولا أنساك
أنا المخبوء طويلا في حدسي
يهجسني هذا الموت الفاتن :
من أين يمر رصاصك يا هذا المقتول

(١) ياسر بدر الدين ، وقلبي هنا مرفأ ينتظر ، الآداب ، ج ١ - ١٢ ، ١٤ ، سنة ٢٦ ،
١٩٧٨ ، ص ٣٣ .

باغنيتسي

أعرف كيف يعود النهر الى النبع

العطر الى الورد

البحر الى الدمعة

لكي يسكن بالنار

وقلبي مجرة الأحلام

أمنحك الفلّ سماء

والقلب صنهرة الشجن

يا امرأة قادمة في الشريان

وفي فولات العربات الليلية

أنساك ولا أنقد ذاكرتي

أمنحك الفلّ سماء

والقلب صنهرة الشجن (١)

وإذا كانت مأساة بيروت دافعا لكل من ذكرت من الشعراء السابقين لاظهار
قوميّتهم وتأكيّد محبتهم وعشقهم لبيروت ووقوفهم الى جانبها في محنتها ، فإن الشاعر
محمد مهدي الجواهري قد سبقهم بقصيدة طويلة بعيدة عن جو المأساة والحرب
يعبر فيها خير تعبير عن انتعاش ومحبة لبيروت ويؤكد فيها أن بيروت كانت وستظل
بيتا لكل العرب ، يحدون فيها المقام الهاني ، الطيب نظرا لعراقة أهلها وكرم أصلهم
ومروءة شبابهم :-

إذا تكون الشكاة عتبا وودا

حب أن ترهفي السمع حمدا

ايه بيروت ما الشكاة بعيب

أنا قيثارة تفنيك لا تط

(١) محمد نور الدين ، أنساك ولا أنقد ذاكرتي ، الآداب ، ١٤ - ١٢ ، ٧٤ ،

سنة ٢٦ ، ١٩٧٨ ، ص ٥٩ .

واليك الخيار أن يتناسى
أنا بيروت قطعة من أديم
لي ما بين دجلة وفترات
ألف قبر كما انتظمت بحورا
أنا مذ سدّ (ذوالقراة) في وجـ
رحت ضيفا لأمة لم تلدنسي
علمتني أن المـروءات والنـحـ
تتعى الكريم خـالا وجـدا
وترى المرء ما يكون نبيلا
علمتني ألا أرى أمـر غـنا
وهدتني أن اصطفى (بعد) قبلا
قلت للآثم المقعد عرقـنا
أرج في الخلق عطـره وشـذا
كم تسوم الأصـلاب جمعا وطرحـنا
كبر الكون أن يجارى ، ولكن

وترلم يشدّ ، أو ان يشدّ
عربي دما ولحما وجلـدا
ألف بيت ملحم وسـدى
أونسجت العوشي بردا فـبردا
هي بابا لم ألف عنه مسـدا
كنت فيها الأعزّ أهلا وولـدا
حوة والمكرمات تعدى وتعدى
وتعدّ اللثيم خصا ألـدا
بربرا كان نجره أو معـدا
أو أعدّ اللحد التراث الفـدى
ونهتني أن ارتصي (قبل) بعدا
يتحرى العروون شـما ونقـدا
— أيها المسخ — لا تشوهدا
وتضم الأجناس عكسا وطـردا
صفر الكون وحده أن يحـدا

وهكذا نجد أن البعد السياسي والبعد القومي لبيروت هما أظهر من غيرهما
في أشعار الشعراء التي درسناها ، فقد أسهب الشعراء في الحديث عن انفتاح
بيروت ، وما شهدته بيروت في سنوات الظلام الأخيرة من قتال ودمار . وبرز لنا البعد
القومي واضحا ونحن نلمس حب الشعراء لبيروت ، وما عبّروا عنه من الحزن العميق لما
ألـم بها من أحداث .

البصرة :

البعد القومي :

حين نتحدث عن البصرة لا بد أن نستذكر أنها الابنة . . وأن سيدنا عمر قد أمر ببنائها لتكون مركزا لتجمع الجند الدائمين عن حمى الاسلام . . ومن هنا يفوح " عطرها القومي " فقد ظلت البصرة الى يومنا هذا وفيّة لرسالتها التي نهضت بها منذ فجر التاريخ ، فدافعت البصرة وهي ترض على التخوم الشرقية للوطن العربي عن كرامة الامة وعزتها . دافعت دفاعا قل أن نجد له نظيرا فيما اشتهر من الحروب وفيما قل اشتهاره ، وكأنها تستذكر أمجاد الماضي وتتنسّم عبق التاريخ .

وان أبناءها وأبناء الامة جميعا يدركون أنها جزء من هذا الوطن الكبير ، وان ما يصيبها من هوان إنما ينال شرف الامة وكبرياءها . فتسابقوا الى الدفاع عنها ، والاستبسال من حولها ، وقد ضربوا في دفاعهم عنها أروع الأمثلة التي ستبقى فسي جبين الزمان غرة ، وتظل في سفر التاريخ حدثا خالدا مشرفا .

لقد ظلت البصرة محط تقدير واعجاب كل عربي يؤمن بوحدة العربية ، كما ظلت محط فخر واعتزاز الشعراء العرب الذين تنادوا من الاقطار العربية كافة لترجمة هذا الاعتزاز على أرض الواقع ، أرض البطولة والفداء ، أرض البصرة . ولقد ظهر الدور القومي لهذه المدينة واضحا في قصائد الشعراء ضمن الحديث عن الموضوعات التالية :

- ١ . الفخر والاعتزاز بصمود البصرة والدور المشرف الذي لعبته في الدفاع عن الوطن الكبير .
- ٢ . الاشارة بالمريد الشعري ودوره القومي في تأكيد الوحدة العربية وازالة الخلافات .
- ٣ . الاشارة بالدور الثقافي التاريخي لهذه المدينة والذي يحمد أسما عريضة بارزة تمثل تاريخا عربيا عريقا يفخر به كل العرب .

١ . دور البصرة المشرف :

تفتن الشعراء في رسم صور بطولية معبرة لمدينة البصرة ، وأشادوا بالمدد
القوي الكبير الذي لعبته في الدفاع عن حيا العروبة ، كما ضمنوا قصائد هم عبارات
جامعة لك معاني البطولة والفداء ، فهي " البصرة المجد ، والبصرة الوطر ، وثغرى
العروبة والاسلام ، والزهرة الصاعدة ، والايقونة ، والام ، والدرع الواقى للأمة ، والسيف
القاطع الذى سجل ويستجى صفحة بيضاء من صحائف العز والمجد لأجيالنا القادمة " .

كما علّق بعضهم على الدور البطولي الذى لعبه المقاتل البصرى في الذود
عن الغالي من أرضنا ، وعلّقوا الآمال عليه وعلى اخوته المقاتلين في استرداد ما اغتصب
من أرضنا العربية .

فالشاعر الموريتاني خليل النحوى أكد فخره وفخر كد العرب بمواقف البصرة
القومية المتمثلة في حمل هموم العرب جميعا ، وصنع الرجال الأبطال الذين يحملون
الوطن في صدورهم ، يرفضون الذل ويزرعون القيم الشماء شامخة في سما هذا الوطن ؛

أكبرت شأنك أم الصيد ، ما وهنت	منك العزيمة ما صحّ الذى ذكروا
مضت عليك وها ما زلت مخصبة	ست عجاف . . فماذا يأكل البقر
تمشين في الدرب هونا ما . . واهونا	في الدرب أن تخز الاشواك والاهر
موتورة برزايا العرب موقرة	بهم . . أى هم ليس ينحصر
مسكوة بهم المجد يحملها	جند من العرب لاهون ولا خور
بيض الصنائع اطهار الهوى صدق	عند اللقاء . . أعزاء القنا صبر
هم زارعو القيم الشماء مندج	فيها الشوخ وآى الله والسور

والشاعر في القصيدة نفسها يؤكد أنها ثغر العروبة والاسلام منذ أقدم
الأزمان ، وأنها الزهرة الصاعدة في كد صحارى العرب ، القابضة على السيف في يد وعلى
القلم في أخرى :

أكبرت شأنك تاريخا ولحمية	وموجة فوق شط المجد تنكسر
ثغر العروبة والاسلام انت بهذا	يشهد الله والايام والسير
أكبرت شأنك يا سيفا ويا قلمنا	ويا قبايا بمجد العرب تدش

يا زهرة في صحارى العرب صاعدة حيث المهامه ... لا ماء ولا شجر (١)

وهو كد هذا الموقف القومي الكبير الشاعر عبد الوهاب البياتي الذي أعلن أن
البصرة قد قاومت منذ أقدم العصور كد الغزاة بوجه عزي أصيل، محمد معنى القوسية
العربية الا صيلة ويكشف عن معنى البطولة والفداء :

كانت كعادة أهلها البسطاء

تجتجح البطولة والفداء

تستقطر التاريخ معجزة

وشارات انتصار

موجهها العربي

في كد العصور

- مدينة الشعراء والعلماء -

قاومت الغزاة

هاكرم الشجر النخيل

وشطها

كانت الى الشهداء في معراجهم

زاد المعاد (٢)

ويتغنى بهذا الموقف أيضا الشاعر عبد الرحيم عمر، فهو مفتون بهذا السحر
المشحون بالايحاء والابداع والثورة، بالوجه العزي الراهض على الجبهة الشرقية للوطن
العربي :

سهيب وجهك العزي يا بصرة

وهذا العبق المشحون بالايحاء والابداع

(١) دار الشؤون الثقافية العامة، لماضيها نغني لمستقبلنا نطلق الكلمة، ج ١، بغداد،

١٩٨٦، ص ٢٦٥ .

(٢) عبد الوهاب البياتي، البصرة، الأقلام، ١٤، سنة ٢٢، ١٩٨٧، ص ٦ .

يحمل روعة الضار التي ألفت على الخابور
والقارون

ظل عباءة عربية الافياء والثورة
وغابات النخيل

ملاعب الفرسان والشعراء
منذ أنساب وفق الشعر من أعماق راعية
ومن أشجان ساحرة
تغني للهوى والليل والقمر (١) .

ثم يشيد الشاعر أحمد سليمان بمواقف البصرة القومية ، ويخبر بانتصاراتها ،
مؤكدًا أن هذه الانتصارات هي بداية الطريق للنصر العزبي في كل مكان وحاملة الأمل
العزبي المشرق :

يا موجة شعري العربية
يا حاملة الأمل العزبي من الفار
ومن بصرة أوزان المجد
المكتوبة والمروية
أنا بعد تفجر هذين النصرين
بموسيقى لم تعرفها الأوزان
بموسيقى ابتدعت أروع وزنين
ألا لن أكتب إلا بهما - بعد اليوم -
فيا وزنين انتصرا
يا نصرين اختصرا
كل الأوزان
كتبنا بهما للفت

(١) عبد الرحيم عمر، في البصرة، جريدة الرأي، ٣/ ١٠/ ١٩٨٧، ص ٩ .

أيقظنا كك كتابات الابداع

النسبة

علّقنا في أستار الفأو

قصيدتنا المصرية (١) .

ويظهر مدى اعتزاز الشاعر التونسي عبد المجيد الجمني بمواقف البصرة القومية
الشجاعة حينما يعلن أن البصرة جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير ، وأن انتصاراتها
انتصارات لكل العرب :-

وقفت على قمة الأوراس

لأراقب مليون شهيد

يمصفون مع النجوم

سقطت من قمة الأوراس

فالخليفة هناك قطع رؤوس الشهداء

العراق قصيدة الأمة

والبصرة قصيدة العراق

أنا أتحدّى من يحدّد جغرافية البصرة في جسد

وجغرافية الوطن العربي

البصرة لنا

والنصر لنا

والفناء لأعدائنا (٢) .

أما الشاعر التونسي علي دب فيفاخر بمواقف البصرة البطولية ، ويؤكد أنها
القلعة الحصينة التي حالت بين الفزاة الطامعين ومرادهم في هذا الوطن ، والسيف
القاطع الذرّ علم أهلنا معنى العزة والكرامة وحان بينهم وبين الذل والهوان :

(١) أحمد سليمان الأحمد ، توكلنا على الله ، جريدة الثورة ، ١٩٨٨/٦/٥ ، بغداد ، ص ٧ .

(٢) عبد الجبار داود البصري ، المرشد السابع ، احتفالية الشعر العربي ، (١٩٨٦) ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١٨٣ .

ان ذاهلدا
لا يشابه أمثاله
فالسواتر كاكي
حليب الطفولة كاكي
وحتى أنا صرت كاكي
فيا شعراء النهرات
بلد لا غبار عليه
بلد لا يشابه إلا ذويه
لولا كنا . . على بعدنا
صهوة للفزاة (١) .

أما شعراء العراق فقد أظهروا هذا البعد في قصائدهم ، وكشفوا عن مواقف
البصرة القومية في أكثر من موقع ، فالشاعر عبد المحسن عقراوى يؤكد على مواقف البصرة
القومية ، بينما أن البصرة ستظل حصنا منيعا في وجه كل الأعداء الطامعين لأنها
عاهدت كل العرب أن تكون كذلك :

كّ الوحوش على أيدائنا اجتمعت	الذئب والتعلب المنّار والنمر
يا بنت عقبة ما نأت كواهلنا	ولا ارتى خورا أبنائك القدر
مادام في عرقنا نبض فنحن على	عهد العروة حتى يرحل الفجر (٢) .

ثم يفخر الشاعر علي الأمانة في قصيدته " البصرة القصيدة " بانتماء البصرة
وأهلها الى التاريخ العربي المجيد ، في الوقت الذى تنكّر فيه الكثيرون لهذا التاريخ
وأساؤا له :

ها نحن في زحمة الحلّى يحاذرنا	ليل ويرقنا من ظلمة شفى
نحن انتينا الى تاريخنا بدم	وآخرون على تاريخهم بصقوا

(١) لماضينا نفنى ، ج ٢ ، ص ٩٣ .

(٢) عبد المحسن عقراوى ، ديوان لهيب الدم ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٢٨٩ .

كم احتملنا عذابات موججة
وكم مشينا وعشق الارض يحملنا
فكيف كل دروب العشق تنكرنا
بخالص الود لا ذل ولا طسق
مزقين ولا يلوى لنا عنسق
ونحن أول من هاموا ومن عشقوا (١).

ثم يبين الشاعر كاظم نعمة التميمي من خلال قصيدة خاطب فيها بصرة الفداء ،
ان الارض التي يدافع عنها جنود البصرة ليست أرض البصريين فقط بل هي أرض لكل
العرب ، وأن النصر العراقي فيها نصر لك العرب :

حبك الخالد ما أعظمه
سنوات العمر عشناها له
يا لعينيك التي عشاقها
انهم جيشك فرسان الحمى
وانظريهم لو يشاؤون اذن
مسعدى حيناً ، وحيناً مغضبي
وارتشفنا ضعفها من الكسب
أكرم الناس ، كرام النسب
فانظري كد كسي أغضب
أحقوا الدنيا بأرض العرب (٢).

وينفس الروح والحاسة نجد الشاعر مجيد العالكي يشير الى أن الزنود البصرية
قد درأت وتدرأ كد الامواج والزخوف المارقة من أجد أن تتوج ملحمة شط العرب ، لأن
في الدفاع عن هذا الشط دفاعاً عن كرامة كد العرب :

غداة يكون الفجر . . . يشد النخض صفائر نسوته
بزنود البصريين ليدرأ موج زخوف مارقة
ويتوج ملحمة الشط العربي (٣).

ولأن البصرة محفورة في شريان كد عربي ، فالشاعر محفوظ سليمان لا ييأس
من الموقف العربي تجاهها ، بل يشير البصرة بالنفير العربي والتقاء الدم العربي
على ساحها من جديد ، ذلك أن البصرة أرض عربية دافعت وتدافع عن كد العرب
بوجه عربي مضى :

-
- (١) علي الامارة ، البصرة القصيدة ، البيان ، ع ٢٢٦-٢٢٩ ، ٢٢٩٤ / ١٩٨٥ ، ص ١٤٠ .
(٢) كاظم نعمة التميمي ، ديوان القصيدة تكتب عنوانها ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٢١ .
(٣) طراد الكبيسي ، قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٣٤٢ .

غدا نأتيك يا بلد الخليل قصيدة حرى
 قرايينا لصوت الحب والذكرى
 حملنا جرحنا والأش والاعباد
 عبرنا الأرض والاعباد
 من الصحراء عدنا ، غيلنا والنوق من شهبان
 ومن قحطان ، من عدنان ، من مضر
 وصوت محمد يسمو ، ومن عمر
 نداء المجد والانسان
 غدا نأتى نخيلا ساعقا ذهبيا
 غدا نأتيك فرسانا عراقيين أو عربا
 غدا نأتيك عمالا وفلاحين أو طلبه
 غدا : شعرا أو كتبه
 تغذ الحرف والكلمات من جرح ومن ألم
 غدا نأتيك بالاشعار والكلم
 قوافيها تقطر من جراح المجد شلالا من الذهب
 غدا عبر القناطر والمعابر والدم المسرب
 سيصرخ كد ما فينا : أنا عربي
 سيصرخ صوت نجد والربى ، الاوراس والجبل
 سيصرخ غاضبا والمجد يتهل
 ستهتف أرض بيسان ويهتف صاد يا بردى
 غدا نأتيك يا أرض العراقيين يا أرض الحضارات
 سنأتى بابل ، والنيل يأتى واللظى آت
 من الاعاق : ينهض ثائرا بردى . (١)

أما المقاتل البصرى فقد نال حظاً من الاشادة بالدور البطولي القومي ،
 فالشاعر المصرى احمد عنتر مصطفى يفاخرني احدى قصائده بمواقف جندى البصرة

(١) محفوظ داود سليمان ، ديوان ملكة الانهار ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٢٧ .

القوسية المتمثلة في الدفاع عن أهله في البصرة، وعن الأهل في سائر الأقطار
العربية " الرباط، دمشق، القاهرة " لأنه مؤمن بأن في الدفاع عن البصرة دفاعا
عن وطن بأكمله :

في البصرة الآن - أبصرته صاددا
تنسج الذاكرة
طيوبا
وجوها
يرى بينها أهل محلته
ولامح زوجته
وعيون أحبته
ربما لاح وجه تداخل في اللوحة العابرة
صديق له في " الرباط "
وعينان يعرفهما في " دمشق "
ومضى الألفة في " القاهرة "
.. حينما أزلت الطائفة
بعثرت في الدماء الروى
هَبَّ محتشدا
كان سورا من النار
يمتد
يحيي الطفولة
والمجد
والمدن الخائرة . (١)

ثم تفخر الشاعرة ساجدة الموسوي بشجاعة ابن البصرة ومواقفه القوسية الشريفة،
فهو مقتد لا يفكر إلا بالله وبالأمّة العربية لأنه مؤمن بأهمية الكرامة العربية التي

(١) أحمد عنتر مصطفى، لوحتان، الاقلام، ع ١ - ع ٤، سنة ١٩٨٦، ص ١٨٠.

حملتها البصرة منذ أقدم العصور :

كخبط من الليل شاربـه

وفي موضع حجم قلبـه

يجلس القرفصا

لا تطلّ على الارض منه

سوى عينه الثاقبة

وفوهة رشاشه المستقيم

يجلس القرفصا

بين برد وطين

طوال النهار يفكر بالله

والأمة العربية

طوال المساء يفكر

بالشـمس

أوهيته ، و " سنـيه "

ذلك الولد العربي

سيمعرفكم

بل ويعرف أسماكم

وإذا زرتـوه

ستلقون آثار

زواره السابقين

بقايا من الشمس

والفضة القمرية

بقايا من الدم

والضحكة الباطنية

بقايا من الحلم

بقايا من الدمع

بقايا لأغنية عربية. (١)

والبصرة ، على الرض ما تعانيه ، فالأمل معقود عليها وعلى رجالها الأبطال
في استعادة ما اقتصب من أرضنا العربية ، لأن أبنائها يؤمنون بأن كد القضايا
العربية قضاياهم الأولى ، فالشاعرة بشرى البستاني تؤكد في إحدى قصائدها أن
الاتام معقودة على عراق العروبة في استعادة القدس الشريف ومعث الجدد فيه
من جديد :

من غير العراق يضم وجه القدس
يا أبا ويا أملا ويا غرة
لعينيك شمعة نذرا
وزنار لخصرك أحمر يضري
أيا خمرية الوجنات يا بصرة
ويا عربية اللغات والغمزات. (٢)

وتعلق الشاعرة عاتكة الخزرجي الاتام أيضا على البصرة في العودة الى مسرى
الرسول وتحطم أوثان الصهيونية وتطهيرها من الغاصبين الطامعين :
أفيحاً هل عودة ترتجى
أحقاً نعود لمسرى النبي
ونأسو الجراح بحدّ الصفاق
أحقاً نعود لسهد المسيح
أفيحاً ، إنا غدا عائدون
معث يحطم أوثانها
الى القدس نسح أركانها
وعنها نظهر أدرانها
وتلقى الأهلة صلبانها
فبالحق نغلب بهتانها. (٣)

-
- (١) لماضينا نفني ، ج ١ ، ص ٣١٤ .
(٢) بشرى البستاني ، ديوان زهور الحقائق ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٩ .
(٣) لماضينا نفني ، ج ١ ، ص ٣٧١ ، مجلة الجامعة / الموصل ، ١٤ ، ٤٠ - ٨ /
٦٤ ، سنة ١ ، ١٩٧١ ، ص ٦٤ .

٢ . المريد ودوره القومي :

المريد ظاهرة حضارية وسوشرقي الانسان العربي في القرن العشرين ، وهو ملتقى يجمع بين الشعراء لمعبّروا عن ضمير الأمة ، وما الاستجابة اليه إلا لأن البصرة تعيش في وجدان كل واحد منا ، وسبب ما تشكّل البصرة من ثقل قومي عند العرب جميعا . وأن الشعراء يرون في القدوم اليها كد عام شيئا من الوفاء لها ، وهو وفاء لا ينطق إلا بالحب ، ولا يتم عن شيء سواء ، وهم لذلك يجددون لها العهد ويجددون لها البيعة كد عام .

ان تاريخ الشعر العربي سيسجل علامة خاصة لمريد البصرة باعتباره انجازا قوميا استطاع بحيوته أن يتخطى التفرقة والتجزئة والاحتراب وأن يبادر الى تأكيد معنى الوحدة وجدواها وجدارتها ردا على الانعزال واللامبالاة .

لقد سجل كثير من الشعراء العرب مكّد فخر واعتزاز هذا الدور القومي الرائد لمريد البصرة ، ويبنّون أن مريد البصرة ليس تقليدا ثقافيا عراقيا قديما ، بل ان الدعوة اليه والعراق لا يزال واقفا على خط النار يشكّل تحديا لكل الذين يعتبرون الثقافة نشاطا هامشيا في حياة الأمة ويعتبرون الشعر منفصلا عن استراتيجية النضال وقومية المعركة .

الشاعر السوري أبو فراس يوكّد أن لقاء البصرة هو لقاء الحب والشوق ، اللقاء الضي ، اللهم والعزائم العربية ، فها هي البصرة تفتح صدرها لكل الأحباء العرب لتعلن للجميع أن نصرها هو بداية النصر لكل العرب :

لبصرة الكبر ما قالوا ، وما نظموا	وللصور حنت هاماتها الكلم
يا بصرة المجد وما وفّتك قافية	حقا ، وأنت أبا الصيد والشييم
يا بصرة المجد الفيناك شاحخة	يعلو روع بنيك الفخر والشمم
وها أنتك وفود الشعر قاطبة	وفي قلوبهم الأشواق تضطرم
وفي نفوسهم وجد لما انتقدوا	وفي نفوسهم وجد لما حرموا

وصافحتهم وجوه سمحة فاذا
وعانقتهم زقاريد لثاكلة
غرا أنت ، وأنت الفجر مرتقبا
من كد عين يفيض العزم والهمم
تقوى ان ديارى للعدا حرم
وأنت أنت الهوى والنصر يتسم (١).

ثم يشير الشاعر قاسم البدر الى هذا اللقاء ويبيّن أنه لقاء الأخوة العرب
من كد مكان ، جاء استجابة لنداء عربي صميم مكلّد بالحب والودّ والوفاء :
بلغنا مداها لا نجوع ولا نعرى
نقود خطاها للعلاء وحسبنا
أبت أن ترى الايام الآ مواكبا
نعللها بالوصل نفسا اذا بها
فما اتخذت يوما اشاحة مدنف
ولكنها ضمت الى الصدر أخوة
أجابوا نداء يصرها موحددا
وطافوا بفيحاء العراق مواكبا
وصرنا لها قلبا وصرنا لها فكرا
بأن نجعل العلياء ساحتها الكبرى
من النور والاقاق طاقة بشرى
جوى مستهام قد تملكها دهرا
الى الودّ نهجا والى صلف عذرا
أحبا ، اني في تلسفهم أرى
حرى بأن يلقى على عجد قدرا
تألق فيها الحب فانتفضت كبرا (٢).

ويبيّن الشاعر السوداني جعفر حامد البشير أن هذا اللقاء هو لقاء الحب
والودّ لكل من أحبوا العراق وأرادوا له النصر والتسامي، ويبيّن أن أجمل ما في هذا
اللقاء أنه يأتي على أرض البصرة (أم العرومة) و (بوابة الشرق) التي أصرت على
أن تضم كد بينها خارجا أو مواليا :

أيا بصرة التاريخ أنت مدلّة
والفكر والعلم اللذين تفجرا
وها أنت أم للعرومة صدرها
أناجيك يا " بوابة الشرق " خاشعا
بحاضرك الداوي اسودا ضاريا
على قم الدنيا فأشرقن ماضيا
يضمّ بنيتها خارجا أو مواليا
لذاك الجلال الضخم أهتف شاديا

(١) لاضينا نفني ، ج ١ ، ص ١٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

بعمام مضي جئناك والشوق طافر
وحق بنا من أهلك الصيد معشر
فكان لقاء الحب والود للألسي
فما مرهبا بقا على الدهر فكمسه
سوى قطرة من بحر علمك لم تزل
فمنك ومن بغداد كانت معارف
فعدنا وعاد الشوق من بعد طافها
شيوخا وفتيانا أجاهاوا الناد بها
أرادوا عراق المجد يصعد ساعيا
حيالك يأتي نحوه الشعر ساعيا
تفيض على الدنيا فنونا فواليسا
(١) ومن كوفة الكرار، رضى المعاليها .

ويشيد الشاعر التجاني دفع السيد بهذا اللقاء العربي الكبير على أرض
البصرة، ويفخر بلقاء أهل البصرة للشعراء العرب، حيث ينهض السياب (ابن البصرة)
هناك لاستقبال هذا الضوء العربي الساطع، وتنهض المدينة ونخلها ونساؤها
لاستقبال كل الشعراء، وتهتف فتيات البصرة باسم كل العرب، ويؤكد أن كل قيادة
تاريخنا العربي سيعثون في بصرة المجد من جديد :

عندما تستقبل البصرة ركب الشعراء
ينهض السياب يستقبل ضوءا عربيا
والأناسيد التي تنهض في قامات أطفان من البصرة
تستقبلنا
والنساء البصريات اللواتي كن باقات من الورد على المرمد
يستقبلننا
وعلى الشارع أرتان من الفرمان تستقبلنا
ونخيل البصرة المستد ظلا في قبور الشهداء
جاء للساحة يستقبلنا
وأتى يلتق في خاصرتي شط العرب
آه يا شط العرب
وأنا من أهازيج الصبيات الصغيرات من البصرة صوت
كالصدى

- نحن جيل عربي ينهض الساعة كالشمس .. ويصطاد

الذرى

- كلما يطلع منهم فارسي .. وجوسي .. مكاهري ..

يطلع القعقاع فينا .. والمثنى .. وابن وقاص .. وخالد (١) .

كما يفخر الشاعر عبدالله الفيصل آل سعود بالتقدم الفكرى والشعرى لمدينة البصرة، ثم يركز القول حول مرشد البصرة (القديم الجديد) فيؤكد أن هذا المرشد كان وسيظل ساحة الاوطان التي تجمع الخالدين من قادة الفكر من كد الاقطار العربية، وأنه قد حمل الطابع القوي منذ أقدم المصور حيث كان ملتقى الشعراء العرب وعلى رأسهم جرير والفرزدق والأخطل :

يا بلاد التاريخ في الأسس واليوم	وفي المقبل البهي السعيد
عهدك اليوم عهد فكر وشعر	وسلاح وقوة وجنود
يحطم الظلم والعدا ويحيي	سنة العدل والوفاء الفريد
في زمان أصبح العدل فيه	محض وهم وما له من وجود
حبذا المهرجان في ساحة الاوطان	في المرشد القديم الجديد
جمع الخالدين من قادة الفكر	الى حفل عزّة وخلقود
كان من قبل حلبة لسراة الشعر	يزهو في سالفات المهود
وتجلى القريض فيه فكلا	منشد يحتفي بمذاب النشيد
وجرير مع الفرزدق والأخطل	ينشونه لغرض الوجود
جمعتهم ندادة الحرف صفّا	من نديد مطارح لنديد (٢) .

وفخر الشاعر العراقي محفوظ سليمان لأن هذا اللقاء الكبير يتم في أرض عربية عزيزة، وفي شارع عربي عريق يحمل اسم الباني المؤسس (عتبة بن رزوان) :

(١) لماضينا نغني، ج ١، ص ١٣٧ .

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١ .

في بلدة في شارع من مطر أورصاص
والبحر يستيقظ من الف عام
في شارع مرّبه (عتبة) أوصدّام
وكان ضيفا فيه ، كان الشعراء والاصدقاء
ضييفة في قاطع البصرة ، كان المساء
يستذكر العاصي ، ويزكي الدماء
في بلدة مخضلة خضراء (١) .

ثم يشير الشاعر هنري باسبل الى هذا اللقاء الاخوي الكبير في مدينة
" عتبة بن غزوان " ، ويبيّن أنه لقاء فخر واعتزاز بصمود مدينة البصرة وصمود أهلها
ثم يفصل الحديث في أهمية زيارة الشعراء العرب للواقع الحربية والتي علّت كل
الاخوة العرب أن نضال أطفال البصرة هو نضال عربي تتجلى فيه معاني القومية
العربية :

ومن بعيد
لم تكن المدافع صامتة
لكن المدينة العريقة
مدينة عتبة بن غزوان
وضعت يدها بأيدينا
ووجدت أصوات الشعراء
الذين لم يعرفوا حتى وصولها
انهم جاءوا ليروا
كيف ذبح ليعلموا الحداد ،
لكنهم جاءوا كذلك
ليحتفلوا بصمود مدينة

وصمود شعبها
الذى لا يريد غير أن تظل الشمس
تشرق على خليج العرب
وأن تعان الكرامة والحياة

—
من البصرة الى بغداد
عاد القطار — أثقل
فقلوب الشعراء امتلات
حزنا على موت لا مبرر له
وامتلات بصور الشجاعة
للأطفال والنساء والرجال
وهم يحاربون دفاعا عن أرضهم
عن حبيبهم ، عن اخوة تضنا الآن جميعا (١) .

ولما كان هذا المهرجان ملتقى الأخوة العرب ، فإن الشاعر راضي مهدي
الصعيد يغتم هذا المهرجان ليؤكد للأخوة الشعراء العرب ، انهم يلتقون
على أرض عربية عزيزة ، لقاء الوفاء والشهامة ، ويخاشدوهم أن يجعلوا من دمهيم
الغالي طريقا لتأكيد معنى الوحدة العربية في ساحة المجد والعز والانتصار
هناك :

أقف الآن . . أيها الأخوة الملتقون معي
في النشيد الكبير الذى ما له غير صحوته
واحتراقات أصداؤه من مدار
صيحة

لا تناشدكم أن تكونوا سيوفاً ولكنها تنتخبكم
بأن تجعلوا دمكم - وهو من دمنا - لا يعانق إلا أفعالنا
حين تحضننا ساحة تمنح الزمن والمجد والعز
والانتصار . (١)

٣ . الدور الثقافي التاريخي :

يتجلى البعد الثقافي للبصرة بما كان لها من زخم ثقافي قديم ، فقد كانت منارة للفكر وموقلا للأدب ، وموردا عذبا لطالبي العلم من كل البقاع ، وقد هيأت بذلك لظهور نخبة من الكتاب والشعراء والأدباء من لمع ذكروهم وحلقوا في سماء الأدب عالياً ، فأينا لا يذكر الجاحظ الأديب العربي المعروف الذي كان يكثرى دكاكين الوراقين ويقضي فيها الليل وهو يقرأ . ومن منا لا يذكر من أئمة النحو العربي سيويه والخليل بن أحمد وغيرهما ، من كان لهم الفضل الأول في وضع علم النحو العربي وعلم العروض . . .

وتجود البصرة على أهلها وأمتها بك اللامعين من الشعراء واللغويين ومن شعرائها الفرزدق الذي نشأ في باديةها ونهل من ينابيع اللغة فيها ، ونهبط في الزمان هبوطا سريعا لنصل الى العصر الحديث فيلقانا بدر شاكر السياب ابن البصرة وشاعرها الكبير . . . ويستوقفنا بأشعاره الاجتماعية والوطنية التي يتحسس فيها آلام شعبه وأمته .

ان تاريخ البصرة الثقافي حافل وطويل ، وهو تاريخ مجيد ترك بصماته على أبناء البصرة اليوم ، فالكثيرون منهم يتدفق الشعر على ألسنتهم بصورة عفوية ، ويعتزون بلفتهم وأمتهم ، ويعتبرون الانتماء اليها شرفا لا يوازيه شرف .

ولما كان تاريخ هذه الثقافة تاريخا لك العرب ، يفخر ويعتز به كل فرد عربي ، فقد وجدت نفسي مضطرا لأن أجعل الحديث عنه جزءا لا يتجزأ من البعد القومي الذي تمثله مدينة البصرة .

الشاعر عبد الكريم الدجيلي يشير الى ازدهار البصرة فكرا وأدبا ، حيث تعددت فيها العقول ، وتعهدها سوانح الافكار ، وتزاحمت فيها المواهب واحتككت الآراء من كل الجهات ، كل ذلك رغم الحوادث والمصائب التي تعرضت لها على مر المصهور :

حيّاك تاريخ الهداة
عليك من شبح الشراة
خرايد ومن الدهاة
في شتى الهبات
مغناك من كل الجهات
واستقامت للهداة
ن عاطرة الشداة
ملينة بالمرجفات
فيها بكل العاصفات
القاتعين بكل عات
لظى على كل الطغاة

يا بنت دجلة والفرات
ورعاك وعي المخلصين
وهفت اليك من العقول
وتعهدتك سوانح الافكار
واحتكتك الآراء فلي
وتزاحمت فيك المواهب
لازلت من ألف وحتى الآ
مرّت عليك الحادثات
فصدت للبلوى بما
حتى اذا مرّت جهنم
كنت النار هدى وكنيت

والشاعر في القصيدة نفسها يشير الى أشهر الاعلام العربية البارزة
في تاريخ هذه المدينة، حيث ابن سيرين والجاحظ والخليل بن أحمد الفراهيدي
ومشار بن برد وغيرهم ممن عطروا المدينة بعلمهم الكبير المميز :

واستقامت من مبات
لتلك الحالات
على هداك خطى الهداة
الزمان الى الرواة
القرون أهدى النعاة
من العروض الى الشداة
شاخصا عطر السمات
رائح أبدا وآت (١) .

زهت الحضارة في ربوعك
وتعطّرت بروهي (ابن سيرين)
وتوسّست بالمدلحين
(الجاحظ) الجبارين فم
والعبقري الفذّ معجزة
وابن " الفراهيدي " الذي
لا زال ربك بابن (برد)
الرائع الابدى فيها

(١) عبد الكريم الدجيلي، تحية البصرة، الأديب، ج ٣، سنة ١٩٧٢، ص ١١٠ .

أما الشاعرة عاتكة الخزرجي فتذكر بالأيام الخالدات لمدينة البصرة، أيام
العزّ والابتناء، وتذكر بالوجوه العربية في تاريخ هذه المدينة والتي ستظل نـسـورا
يهتدى به على مرّ الأيام. فقد عرفت المدينة أعلاما من فاقوا سحبان وائل
في البلاغة والفصاحة :

أفيحاً يا بسمة الرافدين	لقد هجت في الروح تحنانها
تذكرت أيامك الخاليات	وذكرى توجب شكرانها
وان أنت كالطلّ أو كالعبير	بماقي دمشق وفدانها
تمثل لي العزمل' الـهاب	وهل نفعي كنت أوكانها
أفيحاً لو تمسحين الدموع	وسرى عن النفس أشجانها
وعودى لأسك كي تبعشي	وشقي عن الروح أكفانها
فهذا " أبو الفضل " " عباسنا "	تلوم " فوزا " وهجرانها
وذاك " ابن برد " وذى " عبدة "	وشيطانه غرّ شيطانها
وهذا " النواصي " في حانه	يصبّ من الراح ألوانها
وذاك " الفرزدق " من صخره	يقيم البيوت وأركانها
وهذا " أبو عمرو " في حلقة	يدبر الأحاديث أفنانها
وذاك " الخليل " وأتباعه	يقيم القوافي وأوزانها
وذا الأصمعي يعتب العلوم	ويسقيك نهج ريانها
صاحبة مردها عـسـرت	وشاعرها بزّ " سبحانها " (١)

أما الشاعر حسن عهد الله القرشي فيفخر بالبابي والمؤسس العربي لمدينة
البصرة (عتبة غزوان)، ويفخر أيضا بالعرب الفاتحين الصيد، ويشير إلى مدى
تقدّم المدينة وازدهارها وخاصة في عهد الرشيد :-

غنّ بال (بصرة) واصدح بالنشيد واذكر التاريخ في أنضر عيـد

(١) لما ضينا غني، ج ١، ص ٣٧٣، ومجلة الأدب، ج ٨، سنة ١٩٧١، ص ٦٣،
ص ٧، ومجلة الجامعة / الموصل / ١٤ / ٤٠ - ٦٤ / ٨، سنة ١٩٧١، ص ٦٣.

فمن بال (بصرة) زهرا* الروي
لم يزل بين رهاها ماثلا
ايه روي عانقي هذا الثرى
سامق الفكر تراءى شرا
فمن بالبصرة بالأس العتيق
بهروا الدنيا وكم قد رفعوا
عاشت البصرة نجراس سنا
وسمت آثارها الشم على

موطن الغيد وضار الأسود
عتبة* الباني بها صرح الجود
فهو فجر هز أركان الجمود
فيه واخضل به حب العصود
واستعد ذكرى لجبارين صيد
راية للفتح في العصر الفريد
من عهد زاهرات وعهد
ذروة الاتفاق في عهد الرشيد

ثم يذكر الشاعر مجموعة من العلماء البارزين من سجلوا صفحة بيضاء في تاريخ
مدنهم وفي تاريخ كل العرب ، ومنهم الأحنف بن قيس والجاحظ والحسن البصري
وسيبويه والفرزدق والخليل بن أحمد وأبو نواس ومشار بن برد وغيرهم من الشعراء
والعلماء المبدعين :-

وطن* الأحنف* و* الجاحظ* والـ
سيبويه* الفرد من أبنائها
والنواصي* و* بشار* خلا
كعبة القصاد كم أسرى لها
كم سما فوق ذرى* مرهدها
أينعت فخرا وطابت مجتلى

* حسن البصري* أفذاذ الخلود
و* الخليل* الندب معيار القصيد
ذروة الفن منارات الوجود
عاشق للعلم منهم السورود
مصقع وشاعر عذب النشيد
وتهادت درة في يوم عيد (١)

ثم يؤكد هذا الدور التاريخي القوي الشاعر حسن الأمين الذي يبين أن البصرة ظلت
على مر الأيام كوكبا ساطعا في العلم والتقى والعبادة ، ثم يشير إلى أسماء بعض
الوجوه العربية اللمعة فيها ويقصر حديثه على جرير والفرزدق كدرستين شعريتين
بارزتين في تاريخ هذه المدينة :-

(١) حسن عبد الله القرشي ، من وحي البصرة ، الأقلام ، ع ٩-١٢ ، ١١٤ ، سنة ١٥ ،
١٩٦٩ ، ص ١٠٨ .

هذا العراق وما رأيت كمجده
سد في البيان العبقري أمثله
البصرة الفيحاء أبصر ثغرها
وجرير يهتف بالغرام وينثني
كانت على الأيام أسطع كوكب
اني لأسمع في الخيال هتافها
أبقى على مر الزمان وأخلد
من رتل الآيات فيه وجود
في ظلمة التاريخ يلمع فرقدا
صوت الفرزدق بالمفاخر منشدا
علما وأزهاء تقى وتمبدا
واری مواكبها تنوّم المریدا (١)

ويؤكد أنه أيضا الشاعر شكر حاجم الصالحي الذي يفخر بالبصرة موطن الجاحظ
والحسن البصري والسياب ، لأنها الوجوه العربية التي ستظل أعلاما مضيئة عبر هذا
الدهر يباهي بها كل عربي أصيل :-

كـ مـ
أفتح دفتر أسرارى
فأرى فيه عراقا
يتخندق في خط النار
وأرى قاطع "عاصم"
وضياء الطالب
يقرأ فينا أخبار الفجر
والسفر الليلي المتع
عند ضفاف الثغر
والبصرة سيدة الأقمار الصاعدة
وطن الجاحظ والسياب والحسن البصري (٢)

(١) حسن الأمين ، حب يظل على المدى ، الأقلام ، ٥٤ - ٨٤ ، سنة (١٩٦٥) ،

ص ١١٢ .

(٢) شكر حاجم الصالحي ، ديوان الشهيد ، يطرقون الأبواب ، بغداد ، ١٩٨٦ ،

ص ١٠٧ .

وأنت ترى بعد هذا كله أن البعد القومي للبصرة هو القضية التي شغلت
الشعراء أكثر من سواها ، وتمثّل ذلك في حديثهم عن سوق المهرج الذي ضمّ رجال الأدب
والفكر في البلاد العربية عبر تاريخه الطويل ، وتمثّل أيضا في إبرازهم لدور البصرة في
الذود عن حمى العروبة وسالة أهلها في صد العدوان عن مدينتهم ، مدينة المدن ،
والاعتزاز بها ضيها المجيد ، وما تمثله من زخم تاريخي وثقافي لا ينكره من أهل الضاد
أحد .

العمل الثاني

مواكبة العمر لأحداث الصراع

يتناول هذا الفصل دراسة مفصلة لمواقف الشعراء العرب من المدن المقاتلة الثلاث: موقفهم من الأحداث المعاصرة، ثم نظرتهم لمستقبل المدينة، ومقارنة بين قصائد الداخل والخارج ومدى تأثير التجربة على شعرائها .

وقد اتضح لي من خلال الدراسة أن شعراء القدس قد ركزوا على قدس اليوم والمستقبل، وأنهم قد فصلوا الحديث في قضايا معاصرة كثيرة أهمها حجم المأساة التي عانتها المدينة، ثم تقرير الحكام والشعوب العربية لقوانينها عن نصرته القدس، ثم فضح نوايا الصهيونية الخبيثة والدعوة إلى تجنب شرورها، وأما فيما يتعلق بالمستقبل فقد طعن الشعراء حلولاً كثيرة من أجل التحرير، وأكدوا على مستقبل القدس المشرق على الرغم من كل ما يحيط بها من الغدر والمكر .

وفي قصائد بيروت وقف الشعراء وقفة مشابهة لشعراء القدس في تعاملهم مع بيروت المعاصرة، فصوّروا حجم المأساة، ثم صوّخوا الحكام والشعوب لمجاناتهم ببيروت وتركهم لها تحترق وسط نار الحقد والضغينة، ونظروا للمستقبل نظرة تفاؤل وأمل من خلال التهديد بثورة فقراء بيروت، والتأكيد على اشتراق شمس بيروت من جديد .

وأما في قصائد البصرة، فقد تعامل الشعراء مع البصرة المعاصرة فقط، ووقفوا عند قضايا كثيرة اختلفت عما هي عليه في قصائد القدس وبيروت، حيث جددوا البطولة والأبطال، وأشادوا بصمود البصرة، ودعوا إلى مواصلة القتال ضد الغزاة الطامعين ولعل لطبيعة الظروف التي مرت بها البصرة واختلافها عن ظروف القدس وبيروت أثرا كبيرا في مواقف الشعراء هذه .

موقف الشعراء من الاحداث المعاصرة :-

لم يترك شعراء القدس الاحداث التي عاشتها المدينة تمر دون أن يكون لهم وقفة خاصة معها ، ولم يسمح هؤلاء الشعراء لاهداث المدينة أن تؤثر فيهم تأثيـراً انفعاليا فيستمجلون المستقبل ويؤكدون على الامل والنصر المرتقب دون أن يكون لهم التفاتة للورا ، يصورون من خلالها قضايا معاصرة كثيرة ، فقد حرص شعراء القدس على الوقوف على جزئيات الاساة ، فسجلوها تسجيلا دقيقا ، ثم بينوا آثارها المولمة على المدينة والاهل هناك ، كما وقفوا وقفة جريئة عند مواقف الحكام والشعوب المعيبة ، فنقدوها نقدا واضحا ، وبينوا مدى تأثيرها على معاناة المدينة ، وأشاروا بعد ذلك الى نوايا الصهيونية الخبيثة ومدى تأثيرها على اهل المدينة ونسبها الامة اليها .

وقد فصل كثير من الشعراء القول في وصف أساة المدينة المقدسة وجاء حديثهم منصبا على الموضوعات التالية :

- أ - التخريب والتشويه والتدنيس الذي أصاب المدينة .
- ب - سياسة القتل والتجويع التي مارسها الاعداء مع الاهل هناك .
- ج - التعبير عن غربة المواطنين العرب داخل أرضهم .
- د - تصوير التشرد والطرود الذي عاشه الاطفال والشيخ والنساء .

وقد أفاد الشعراء في الحديث عن هذه الامور ، ولعلهم أرادوا من وراء ذلك فضح السياسة الصهيونية والسياسة الاستعمارية الغربية الهادفة الى القضاء على العرب في كل مكان ، ثم ايقاظ الضائر العالمية وتنبيهها لما يجري في ساحات القدس الشريف .

الشاعر هارون هاشم رشيد كتب قصيدة على لسان القدس ، وضح من خلالها حجم المأساة التي لحقت بها من جرّاء السياسة الفاشية التي اتّبعها الصهاينة فهي مأسورة مفلولة ملطخة بالعار ، تحوّلت الى مدينة للذبح ، فقدت بها جمالها وزواياها المختلفة ، ثم تحوّلت حاراتها ودورها الى آثار مظلمة لا نور فيها ، ولم تعد آثارها معالم مشرقة ، فقد دفنت تحت الردم والتراب ، ولعلّ الشاعر قد جعل من صراخ القدس هذا رمزا للدعوة الى الوحدة العربية :

ناديت : ضاع الصوت منّي والصدى	أين الرجال تبعثروا صاروا سدى
ناديتهم والهم ينهل من دمي ..	والأخطبوط جثا علي .. تمدّدا
ناديتهم فعسى تجول عيونهم	وترى الخراب ، وما أصاب وهّدا
مفلولة .. مأسورة .. موصولة	بالعار لطح عارضي وسودا
تمشي على صدرى تدّس جبهتي	وتجول في جنبي أقدام العدى
ومدينة للذبح صرت ، وظلّفت	بالشوم أيامي وباهي أوصدا
عاد الفزاة وانشبوا أظفارهم	في قلتي تجرّوا وتعمّدا
في كل يوم قطفة من مهجتي	تهوى عليها بالجراحات المدى
تفتالها .. وتبيحها .. وتحيلها	نصبا لا بشع ما أقيم وشيـدا
في كل يوم يعلبون نضارتهم	ويهددون كنيسة والمسجدا
أين التكايا .. والزوايا أصبحت	خبرا تناقله الرواة مـرددا
والدور والحارات ما	عادت كما كانت تضي * توردا
سحب الفزاة على قداسة طهرها	أن بالهم وعدى عليها من عدى
بالنسف يحصد غاليات بيوتها	ويحيلها أثرا كئيبا أسودا
ويقيم فوق ترابها وخرابها	عدوان يزهو ظالما متمردا (١)

ويقارن الشاعر عبد اللطيف الدين بين حالة القدس قبل النكبة ومعدّها ، فيذكر آثارها العظيمة الناطقة بكل ما فيها من تاريخ رائع ، ثم يبيّن كيف تحوّلت هذه الآثار

الى ركام حيث عاث اليهود في الأرض فسادا ، ودنسوا أرض الأقصى :

مدينة القدس اني لست أنساها	ولا سلوت مدى الأيام ذكرها
قد زرتها وهي بالاثار عامرة	تكاد تنطق عن تاريخ منشاها
فكل شي* يروق العين منظره	اذا تشيت يوما في زواياها
لكنها اليوم تشكو ما تكابده	من المصائب حتى حال مرآها
حيث الاغادي تترى في مراتبها	مثل الخنازير أخلاقا وأشباها
عاثوا فسادا وتشويها لمنظرها	وأظهروا حقدهم في حرق أقصاها (١)

وترسم الشاعرة كلثوم عرابي صورة منفرقة لحالة القدس التي آلت اليها بعد أن كانت النجم المضي والقصر اللاح ، فقد ديمت مقدساتها ، وتلاشت أيام النصر منها ، واختفت أحلام أطفالها ، وأصبح قصبها مرآ من جراً* قصف النابالم :

يا وطني . . يا نجما يسكن قصر الريح

والقصر تجاوزه الانوا*

والباب أضعنا مفتاحه

وسألنا صانع أقال الاثراج

هل تصنع مفتاحا

للباب الاحمر؟

صمتت عيناه

ما قال جواب !

داسوا المسجد بالاحذية الزرقا*

شربوا الخمر ببيت الله

سرقوا تاج العذرا*

فتداعت أيام النصر من القهر

وتداعت أحلام الاطفال

في لحظات الاعيار الخصبة بالموت

(١) عبد اللطيف الدين ، دسعة القدس ، البيان ، ١٤٨٤-١٥٣ ع ، ١٥٠ ، سنة ١٣ ،

جاء رسول الشعر ينادي

" النابالم جعل قح القدس مرآ " (١) .

ويشير الشاعر راضي عبد الهادي الى أن القدس كانت جنة فذة الحسن وريتها
تعشق الا رواح طيبة ، ولكنها سرعان ما فقدت هذا الجمال وتحول روضها الى روض
عابس امتنع الطائر المغرر عن انشاده ، وأصبح الفجر عابسا والليالي كثيرة بسبب
ما قامت به الشريعة اليهودية من أعمال وحشية هناك .

حمل البرق الى اسماعنا	والى الاقان أنبا مريسة
جاءنا أنك تلقين الاذى	وتعربن بساعات عصية
فجرك الضاحك أسمى عابسا	وليا ليك غدت شكلى كثيرة
لم يعد روضك روضا عمقا	بات ييما كالح الوجه فريسة
أمسك الليل عن تفريده	ومضى ينشر في الغاب نحيبه
قصص يروونها مذهلة	كلها تنضح بالخزي عجيبة
نبجت أسطرها شروسة	منذ كانت وهي في الرجن ربيبة (٢) .

أما الشاعر حسين الصغير فيرثي لحال القدس، ويقارن بين ما كانت عليه من
اشراق وبها وبين ما أضحت عليه من وحشة وشجو وكاء مؤكداً أن العزيمة لن تفل ،
وأن النصرات لا بد منه :

موطن الاسراء وحسن مقفـر	وهزيج " المهد " شجو وكاء
والروابي وهي خصب متع	جف من واحتها ذاك الرواء
مضها الجذب فعادت ضاففا	ومضى يصرخ في الحقل الشتا
كانت الاحلام فيها فضة	والصدى العرنان عزف وغنا
أكدت الاحلام فيها وعلى	سفحها الثاكن قد ضج رشا

(١) كشوم مالك عرابي ، ديوان النابالم جعل قح القدس مرآ ، بيروت ، ص ٥٣ .

(٢) راضي عبد الهادي ، يا قدس ، مجلة الاسراء ، عمان ، ع ٢٠-٢٢ ، ٢٠٤ ، سنة ٣ ،

ونواديك وقد كان بها
يطرب الشعر على أنغامه
طاف في أرجائه اليوم كما
ايه يا قدس وما جفت لنا
للخيال السح لطف بها
وتجيد القول فيه الشعراء
تمتت تخطب فيه البهائم
عزيمات لا ولا قل مضاء (١).

ويأسى الشاعر بدر توفيق لضياع القدس ويشبهها في بعدها عن أهلها بالارملة
الحزينة، ثم يذكر بفقدائها لصورتها الجميلة البهية في أيدي الصهاينة الظالمين:

آيتها المحبوبة الباكية العينين
كيف بقيت دون صعبك الذين بايعوك ذات يوم
كيف اختنقت صورتك الجميلة
وصرت بين الفاتنات
أرملة بلا دفاع
تستر عريها ببذل قوتها القليل !
آيتها المحبوبة المطاردة
كيف استطعت أن تضي بين دفتي كتابك الرقيق
كل جبال الحزن
وكل أنهار الدموع

كيف سقطت دفعة واحدة في قبضة الفريب
كيف احتملت حازماً . . يلقي الظلال السودا في النصف السليب (٢).

ويرسم الشاعر باقر سعاكة صورة معبرة لما حل بالقدس، فالجنان الزاهية مقفرة
وموحشة، والارض مجدبة، والأهل تواروا بعد أن كانوا بدورا طوالع:
سلام على القدس الحبيبة انهما تقاسي من الشذان أقسى الفواجع

(١) حسين الصغير، شعب فلسطين، الاقدم، بغداد، ع-١، سنة ١٩٦٧، ص ٢٨.

(٢) بدر توفيق، القدس المحتلة، الكاتب، ع-٧٠، ٧٤، ٧٢٤، سنة ١٩٦٧، ص ٥.

وقد أوحشت تلك المغاني وأقشرت
فلا سامر والدهر ران بصرفه
وليمت نيمات العشيات رخوة
لقد أجديت تلك الرياض وأهلها
وكانت جنانا زاهيات العرايح
عليها ولا انس بتلك العرايح
تهب على فغن من الروض يانع
تواروا وكانوا كالهدور الطوالع (١).

ثم يصف الشاعر عبد الجبار الخضر العاساة وصفا دقيقا، فيجعل من القدس قطعة
مقبرة موحشة يسودها الموت والحزن واللوعة، ليلها غامض مظلم، وصباحها عار كبير،
فرسانها قد فارقوها وأغدت سيوفهم، وشموعها مطفأة تنام على أيقونة المظالم :

صلوة منائر المدينة
مدينة السلام والاقداص والسكينة
الريح فيها صرصر مجنونه
الموت فيها بعبع
يذر في أرحامها شؤونه
يسح في أطرافها
يذر في أعطافها قروونه
مقبرة قلونا . . . حزينه
تشكو يباس اللوعة الحرونه
مقبرة . . . درونا
مقبرة . . . كوؤوسنا
مقبرة . . . أعمارنا
مقبرة . . . أبوابنا
تشكو انهار الوحشة اللعينة
بحوكة حناجر الكهان

(١) باقر سماكه، القدس، الاديب، ج ٢، سنة ٢٩، ١٩٧٠، ص ٤٠.

مفلقة منافذ الشمس
مقفلة كل الكوى مسدودة
مثلومة حناجر الفرسان
سيوفنا مفعدة . . . مكسرة
مبحرة مهاجرة . . . رغائب الانسان
مهمورة أضرحه القداسة
مثلولة مطارق الأجراس
مقطوعة مداك الأبراج
شموعنا منطفئة معطمة
نامت على أيقونة المظالم
الليل شي* فامض المعالم
الموت رعب غلف العوالم
الصبح عار نابع الصواط
والشمس فيه عاهر مفتونة (١) .

ولم يتوقف الشعراء عند وصف الخراب والدمار الذي حلّ بالمدينة، بل تناول بعضهم الأعمال الوحشية الأخرى المتعلّقة بتعذيب الأبرياء وتقتيلهم في القدس، فالشاعر داود معلّ تحدث ومن خلال حديثه عن نكبة حزيان، عن الجرائم الصهيونية البشعة والتي تمثّلت بقتل الكبار والصغار والشيخ والنساء، ولعلّ أهم ما يميّز هذه الأبيات أن الشاعر قد بدا متأثراً بأسلوب ابن الرومي في رثائه لمدينة البصرة :

حمل الفجر في حزيان صيحات	الغنايا ورد دتها ذكاً
وعلت تلك الشرارة في الشرق	وهاجت من حولها الهيجا
وإذا بالدوى يرسي الشظايا	تتهاوى من حولها الأرجا
هذه ليلة الفجيعة يا قوم	وهذا نهاركم بلسوا

(١) عبد الجبار الخضر، القدس تحت المقصلة، العرفان، ٧٤، سنة ٦٨، ١٩٨٠،

وصحونا على السفينة تجرى	في عباب تحيطه الانوار
واذا البحر غارق بالضحايا	واذا الدرب ساحة حمرا
رب رفقا بمرضعات اليتامى	ومطفل يخيفه الاعتداء
عميت أعين السعادة عنا	ورأتنا بعينها الظلما
كم فتاة تقاذفتها أيادي الالم	بيكي العرا فيها العرا
طفلة ويح أمها هل رأتها	وهي تعدو وخلفها الاعداء
ورضيع مازال في فمه الثدي	وكقاء خضبتها الدماء
وعجوز مالت يداها على العكاز	طاو قد هدّء الاعياء (١)

أما الشاعر علي البتيري فقد تحدّث عن الذي والذل الذي ألحقه الصهاينة
بترائنا وديننا من خلال الحديث عن التعذيب الذي ألحقوه بشيخ جليل من شيوخ
المدينة، حيث خلعوا ثيابه وصقوا فوق شاريه وألقوا الخمرة في وجهه :

رأيتهم
رأيتهم بأم عمي الروم
يجردون الشيخ ساريا الى الصلاة
من ثيابه
يوضئون وجهه الجليل من زجاجة النبيذ
يجففون بالسيجار شعر ذقنه
وفوق الشارب المحتل يمسقون
سمعتها شتائنا مخمورة
تنصب من كؤوسهم على جدودنا
فقلت يا تراشنا اياك أن تهـون
وقلت يا تراشنا اياك أن تهـون (٢)

(١) الطريق الى القدس، ص ٧١.

(٢) علي البتيري، ديوان لوحات تحت المطر، عمان، ١٩٧٣، ص ٢٠.

وقد عبّر بعض الشعراء عن فربة أهل القدس داخل مد ينتهم ووسط الاعداء ،
قال شاعر عيسى بطارسة يدخل المدينة لأنه يحس بحنانه الكبير تجاهها ، ولا أنه يحس
بأنها الصدر الكبير الذي يحفظه من الضياع ولكنه حينما يدخلها يجد كل العيون
فريبة ، ويشعر أنه ضائع ومضروب وغريب ، يسأل ثم يسأل ولا أحد يجيب :
لأنني انسان ،

لأنني أحس وسط خافقي اليتيم دعوة الحنان
في مقلة ودودة ، في همسة خضراء نظرة
وديمة تظل فريتي
تبك بالحنان وحدتي
لأنني اشتاق شأن كل هارب من الضياع
صدر حب
وشأن كل ضائع ، أمسه الجفاف :
دفع قلب

دخلت في مدينة السلام
للحظة يتيمية ، نزعني عيني برقع الظلام
دخلت في مدينة السلام . . . عن سلام
عبرت كل عين
سألت كل مقلة ، سألت مرة ومرتين
عن نهاية بريئة تقول لي : لا ترتحل

- -

كل العيون هاهنا فريسة
لا تأمن الغريب
ولا تحيطه بحضن ود
وانني هنا غريب
الضائع الذي ما اشتاق في عشرين سوا
هنية الحنان

من يمنح الغريب لحظة العنان ؟
من يمنح الغريب في مدينة السلام
بعد لحظة العنان
كل العميون ها هنا . . تقول لا أحد !
وترسم القصيدة اليتيمة التي يعيشها الغريب
يا شاعر الألم
أيا منقط الحروف في قصيدة الألم (١) .

ثم يشبه عيشه في القدس بعيش الظلام ، يبحث عن يخرجه من هذا الظلام
فلا يجد ، يعيش بلا مأوى ، كل العميون تصدّ ، وترفضه ، ليله عذاب وأنين :
في القدس ما تقوله العميون للعميون ليس لي
في القدس ما يلوح بالعميون للعميون ليس لي
تصدني العميون
ترفضني العميون
وليس لي في القدس بيت
بيت صغير حالم ، بلا أنين
الليل والعذاب كل ما جنيت
وعشت ساعة الرحيل . . عشتها
وكل مقلة تقول
جاءنا الغريب وانتهى (٢) .

ولما كان التشرد نتيجة من نتائج السياسة الصهيونية الفاشية ، فقد وصف بعض
الشعراء هذا التشرد في أبشع صور ، فالشاعر عبد الرحيم الحصري وصف التشرد في

(١) عيسى بطارسة القدس واللحظة اليتيمة ، مجلة الشعر ، ٥٤-٨ ، ٧٤ ، ١٩٦٤ ، ص ١٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .

صورة مؤلمة حيث الخيام والظلم والبؤس والحرمان بعد الرفاء والعزّ والحرير الموشى :

عفو الجباه التي ذاب النهار بها	بعد الحرير الموشى تسكن الخيما
كان الرفاء ظليلا في ملاعبها	والحسن مؤتلقا، والحب مبتسما
يا من لأنة مظلوم ولو سمعت	صيحاته في زحام الخطب ما ظلما
يا من لتأثبة لم تدرك أين غدا	رضيعها أطواه الغدر؟ أم سلما؟
يا من لنصرة شكى نال من غدا	ظلم الحياة... ولما تحصد الحلما
يا من لشيخ بظهر الغيب سلوته	يصارع البؤس والحرمان والهرما ^(١) .

ويكتب الشاعر محمد سليمان الاحمد (بدوى الجبل) قصيدة على لسان لاجئ*
مشرّد يوضح فيها النتائج السيئة للتشرّد واللجوء* حيث الجوع والظنى والبرد داخل
الخيام وتشرّد الأهل من شيخ وأطفال ونساء:

أنا حزن يمر في كل باب	سائل مثل الخطى منهـور
يحتويني الهجير حيناً ولا يرحم	أسأل فقري والزهر يـر
وعلى الجوع والغنى والرزالميا	في دروي أسير ثم أسير
نقلتي الصحراء حيناً... وحيناً	نقلتي إلى الشعوب البحـور
حاملة محنتي أجبر أقداسي	وهومي سمح الفمام مطـير
محنتي الغيث ان أرادوا وآلا	فهدير البركان والتدمـير
حاملة محنة الخيام فتـزور	وجوه عني وتغلق دور
الخيام المزققات وأم	في الزوايا وكسرة وحصـير
وفتاة أذلها المـرى	والجوع يلهو بالرمل طفل صغير
كلما أن في الخيام شريد	خجل القصر والفراش الوثـير
خجل الحاكون شرقاً وغرباً	ورئيس مسيطر ووزيـر ^(٢) .

(١) عبد الرحيم الحصني، ديوان أمواج، دمشق، ١٩٧٤، ص ٢٠.

(٢) من وحي الهزيمة، القدس الشريف، ١٩٨٦، ص ٣٤.

أما الشاعر عمر صبري كتموفيرسم صورة للتشرد واليتم والعذاب الطويل من خلال أبيات مؤثرة يظهر فيها الوضع المؤلم الذي يعيشه أطفال القدس جراء السياسة الظالمة التي تمارسها الصهيونية:

يا ربي ... حين رأيت القدس

تخوض في بحر الدم

بيضا* الشعر

صفرا* الوجه ... كما البؤسا* بيوم الحشر

أيقنت بأن الزمن الأول عاد

قدماه الى أعلى ... ويداه

والرأس يسير على " أرض المعاد "

- - -

يا ربي ما ذقت ليوم طعم الوطن

فأنا منذ شاهدت النور

عرفت المنفى

يا ربي - رحماك - أفشني

رأسي في الطين ... وعيناي تجمد فيها الدم

أصبحت يتيمًا في هذا العالم وحدي

رحلت أمي دون وداع

" والدنيا أم "

والقدس تمدد في التابوت صباهما

وعلا الصدر ذراع

فوق ذراع (١) .

(١) عمر صبري كتموفير، ديوان نداءات الى صقر قریش، دمشق، ١٩٧٢، ص ٥٥ .

النقد الذاتي :

نتيجة لحلول النكبات بالأمّة العربية، عاد الشعب الى نفسه باحثاً عن الأسباب وقادته هذه التجربة المرّة الى نقد ذاته بصراحة فوجد الداء كما في الجهل والتخلف والجمود المغيّم على الشعب، وقد انحصر نقده في أمرين :

أ - مهاجمة الشعوب لتخاذلها وانقسامها .

ب - مهاجمة الحكام وفضح نواياهم .

مهاجمة الشعوب :

وقف الشعراء وقفة قاسية من الشعوب العربية، حيث هاجموها واعتبروها مسوّلة بالدرجة الاولى عن احتلال القدس، ورموها بعبارات السخرية والهزء وعابوا عليها حينها واغضّوها على الذل وتخلّفها عن موجة التقدم الحضاري الهائلة وانحرافها عن الرشد وانصرافها الى الترهات واللهو واستسلامها للهوان .

فالشاعر هارون هاشم رشيد يهاجم الامة بقوة ويعيب عليها ذلّها ويخسر من قادتها ويرثي لحالها بعد أن أصبحت غير قادرة على بعث المعتصم فيها من جديد :

من قبة الاقص ومن حرابه	ومن البراق وما أقيم ووطدا
ناديت على الصوت يوقظ أمّة	نامت على ذل وكفنها الردى
ناديت " معتصم " وبفض خيوله	والجيش والشعب الكبير السيدا
وتلفحت محزونة مجروحة	قم الربى تبكي النجوم الخردا
ما عاد في الوطن الكبير بطوله	ومعرضه الآ السراب تـرددا (١).

أما الشاعر حيدر محمود فيعيب على الامة ابتعادها عن الهدى، ثم يقارن بين حالها بالآن حيث الشجاعة والقوة والحضارة، وحالها اليوم حيث الضعف والجبين

(١) قصائد للقدس، القدس الشريف، ١٩٨٥، ص ٤١ .

والذل ، ثم يرجو الله أن يقيظ للقدس من يعمل على إعادة الجبال والبهائم والديين لها :

وأموالها . . يوم الحساب ، حسابها	ملايين ! ! لكن من هوا قلوبها
وقد كان نيران الليالي : شهابها	وقد كان فصل القول : حد حسامها
هو السعف . . والظل الظليل : أهابها	وقد كان (يا ما كان) سعف نخيلها
تخلى الهدى عنها . . فضل صوابها	ولكنها لما تخلصت من " الهدى "
(سواء ! !) فهلا أيقظتها حرابها ؟	وضيقت الاقصى وعين العدى على
من الله لما يأت بعد ، عذابها ! (١) .	وهلا أعادتها الى الله فضبة

ويسلط الشاعر محمد اسماعيل داود على قومه سوطا ناريا من النقد اللاذع لا نقسامهم وتفرقهم وخصامهم الدائم :

رسولنا خير الانعام	يا قدس ، يا مسرى الرسول
والعروبة في خصام	كيف الوصول الى التماس
كل يوم في انقسام	ريح مبددة نراهها
في اقتتال والتحام	والمسلمون بكل أرض
والعداوة في ضرام (٢) .	الحرب بينهم جحيم

وينحو الشاعر علي الرياحي على الامة كلها باللائمة لاغضائها على الذل ، حتى ليرتاب فيما سجل تاريخها من آمجاد ، ويهاجمها لانشغالها باللهو عن تسليح نفسها ويعجب لما أصابها من تبدل احساس لا تحرك آلام الطعنات :

كبحاثة جاب البقاع ونقبها	وأمن في الصحراء صحراء يعرب
وسيفا على مرّ الاغصير قد نبها	فلم أرا الآ عالما متمزقا
ولا قمقمات البيض تجفل ثعلبا	ولا حمحات الخيل توقظ نائما
ولا سمهريات تلوح ولا ظبا (٣) .	ولا زعردات تستثير جحافل

(١) هي القدس ، هدى الاسلام ، ١٩٨٢ ، ص ٦٨ .

(٢) أناشيد فلسطينية ، ص ٧ .

(٣) رسالة الى ابي الزهراء ، الثقافة السورية ، ١٩٧٨ ، ص ١٤ .

ثم يأسى الشاعر احمد بوس لتاريخ القدس ولغيباب أبطالها ، مشيراً الى أنها
نكبت بأبنائها وأقحلت برجالها ، ثم يعيب على الامة العربية ارتفاع صيحاتها دونما
فعل واستخدامها الورق والحبر الزائف سلاحاً وحيداً ، مؤكداً أن ذلك كله لن يفيد
شيئاً في استعادة ما فقد وأهين من مقدساتنا الاسلامية :

يا قدس غام الدرب في أحداقنا	كيف الصبحي . . وما لدى دليل
يا قدس . . ها سدت جميع نوافذى	والليل باق . . ما له تبديل
صدت تواريخي . . ونوت بحملها	ما عاد يجدى الشرح والتأويل
ما عاد عمرو العاص يسرج فاتحاً	وأبو الفوارس بالطعان بخيل
وسلاحنا ورق وحبر زائف	وقصائد مهتورة . . . ورحيل
جف الكلام على شفاه قصائدى	وتبيس التجويد والترتيل
وطني . . لئن فجرت جرحك داميا	فلان تاريخي دم مطلـول
ولأن أرضي أقحلت برجالها	صوت يجلجل والفعال قليل (١).

ويرى الشاعر محمود الشاهد أن فرقة أمتنا وانقسامها هي السبب في ضياع
القدس وتشريد سكانها ، ويجعل من اهتدادها عن قرآنها سبباً في فقد ها لهوى
الاطنان مؤكداً أن الوطن لن يعود إلا بجهد النفس ثم البدن :

يا قدس هل نشكو الزمان وصرفه	وبنا الهلاك المرآكل زمان
عميت قلوب القوم فهي كليلـة	ما غرّم أن تبصر العينان
وتفرقوا شيعاً تناحر بعضهما	والحرب بينهم بكل يعانى
هنا على الاعداء رغم جموعنا	وكاننا زبد جفا فانسى
ولقد تنامى الحق في جناتنا	ودماؤنا هدرت من الاخوان
انا نسينا الله في أفعالنا	قاله انسانا هوى الاوطان
لن ترجع الاوطان دون جهادنا	بالنفس نهدو مع الابدان

وإذا أراد الله نصر شعوبنا
وقضى بوحدتهم وجمع شتاتهم
نقى نفوسهم من الأدران
ووقوفهم صفًا بوجه الحاني (١).

أما الشاعر محمد الحلوى فيهاجم الأمة العربية بقوة معيَّرها بهذا العدد الهائل من الملايين التي تصل بلا مغالب، مؤكداً أن الخلافات الباطلة بينها دونما سبب وانقسامها إلى أحزاب ومذاهب من أكبر أسباب الضياع والتشريد والدمار، ومؤكداً أيضاً أن السلاح الباطل المتمثل بالخطب الرنانة لن يجدى شيئاً، وأن الحق لا يعود إلا بالوحدة وقوة السلاح :

سألت الزمان وهي قصّة
عن القدس والعرب الفاتحين
وما أخرج الدهر إلا مصاب
أزابت بنيه خلافتهم
تقتل صهيون أبناءنا
ويحتشد العرب في محفل
ويجتمع الأمن في مجلس
إذا اشتعلت بينهم فتنة
ملايين نحن ؟ ولكننا
فيأمة أثقلتها هموم
علام الخلاف وفي باطل
وماذا تركتم لأعدائكم
ودمع عيوني لم ينضب
وماذا دهاهم فلم يجب؟
توالى على الشرق بالكرب
وضاعوا مع الحزب والمذهب!
وتفتك بالطفل والأشيب
لتمطر صهيون بالخطب
ليصدر حكماً على المذنب
تعهدوا الغرب بالخطب
صقور تصل بلا مغالب
وظلم الأتباع والأقرب
وفيم الحروب بلا سبب
سماسة الحقد والشفب (٢).

ثم يصف الشاعر محمد حمد عالماً العربي بعالم المؤامرة والرياء، ويؤكد أن سقوط القدس إنما كان بسبب ذلك، ثم يعيب على الأمة العربية انشغالها بالأمور

(١) يا قدس، الدوحة، ١٩٨٥، ص ٧٥.

(٢) سلام على القدس، دعوة الحق، ١٩٨١، ص ١١٩.

التافهة في الوقت الذي يسقط فيه الشهداء* واحدا تلو الآخر ليعلنوا عن عفن العالم
العربي وعفن أهله :

في عالم لا نستطيع أن نعيش فيه لحظة الصفا*

ياكلنا اللهييب

يمضغ منا الوقت آتفه الاعبا*

تأخذنا أشياءنا الصغيرة

في عالم يسقط فيه الشهداء*

ليعلنوا ما فيه من عفن ،

لا يأخذون في نعوشهم الآ كلمات الرثا*

تقولها جريدة في زحمة الاخبار والاسماء*

تمر فوقها العيون ثم تنسى الذاكرة

في عالم المواقرة

سفينة القرصان تجتاز البحار العكره

وملؤها الخمر، والموائد الخضراء والبفا*

في عالم الرياء*

لا أستطيع أن أقول كلمة صادقة

تضيق كلمتي هبا*

تفرق هذى الهمة الكثيرة

وسط ضجيج الضوء في المساء*

في مثل هذا العالم العنفاء*

تسقط مني القدس (١) .

وبهاجم الشاعر مصطفى الحبيب بحرى الامة العربية بقوة مؤكدا أنها المسؤولة
عن ضياع القدس، لأنها قد ضاعت في الاوهام وفرقت في بحر من الافيون في الوقت

الذى كانت أجراس الموت تدقّ فيه على الابواب ، وتنذر بالاجهاض حيث الجيش
التتارى يواصل زحفه باتجاه القدس :

هذا يوم الفزع الأكبر

ومدائننا مازالت تغزل قبيلا وهام

وتجذّف في بحر الافيهون

وتراقص أمواج الفيهية والحمل المسنون

هذا يوم لا كاليام

دقت أجراس الموت على الابواب

وأراك تصفق يا مضر

قبرت أفراحك يا مضر

القدس مدينتنا اغتصبت وعروبتنا أسلاب

يا يا مضر

الناس صراخ : " هولاء .. زحف التتر "

يا بيت المقدس كيف استوطنك التتر ؟

وعلى بغداد انقضوا ثانية كيف الاموات قد انتفضوا

والاحياء انساقوا في تيار الموت (١) .

سهاجمة الحكام :

لم يتوقف الشعراء عند وصف حال الامة وما تعانيه من ذل وتمزق وفرقة ، بل
حملوا أسواطهم وجلدوا الزعماء العرب بقوة ، واعتبروا انقطاع الاواصر والتواصل بينهم
من أهم أسباب ضياع الوطن .

(١) مصطفى الحبيب بحري ، أجراس تنذر بالاجهاض ، مجلة الشعر ، ع ١-٣ ، سنة ١ ،

ولم يتورع الشعراء عن قذافهم بعبارات لا ذعة، حيث نعتوهم بالظلم والتعاس
عن الدفاع عن الوطن، والسعي وراء أحلامهم الخادعة وأمانيتهم الباطلة.

الشاعر الحسن الهزيمى هاجم القادة العرب بشدة، وحين أنهم قد جاروا
على أوطانهم، وظلموا شعوبهم وتعاسوا عن أداء الواجب، كل ذلك لأنهم يلهثون
وراء مطامعهم الدنيوية :

جسم العروبة مزقته سهامهم	وعقولهم ترثي لها الانعام
في كل أرض دولة مشلولية	ويكل قطر قائد ونظام
هذا يقوم وذا يثور وبعضهم	تحت القيود تهزّ الأحلام
قطعوا الأواصر والتواصل بينهم	وتباعدوا وكأنهم أجرام
نقضوا العهد تحدياً وخيانة	فصبوا العروش وهم لها خدام
جاروا على أوطانهم وشعوبهم	وتعاسوا والطامعون قيام
لا لن تقوم لأمة حرمتها	ما لم يصن أرحامها الحكام (١).

ويهاجم الشاعر نذير الحسامي الزعماء العرب، ويعتبرهم السوءولين عن
ضياع القدس لأنهم يحطون رمح الدفاع عنها، كما ويعيب عليهم توعدهم
وتهديدهم للصهاينة دونما فعل، ويعجب لاجتماع الصهاينة على باطلهم وتفرق
العرب على حقهم :

أيخون عهد القدس حامل رمحها	أجلده صلّ رعتة صلال ؟
أم ينصر الاسلام شاهر سيفه	ويكفه سيف الحق سلسال ؟
استغفر الاسلام لم يشدد له	رحل وللهاضي تشدّ رحال
استغفر الاقصى يثر حريقه	وعليه جمر المنقذين يهال
أسألت من في اهل السن سوطه	تهكي، كؤوسا ضحكها أعوال ؟
من جاعل الاسلام سوق نخاسة	طراقها ما لم يزل لا زالوا ؟

(١) القدس عار أن تضع ربوعه، دعوة الحق، ١٩٨١، ص ٢٠٩.

يا بنت يعرب من بنوك؟ أضعتهم قدر العطاء مناضل ونضال (١).

أما الشاعر عبد الرحيم الحصني فيشبه الزعماء العرب بالدمى التي تحركها أصابع الجناة، ويبين أنهم جميعا يحرسون سلاح الغرب المدمر للقدس وأهلها؛
توانت الهمم العرباء، وانصرفت
عن التقياع الحمى، واستغفر الشما
كفرت بالحلم رشدا لم يحن شرفا
يد من، ولم يحم يوم العاديات حمى
سهد السلام، أفاق السيف وانتهكت
ستائر الزيف عما يصنع اللؤمسا
كانوا ملوكا سلاح الغرب يحرسهم
لم يحفظوا لك عهدا لا ولا زما
على العروش يد الجاني تحركهم
كما تحرك من خلف الستور دمي (٢).

ويعقد الشاعر خيري منصور مقارنة بين من باعوا القدس من الزعماء والقادة وبين من سقطوا شهداء من أجلها، فيصف القادة بأنهم مهيجون ومهرجون يتساقطون خرزا لمسبحة زعماء الدول الكبرى، يبيعون كل شيء في الوطن من أجل اللقب، أما شهداء القدس فهم الذين كشفوا عن زيف هؤلاء الحكام وتعلقوا بكل غصن زيتون من أغصانها، وماتوا على ثراها مؤكدين أن الأرض لن تعود إلا بنضال أبنائها؛

اني سئمت من التجوال في صناديق العجب

القدس أقدم اس

فكم قدسا تعود ولا تعود الى العرب ؟

قدم المهج

والمهيج

والمخرج في الخطب ؟

أم قدس قافلة الخشب ؟

قدم الذين تسابقوا

وتساقطوا خرزا لمسبحة الذي كان السبب

(١) نذير الحسامي، ديوان سيوف عربية، دمشق، ١٩٨٥، ص ١٨٢.

(٢) أمواج، ص ٢٢.

أم قدس من كشف السبب ؟
قدس الذي باع الشوارع
والكروم
ليشترى بهما لقب
أم قدس بائعة العنب ؟
قدس العصافير والحصاريف والذهب
أم قدس من عاشوا ومن ماتوا على هذا التعب ؟
فليأذن الشعراء لي
هل كان لغزا أن تحوم قصائد الشعراء حول التسمية
اني سمعت من التجول في صناديق العجيب
وسمعت هذه الاحجية
القدس اقداس ،
فكم قدسا تعود ولا تعود الى العرب ؟
قدس الفدائي المعلق في القصيدة
والجريدة
فوق أغلفة الهدايا
والمجلات الاثينة
واللعيب
أم قدس من باع ابن عامر والنقيب (١) .

أما الشاعر غازي طليعات فيهاجم كل الزعماء العرب الذين يقبلون بالمصالحة
ويؤكد أن اليهود أهل غدر حتى ولو تمت مصالحتهم ، كما ويهاجم المسؤولين عن
بيع القدس والساكنين على دمارها وخرابها :

(١) خيرى منصور ، القيه ، الاقلام ، ع ١٠٥ - ١١٠ / ١٤ ، سنة ٢٠١٥ ، ص ٢٢ .

اصع يا مهر ، هل سمعت كما أ
يلعن العاقدين أشرس غل
يلعن البائعين بيع السبايا
من يصلون والمصلى غريق
انه خزيننا الكبير ، وأخزى
يا خراف السلام ، من أمة العر
سالمونا أم خاصمونا ، فـزاة
سمع صوتا ، من التراب تصعد
حول جيد ، من العروبة أجيد
في فلسطين أم عيسى المجد
في رماد الحريق بالعار يشهد
منه من أبصر الرماد وعيـد
ب عناق الذئاب ذل مؤيد
وفلسطين دارنا والمعبد (١).

الصهيونية ولطخ نواياها :

نبه الشعراء الى مجموعة من الصفات الخسيسة التي اتصفت بها الصهيونية دون غيرها من الحركات الاخرى ، فقد تميّزت سياستهم بالغدر والمكر وحب الدمار والخراب الى غير ذلك من الصفات التي أملت عليهم كل أعمالهم الوحشية في فلسطين . وقد وقف الشعراء في بعض قصائدهم عند هذا الموضوع يفضحون نوايا اليهود أمام العالم كلّهُ ، وينبهون الشعوب العربية للخطر المحيط بها ليكون لهم عبرة من ذلك .

الشاعر الياس قنصل جمع صفات الصهيونية في عدد من الابيات حيث نعتهم بالغّي والظلم والفساد ، وجعل من أول أهدافهم تهويد القدس علانية في الوقت الذي يرفض ذلك كل عربي عاش تاريخا مشرقا وقدم لأمته انتصارا تلوانتصار :

أنا الأسيرة في قوم غرائزهم
فما يهذبهم عز ولا أنف
ما يأسر الغّي والتفطيع والفساد
ولا يلفظهم شرع ولا حس

(١) غازی طلیحات ، صلوات في القدس ، الثقافة السورية ، تموز - كانون ١٩٧٨ ، ص ١٥٠

باعوا المسيح وخانوا المسلمين ولم يكتب لغير الخنى في عمرهم طرس
يطالبون بتهويدى علانية والمجد يرفن والتاريخ والبأس (١).

ويعجب الشاعر محمد العلمي من الحال الذى وصلت اليه أمتنا العربية حيث
أصبحت أرضنا مطعما للصهيونية تمارس فيها كل صفات الخسة والغدر والمكر والخيانة
لتكمل حلمها الاكبر وهو بناء هيكلها المزعوم وهدم الاقصى :

أيهدم هذا الاخطبوط كياننا	فيستنزف الخيرات منا ويمتصا
فصهيون في كل المجامع سبة	وايفالها في البغي ما كان يستقصي
لقد جمعت من كل لوم اخسة	ولم تحترم في الكون شرعا ولا نصا
طبيعتها في الغدر والمكر أصبحت	سموما بها قلب العروبة قد غصا
فتباً لصهيون اللعينة أنها	على جثث الاحرار قد رقصت رقصا
تبيت تخريبا - لتبني (هيكل)	وتمتاز بالحلم القديم وتختصا (٢).

(١) الياس قنصل ، الاسيرة ، الفصل ، ٥٧٤ - ٦٠ ، ٥٨٤ ، سنة ١٩٨٢ ، ص ٣٠ .

(٢) محمد العلمي ، أين صلاح الدين ، دعوة الحق ، ٦٤ - ١٠ ، ٨٤ ، سنة ١٩٧١ ، ١٤ /

تركزت رؤى شعراء القدس المستقبلية حول موضوعين مهمين هما :

- ١ . طرح الحلول المناسبة من أجل التحرير .
- ٢ . التأكيد على اشراق شمس القدس من جديد (الأمل والاصرار) .

وقد حمل شعراء القدس جميعهم همًا عربيًا واحدًا ، حاولوا من خلاله طرح الحلول المناسبة من أجل العمل على تحرير القدس من أيدي الصهاينة الظالمين ، وقد تعددت آراؤهم في هذا الموضوع تبعًا لاختلاف ميادئهم واتجاهاتهم ، وإن كانت جميعها تصب في قالب واحد ، ومن أهم ما دعوا اليه :

- أ - الوحدة العربية .
- ب - استخدام القوة ورفض السلم والمؤتمرات الكاذبة .
- ج - الإيمان بقوة أبناء الأرض واصرارهم على التحرير .
- د - التطلع الى ظهور الزعيم المنقذ .
- هـ - العودة الى الاسلام كمخلص للأمة من ذلها وجبنها .

أ - الوحدة العربية :

ربط بعض الشعراء بين الوحدة العربية وعودة القدس برباط وثيق ، فجعلوا تحرير القدس مرهونًا باتحاد العرب في الاهداف والامال ووقوفهم صفاً واحدًا في وجه العدو والطامع ، وقد اختلفت وجهات النظر أيضًا حول طبيعة هذه الوحدة ، حيث أخذت عند بعض الشعراء بعدا دينيًا واضحًا ، وعند بعضهم الآخر بعدا قوميا وذلك تبعًا لاختلاف الاتجاهات .

الشاعر محمد العلمي يدعو الى وحدة اسلامية قائمة على أساس التصك بالقرآن الكريم الدستور العظيم :

فهيّا الى توحيد صف وهمة
لنفسل عار الاشقياء ونقتصا

فكم قد حكى عنا الزمان وكم قصا
مطامعنا ، أعظم بذاك الذي وصى
نهيّا إلى القرآن نودد به غوصا (١) .

فملتنا الاسلام عزّ وقوة
وملتنا الاسلام فيها توحدت
وملتنا الاسلام جوهر حكمة

وتدعو الشاعرة أسى طوبى العرب جميعا للعمل على تحرير المقدسات مؤكدة
أن الكيل قد طفح وأنه قد آن الأوان بسرعة لتحقيق الوحدة وري ثرى البلاد العربية
بالدماء الطاهرة :

طفح الكيل وملّ الصبر فنبنا
واكتفينا
فازحفوا
نملا الدنيا أساطير بطولة
أوفينا
واخرجوا العزم بعزم يعربي
فإذا الإخوان قوة
وإذا للترب طيب وأريج
انه أرج الاخوة
يا دماهم لن تراقى عشا
كل شبر من شراك
أصبح اليوم أهازيج
وغنوه

من ربي لبنان يا جار السماء
من ذرى مكة يا أرض النبوة
من كويت العز
من ذرى الجولان

من مصر الحبيبة
حرروا القدس السليبة
من هنا من كل شبر
يا شعوب العرب هيا
طفح الكيل ومل الصبر فينا
فازحفوا
نملا الدنيا أساطير بطولة
أو... فنيينا (١).

ومن خلال تقليب صفحة التاريخ المشرق المكلل بالنصر والعزة لامتنا العربية
تدعو الشاعرة عاتكة الخزرجي الى الوحدة مؤكدة أن الله يساند هذه القوة ويباركها :
اليوم يا قوم ثار للعلا وغمدنا
سيروا فاكيلنا المعقود ينتظمر
كانت مواقفنا في العز مشرقسة
يا ريشة المجد خطي اسم وحدتنا
يا قوم للحرب شنوها وان لكم
يا قوم للقدس للكعبة الاولى لا رضم
للحق نصر ثقوا بالحمد تنتصروا
يا قوم والمجد والتاريخ والظفر
ووقفة اليوم عز صفه غمر
باللوح ولتقرأ الايام والسير
جندا من الله ترعاكم وتنتصر
عودوا اليها فان القدس تنتظر (٢).

أما الشاعر هارون هاشم رشيد فيستصرخ الامة العربية من المحيط الساسي
الخليج، داعيا الى التوجه والوقوف صفا واحدا في وجه المستعمر الطامع لأن القدس
قد هانت وذلت ولم تعد كما كانت بلد الطهر والسلام :
لأجل القدس

لو نكسر هذا الخوف
لو نضرب

-
- (١) أسى طويس، حرروا القدس، الاديب، ج ٢، سنة ١٩٧٤، ص ٢٣.
(٢) عاتكة الخزرجي، يا قوم للقدس، الاقلام، ٩٤-١٢، ١١٤، سنة ١٩٦٧، ص ٣٠.

لا أجل القدس
لو نزحف نحو الثأر
لو نغضب
لا أجل القدس
لو نثبت في الميدان
لا نهرب
لا أجل القدس
لو سرنا
لا أجل القدس
لا نغلب
لا أجل القدس
وتجمع كلمتنا
على وحدة
ويعطي كل عربي
لها
بعض الذي عنده
وينسى كل شيء
غير يوم الهول
والشدّة
غير الفاصب المحتل
يلقي فوقها حقدّه
لو أنا نلتقي
وأقولها
مشوبة الحدة
لتحلو في رحاب المسجد الأقصى
لنا السجدة (١) .

أما الشاعر ضياء الصابوني فيرجو الله أن يمن على الأمة بوحدة راسخة ينهج
قاداتها طريق الأولين من الأبطال الصناديد :

أى الهى وأنت خير مجيب	وحد الصف يصلح اليوم والغد
أيها المؤمنون أين صلاح الدين	حتى بعيد مرتبة أحمد ؟
أين أبطالنا الصناديد يلقون	الى الخصم كل أروع أصيد
فاسلكوا دربهم الى الهدف الأسمى	لنلق العدو صفًا توحده
أيها المؤمنون هبوا سراعًا	انقذوا القدس قبل أن تنهوت
لا يردّ الحق عذب الأمانى	لا يقل الحديد الآ المهتد (١) .

ويجزم الشاعر أحمد حسن القضاة بأن الوحدة القائمة على أساس القوة هي
أساس التحرر والنصر، وأن الوعود الكاذبة والقرارات الباطلة الصادرة عن مجلس
الامن لن تفيد شيئاً :

لا المجلس المنكود يرجى نفعه	في دعم حق العدل للإنسان
والقوة العظمى تعاظم شرها	في شدّ أزر ربيها الولهان
لا تأملوا الأقوام تنصركم بها	تدعوه للصالح والاحسان
يا قوم لا تدعوا الجهاد الى غد	أو تخلدوا للنوم والاحزان
ان القعود عن الجهاد خسيصة	ومصيرها للذل والخسران (٢) .

ويبشر الشاعر عبد الله بن عبد العزيز بن ادريس القدس بالوحدة العظمى التي
سترفع راية الحق خفاقة فوق روابي القدس :

بشارك يا قدس فالتوحيد رايتنا	لم تنتكس أبداً كلاً ولم تمل
وسوف تعلو على الاقصى مرفرفة	ودولة الكفر من صهيون في شكل
وليحفظ الله للاسلام دولته	مرفوعة الشأن لا تشكو من الكل (٣) .

(١) ضياء الدين الصابوني ، نداء من الاقصى ، أرض الاسراء ، ٤٥٤-٥٧ ، ٥١٤ ، سنة ٥ ،
١٩٨٢ ، ص ١٨ .

(٢) بشارك يا قدس ، ص ٩٧ .

(٣) عبد الله بن عبد العزيز بن ادريس ، ديوان في زورقي ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ص ١١٧ .

العودة بقوة السلاح :

كان من الطبيعي أن تقترن هذه المآسي كلها بالدعوة الى مواصلة الكفاح ، والحث على الثورة ضد الصهيونية ، فعودة القدس لا تكون الا بالمثابرة المخلصة والعمل الجدى الدائب ، لا تكون الا بقوة السلاح وقهر العدو ودك القلاع والحصون والاحتفاظ بالكبرياء والعزة العربية البعيدة عن كل ذل واهانة ، أما البكاء والخطب الرنانة والتمعارات الزائفة والقرارات الهدامة الصادرة عن مجلس الأمن فانها لا تجدى شيئاً وان القوة لا تقابلها الا القوة .

ففي قصيدة محي الدين الحاج عيسى نجد مثل هذه الصرخة المدوية التي تجديد القتال ، ونجد فيها أيضا الدعوة الى شحذ الهمم وتحريك العزائم ، ويؤكد أن الصهاينة اذا كانوا قد اغتالوا هذه الاماني والامال ، فان الشعب قادر على أن يلقن العدو من جديد دروسا في البسالة والاقدام ، ولا بد أن النصر سيحالفه في النهاية لأن العدو لا يستطيع بحال أن ينان من عزائمهما سلط عليه بأسه واستبداده كما يؤكد أن الاعتماد على مجلس الأمن وقراراته الكاذبة لن يحل قضية :

يا باكيا في ربوع القدس يبيكيننا	وشاكيا ألما مازال يشكيننا
لا يرجع الدمع شيئا ضاع من وطن	ولا تبلغنا الشكوى أمانينا
لا مجلس الأمن تجديننا محاضره	ولا منظمة الدول تحميننا
عشرون عاما قرارات وليس لها	جدوى سوى أنها زادت مآسينا
ما نفعل الآن ؟ هل نبقى على كمد	نشكو ونذرف دما من مآقيننا
أم نلهب الارض تحت الخصم تحرقه	حرقا فيحسبها ثارت براكيننا
ونملا الجوب بالفارات تعطسره	صواعق الموت ترويه وتحييننا
والجيش قد مهدت قبل الوثوب له	كتائب الفتاح فتحا في فلسطينا
هم يحسبون بأننا قد نلين لهم	خابوا وخابت اذن أحلام صهيونا
فنحن من أمة كالطود راسخة	لم يلف منها العدى في دهرها لينا (١)

(١) محي الدين الحاج عيسى ، الدموع لا تجدى ، الاديب ، بيروت ، ج ١ ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٥٥ .

ونرى مثل هذه المعاني في قصيدة الشاعر عبد الرحيم الحصني الذي حاول أن ينزع السهارة عن أعين الناس ليتنبهوا الى واقع أمرهم ، ويشهد في الوقت نفسه عزائمهم للتصدي للقوة الفاشعة والنهوض من جديد للدفاع عن حقوقهم المسلوبة وآمالهم المنهوبة ، فالخلود لم يكتب إلا لأولئك الذين يستطيعون أن يصونوا بلدهم من العدو الغاصب ، ويقدرون على أن يقهروا مظالمهم بقوة عزميتهم وحميتهم على القتال :

مهدي السلام وسرى الهاشمي على	رمالك السمر شاع الحزن وارتسما
ونحن يا خجل التاريخ ما برحت	جولاتنا خطبانستغفر الكلميا
يا صاحب الحق والاسياف نائمة	ما هادن الظلم حر يعرف الكرما
بين الحياة وبين الراغبين بها	جسر. اذا ما استراح الصارم انهدما
وللمعالي جنان لا أريج لها	الأ اذا ارتشفت ماء الحياة رما (١).

وقد جسدت قصيدة الشاعر راضي مهدي السعيد هذه المعاني ، وعبرت عن روح التحدي الذي يلزم هذا الشعب في معركته الراهنة ، فصاح صيحته القوية للنهوض والتوثب الى ما ينفع القدس ويحررها من أيدي الصهاينة ، وأكد أن الضعيف لا يقدر على مواصلة الكفاح مادام يدور في فلك الوهن والاستسلام ، وانما القول الفصل هو باللجوء الى القوة ، فالقوة وحدها هي الكيلة بتحقيق كل الآمال وان ما يتغنيه هذا الشعب من حقوق عن طريق الوعود لا يثمر ثمرته المرجوة ، وان المعركة الحقيقية لا تتم إلا بتهيئة الناس الى النضال وحثهم على أن يخفوا اليه ، فهو الحد الفاصل بين الحياة والموت :

أيها الشارب من أدمعته	أكوؤسا حمرا ما فيها ابتعاد
لا ولا فيها سوى الجمر الذي	هو في أعماقك الحرى عناد
لا تدع سيفك مغمورا فما	كان للسيف بكديك انفساد
غداك المشرق لا بد فدا	أن يوافيه مع الفجر احتشاد
ان تكن خانتك بالأمس يد	فخسرت الحرب والحرب جلال
فلانئت اليوم بركبان دم	وعروق لم ينل منها انقصار

ليس يوثق النصر إلا بعد ما
انما النصر جهاد صادق
يصهر الا رواح رأى واعتقاد
ووثوب في الليالي لا ارتداد (١).

أما الركون الى مجلس الأمن وقراراته الرثة، فهو ضعف لا يمكن التسليم به .
هذا ما أكده الشاعر محمد جواد فضل الله الذي أعلن أن الحق لا يعود إلا بالقوة
وأن مسح العار لا يكون إلا بالكفاح والنضال ، وأننا بحاجة الى عزيمات صادقات
حتى نستأصل البقي كله :

يا قدس يا دمة العاشاة تذر فيها	منا قلوب مروعات وأبصار
يا محنة تتحدى في موارثها	أصرارنا أن يبيد الغدر اعصار
هل بعد يومك أرض تستريح بنا	وهل تطيب هوايات وأسمار
مضت عهود بيانات مرصفة	فصت بها في رفوف الحكم أطار
وليس يبلغ فينا الشوط غايته	إلا اذا ضمنا في الروح ضمنا
وعادت الأرض ربا من دماهم	ومن دمانا وقد ثرنا وقد شاروا
هناك تمتحن الأساد عزمتها	ويخبر الشوط ان يحتم مغوار
ويمسح الصيد عارا من هزيمتهم	فجرحها بصديد العار نغار
ردوا المنايا ما تفني الشكاة اذا	لم ينعق من حدود الحرف انذار
ومجلس الامن للغة وممن	بناته لذئاب الفوز أنصار
مقررات ولكن لا ينفذها	إلا كسير بلح العتب ينهار

وهو في القصيدة نفسها يدعو دعوة صادقة الى التحرير والاثخذ بالثأر لأن
الثأر دين على الأحرار :

فيها عصائب أجناد يطيب لها	ورد به للمنايا الحمر اصدار
مدى لهم يد موثور يجد بها	في غرة الروح امعان وإصرار
وحررى السلب من أيدي ملوثة	بالاثم تنجدها بالغدر أشرار

(١) راضي مهدي السعيد ، في ذكرى النكسة ، البلاغ ، الكاظمية / العراق ، ١٤ - ٥ ،

لا يرتضي الذل حرّ وتره حمم تضرى وثمة أسوأ وأخطار
أن يغفل الثأر موتور فعزته نهب تجاذ بها ذل وأحقار
والثأر دين على الأحرار عهدته وفاؤه أن تعيد الحق أحرار (١).

ولعل الشاعر عادل الشرقي من أكثر الشعراء تحمّسا لفكرة الثورة القائمة على
أكتاف الشباب الذين لا يعرفون اليأس ، فهو يدعو دعوة صادقة الى الأخذ بالقوة
والى اتخاذ العبر والدروس من قوة العرب وأسهم على مرّ العصور :

يا أمة نشرت لوا' جهادها في جبهة الهيجا بدون لثام
لا تيأسى فالنصر بان نجمه في جبهة الهيجا بدون لثام
واستصرخي شيم الكرامة فالأولى قهروا المحتوف بصبر كل همام
ثورى بوجه الطامعين وعفوى تلك الجبهة بكل رمل دام
واستنفري حشد الشباب فانه في النائبات يشق كل زحام (٢).

ومنفس الروح الملتهبة للشاعر السابق ، نجد الشاعر رجب بن مهني يدعو الى
الثورة المدوية كدوى الصاعقات ، الثالفة لكل جذور الظلم ، الهانية لكل أعمدة الحياة
انها (الثورة) في نظر الشاعر العمل الوطني الذي تعطيه ارادة الحياة ويتطلبها
العين الكريم ولا يمكن بحال من الاحوال أن ينصرف عنها الناس ويتقاعسوا عن أداء
هذا الواجب :

فجروا الثورة في أحلامكم واشربوها في الكؤوس المترعات
واصنعوا منها هذا' انما به تسعون بجند واناة
واجعلوا منها هوا' انما هي جوّ للطيور الصادحات
واجعلوا منها رصاصا صارخا ليدوى كدوى الصاعقات
يوزع الرعب ويحتاج العدا ويهيد الظلم بين الظلمات

(١) يا قدس ، العرفان ، ١٩٦٩ ، ص ١٠١٤ .

(٢) عادل احمد الشرقي ، ببازار النصر ، الاقلام ، بغداد ، ١٤٠٤ - ١٤٠٥ ، سنة ١٩٦٨ ، ص ١٢٦ .

انها القلب الذي نحيا به وهو ينبوع غني بالحياة (١).

ويشير الشاعر محمد خالد حبيب القدس بقوة شبابها القادمة، فالعرب لن يذلوا ولن يهنوا، وهم قادمون سلاحهم القوة وعدتهم الموت والطعن ولن يرتضوا بالوطن بد يلا :

لبيك يا قدس لن نرضى بحاضرنا ولن نذل اذا ما أخفق الأُمس
فنحن في الارض قد زابت هويتنا وليس يحصرنا لون ولا جنس
في الشرق والغرب في القطبين نرصدهم والموت عدتنا والطعنة الخلس
نحن الفناء اذا ديمت مصائرنا نحن البلاء ونحن الهول والبأس
فلا سلام اذا عشنا بلا وطن ولا حياة اذا لم ترجع القدس (٢).

ويؤكد الدعوة الصريحة الى استخدام القوة الشاعر يوسف العظم الذي يرى أن القوة لا يقابلها إلا القوة، وأن التخاذل والميل لحياة الرغد والنعيم من صفات الشعوب الشعوب الكسولة التي تركز الى كل ما هو زائف :

يا سما' القدس امطريهم لهيها يا جبال القدس الشهيدة سيدي
نشعار الشعوب دون مـرا' لا يذل الحديد إلا الحديد
وشباب الفدا' بايع حـسـتى يغمر القدس نور فجر جد يـد
اشبتوا للدنا وجودهم الفـد ولم يذعنوا لاي وعيـد
وارتضوا من حياتهم بكـفـاف وتخلوا عن كل عيش رغـيد
أمة المصحف الطهور أفـيـقي وأغلى ما يملك الحر جـودي
واكتبي النصر بالدمـا' عزـيـزا وارفعي في الوري لوا' الخـلـود
نشباب الفدا' ما عاد يرضى بحديث أو خطبة أو نشيد (٣).

(١) رجب بن مهني، متى يا قدس نأتي، الفكر، تونس، ٦٤، سنة ١٩٦٨، ص ١٢٦.

(٢) محمد خالد حبيب، الفدا' المقدس، الثقافة السورية، دمشق، ع ٢ - حزيران، نيسان ١٩٧٦، ص ٣٠.

(٣) يوسف العظم، ديوان في رحاب الاقصى، عمان، ص ٧٥.

الايهان بقوة أبناء الارض :

لقد أحس بعض الشعراء بأن الأمة العربية باتت في معزل كبير عما يعانيه أبناء القدس، وأحسوا أيضا بأن السلام المطروح أصبح قضية غير مجدية، فتولد لديهم احساس جديد يؤكد أن الارض لا يميدها إلا أبنائها وأن قوة أبناء الارض ستكون المخلص الاكيد لهم من براثن الاحتلال، لذا فإن الشعراء أخذوا يحثون اهل على اشغال الارض نارا ويمشرون القدس بانتفاضة أطفالها وشيوخها ونسائها مؤكدين أن هذه الانتفاضة ستكون الطريق الامثل للتحرير .

الشاعر محمد اسماعيل داود يفخر بأطفال القدس الذين ينهضون عن الأمة العربية في مقاومة الاحتلال، ويؤمن أنهم يقاتلون ويناضلون بصدورهم ينفون الشهادة والجنان العلى، ويخرجون تراب الوطن بدمائهم الطاهرة، ثم يعيب على الأمة المسلمة غفلتها وتناسيها لما يجري في القدس :

المسجد الاقصى يحول به العدا	والقوم في نوم بطول سياته
أطفالنا وشيوخنا ونساؤنا	للنار هبوا، من جموع غزاته
ولرب طفل، في الوقي، رجم العدا	خير من الصاروخ، في غزواته
بصدورهم لا قوا رصاص عدوهم	أنعم بهم كالليث في غاباته
راموا الشهادة، والجهاد لربهم	ومنازل الابرار في جناته
وجموعهم عزلاء في ساح الوقي	الآ من الايمان، من ومضاته
يتسابقون ليفتدوا أوطانهم	الكل ضحى للحمى بحياته
كم منهموا جبل الثرى بدمائهم	في ساحة الاقصى، على عتباته
والمسلمون الفاقلون عن الحمى	صمت لهم، اذان، عن صيحاته
لم يسمعوا صوتا، لا أول قبله	يستنهض النوام في صرخاته
وكان هذا الامر لا يعنيههم	وجموعهم، لم يد رعن ويلاته (١)

والشاعر في قصيدة أخرى يبشر القدس بأبنائها الصيد ، ويؤكد بأنهم سوف
يضجون بأرواحهم وأن النصرات على أيديهم بعون الله :

يا قدس يا قبلة أولى ، لا متنا	مهد الديانات ، قلب الموطن العربي
أبنائك الصيد ، ما ذلوا وما خضعوا	للغاصبين ، دعاة الشرك ، والنصب
كم بالحجارة قد لا قوا عدوهم	لا يرهبون ، صفوف الموت والرعب
وكم بأرواحهم ، ضحوا وما هنسوا	أنعم بهم في الوغى ، من ثنية نجب
يستسلون دفاعا ، عن ديارهم	ما ريع جمعهم ، من أفدح النوب (١)

ويحيي الشاعر أحمد أبو سعدون انتفاضة شباب القدس ووحدتهم مؤكداً أن
هذه الانتفاضة قد أيقظت الأمة من سباتها وأعادت إليها الأمل في تحرير المقدسات
من جديد :

حي البطولات وارسم ساحها هرما	فوق السحاب ليخفى شامخا علمي
اني لا عجز عن وصف لغضبتكم	لما صبت على الغازي لظى الحم
أيقظتم فورة في العرب قاطبة	كانت نياما عن الأوطان في صمم
هيا اشعلوها كما الأقدار عاصفة	لا تحفلوا بسخيف الحلم والكلم (٢)

ويناشد الشاعر عبد اللطيف الدين أبناء القدس عدم الانتظار ، والنهوض من
أجل تحرير الأرض لأن الأرض لا ينقذها إلا أصحابها وأن وعود أهل الشرق والغرب
أصبحت أمرا مفروغا منه :

فبادروا كسب إحدى الحسينيين ولا	تلقوا بأيديكم واستنصروا الله
لا تتحسبوا الشرق يسمي كي يخلصها	فالشرق أيد أعداها فمادها
ولا تظنوا بأن الغرب ينقذها	فالغرب آمتها الكبرى ويلواها
حلوا الحيا قد يموت من ظمأ	الآ اذا دلوه في البئر ادلاها

(١) المصدر السابق ، ص ٩ .

(٢) أحمد أبو سعدون الجيزاوي ، ديوان آء يا بلدي ، عمان ، ١٩٨٣ ، ص ١١١ .

حاملا حلما وخيزا وسلاما لمقاوم
هامسا أبسط ما صلاه طفل :
” قتلوا رجلي واغتالوا طريقي
ولهذا
لم يعد لي غير أن أبقى هنا
حتى ولو قبرا . . . يقاوم

والشاعر في القصيدة ذاتها يحيي صمود طفلة القدس التي أصبحت قنبلة
موقوتة في نظر الصهاينة ، ذلك أن كل مولود في القدس سيضحي قنبلة في يوم من
الأيام :

رقت الساعة . . . رقت
ثم رقت / ثم رقت
رقت الساعة رقات أخيرة
ثم ماتت
لم تعد بالقدس للساعات حاجة
حطمت ساعاتهم بنت صغيرة
عمرها مائة مليون معذب ،
أمة رغا عن . . . / التخدير
والافيون . . . / يوما سوف تغضب
ولهذا

كلما مات بمحتلي عيون
القدس طفلة
طفلة . . . بنت صغيرة
فتشت أعينهم ، آلاتهم
في صدرها ، في رحمها
في عقلها . . . عن قنبلة

واذا لم يجدوا شيئا أصروا :
هذه البنت الصغيرة
ولدت في القدس
والمولود في القدس
سيضي قنبلة
صدقوا . . المولود في ظل القنابل
سوف يضي قنبلة (١) .

ويجعل الشاعر على البتيري من أطفال القدس الأمل القادم في التحرير
لا نتعائهم الكبير لهذه المدينة المقدسة ، فهم يجزمون على تحريرها لأنها بذرة منزرعة
في لحومهم ، ولأنها همسة جريحة في معابدهم ، لا تعرف معنى الركوع وستظل الزهرة
الندية في جراحهم :

الناس ينسلون تحت خيمة المساء
يبحثون عن سكين
ولم أزل بخطوتي
أواكب الصدى
ومقلتي زورقان مشرعان في شواطئ المدى
وفجأة
على يدي مشاعري
تأخذ قصاصة صغيرة من الورق
صدفتها في شارع البوليس والقلق
علقتها على رموش خاطري
وقد بدت تقاوم الأحوال والنعال
فتحتها

(١) راشد حسين ، ديوان أنا الارض . . لا تحرميني المطر ، عكا ، ١٩٧٨ ، ص ٧٧ .

واذا بها حكاية الفريق والفرق
خيوطها منسوجة بلهجة الاطفال
بحارها من قلبه المقاوم الصغير
تقول في ابتهاال :

أواه ! يا حبييتي

يا أمي المشبوحة الغريبة
يكل ما في العين من دموع
يكل ما في الصدر من شموع
نقشت فوق جرحك العاري على الصليب
ما مت يا حبييتي
وانما أراك تحلين بالغياب والرجوع
أنت

أنت بذرة مزروعة في لحمنا
تحن للطلوع
وأنت في معابد الاطفال همسة
لا تعرف الركوع
ففي ظلام حارتي
أراك كل ليلة على وسادتي
كزهرة ندية تفتح تحت
على سياج فرحتي الجديدة (١) .

الزعيم المنقذ :

بلغت محنة أهل القدس حدًا من القسوة يجعل الصبر على احتمالها أمرا لا يطاق ، وصحبها تفسخ عام وانحلال في العالم العربي ، وضياح الثقة بالعالميين .
وظهر العجز لدى السياسة ، وانصدت الآفاق أمام الناس ، وساورهم قلق شديد لا حساسهم بالضعف وصعوبة التفسير ، فتولدت لديهم الأمنيات الفردية ، وكثرت التطلعات التي ظهور رجل قوى موهوب يقود الناس .

الشاعر يوسف العظم تمنى وفي أكثر من قصيدة أن ترزى أمتنا بقيادة حازمة شجاعة تعيد المجد لهذه الأمة ، وهو انما يريد لها قيادة كقيادة الفاروق أو مصعب تعمل على مواجهة الصعاب بكل ثقة وأمل :

القدس في أفق العلى كوكب	تشع بالنور فلا تعجبوا
أيامها بالحق وضاعة	كانت بأطراف القنا تكتب
والمجد مذ أشرق في قدسنا	ما باله في قدسنا بفقر
مذ حل في أفيائها غاصب	ما عاد فيها بلبل يطرب
من لي بسيف لا يهاب الردى	في كف من يزهبه الموكب
أوراية في جحفل ظافر	يقود الفاروق أو مصعب (١) .

والقدس في شعر خالد حبيب مدينة حزينه باكية تتمنى القائد المحرر ، القائد الذي سيكون مقتديا بالفاروق وصلاح الدين من أجل تحرير المقدسات المدنسة :

كأنني بعيون القدس دامعة	تطل في حزن أسوارها الخرس
ما للعرصة للاعداء تتركني ؟	أنا التراث الماضي أنا الأمس
بي القياسة والاقصى وصخرتكم	أنا الفخار لأرض الشام والرأس
يا للكنيسة هي ما اطلعت جرسا	الآ وأسكتة من حالها جرس
هلا كمثل يد الفاروق تدركني	فلا يؤخرها ردم ولا خرس

(١) يوسف العظم ، يا قدس ، القدس الشريف ، ع ١-٩ ، ع ٣٤ ، عمان ، ١٩٨٥ ، ص ٥٣ .

أوفاتح كصلاح الدين ينقذني فلا يدنسني لوم ولا رجس (١).

ويتعنى الشاعر حسن القرشي القيادة المحررة البعيدة عن الجمود والقائمة على مبدأ الرفض والقوة :

تردّت رواهي " القدس " ثوب حداد ولغّعن من آرزائها بسواد
وَبَيْت الهدى والطهر عاد مباءة يدنّسها مستهتر ومعدّار
أ تلك حياة أم مات مجلّل غطا " حياة روعت بصفار
إلهي هي " لأبنا " قيادنا فقد أصبح الاحياء شبه جماد (٢).

ثم يتساءل أمل دنقل عن المحرر لهذه المدينة الأسورة من خلال أبيات غلب عليها الرمز ودعا فيها الى النهوض من أجل استرجاعها :

كان خمارويه راقدا على بحيرة الزئبق
وكانت المغنيات والبنات الحور
يطأن فوق المسك والكافور
والفقراء والدرابيش . . أمام قصره المقلق
ينتظرون الذهب المدور
ينتظرون حفنة صغيرة من نور
قطر الندى يا خال
مهر بلا خيال

- -

قطر الندى يا عين
أميرة الوجهين
هودجها يخترق الصحراء

(١) الفداء المقدس، الثقافة السورية، ١٩٧٦، ص ٢٩.
(٢) حسن عبد الله القرشي، ديوان حسن القرشي، بيروت، ص ٥٣٨.

تسبقه الانبياء
أمامها الفرسان الف الف
وخلفها الخصيان الف الف
تعب في مضارب البدو، وفي نضوب الماء
عند انتصاف الصيف
تحلم بالوصول للاردن
ترخي أعنة الخيول في حول مائه . .
تغسل وجه الحزن
قطر الندى يا ليل
تسقط تحت الخيل
قطر الندى يا مصر
قطر الندى في الأسر
كان خماروبه راقدا على بحيرة الزئبق
في نومة القيلولة
فمن ترى ينقذ هذه الاميرة المغلوله
فمن يا ترى ينقذها
بالسيف
أوبالحيلة ؟ (١) .

(١) أمل دنقل ، الحداد ، يليق بقطر الندى ، الهلال ، ع ٧-١٢ ، ١٩٤٠ ، سنة ٧٧ .

العودة الى الدين الاسلامي :

رأى بعض الشعراء أن طريق التحرير الوحيد هو التمسك بالاسلام ، وأن سلاح القوة لا يكفي اذا لم يتركز على أسس اسلامية صحيحة ، فالاسلام في نظرهم هو السبيل الوحيد لتوحيد الأمة وجمع شملها ، والمنقذ الوحيد لهذه الأمة من حيرتها الدائمة .

الشاعر عبد الله بن ادريس أكد في أبيات له أن القدس لن تعود إلا بقوة الاسلام ، وعاب على الغرب والشرق موقفهما الكاذب من قضية المقدسات :

جنودنا يا هتاف الثأر . . أمتكم	حيرى بمفترق الاعراف لم تزل
تسمى الى المجد في شتى مطالعه	لكنها بعد لم تسلم من الخطل
أعداؤها شتتوا أفكارها فغدت	نهب الاضاليل بين اليأس والامل
وليس ينقذها من سوء حيرتها	سوى التمسك بالاسلام والعمل
وهاتف الله يدعوها لشرعتها	هذى سبيلي فلا تحضوا الى السبل (١) .

كما يؤكد الشاعر عبد الهادي حرب أن العروة لا يمكن أن تقوم من غير اسلام قوى يعيد للأهل حقهم المسلوب ، ويرتكز على القوة والشجاعة :

قل للذي يرجو استعادة قدسنا	من غير حرب قد رجوت محالها
ولمن يحاول ان تقوم عروسة	من غير اسلام أردت زوالها
بحث فلسطين تنادي أهلها	أقول قد رحم المهيمن آلها
أقول قد ضاعت وضاع شهابها	هدرا ودنس اليهود هلالها
لا لن أقول ففي غد تروى الدما	أغوارها ، وسهولها ، وجبالها
الله أكبر سوف نسمع قدسنا	مادام فوق الارض شخص قالها (٢) .

(١) في زورقي ، ص ١١٦ .

(٢) عبد الهادي حرب ، القدس ، أرض الاسراء ، ع ٤٥ - ٥٢ ، ع ٤٧ ، سنة ٥ ،

الأمل والاصرار :

رغم ما صاحب النكبة من عذاب وموت ، فإن ذلك لم يقتل في الشعب تفاؤله وتعلقه بالحياة الكريمة من خلال الألام ، بل أذكت فيه شعلة الأمل بالعودة إلى وطنه ، فأيقن شعراء هذه الأمة أن ذلك لا يكون بالبكاء والرضا بالواقع المر ، وإنما يكون بالعمل الجاد المثمر ، وارضاع الجيل الجديد روح الثورة التي تجدد كبرياء الشعب وقوته وتكفل انتصاره على العدو .

لقد أكد شعراء القدس أن النصر آت ، وأن شمس القدس ستشرق من جديد ، ولا بد من لقاء وان طال الزمان . وقد اختلفت وجهات نظر الشعراء حول هذا الموضوع ، فبني حين نجد بعض الشعراء يستعجلون اللقاء ويشعرون بأنه أمر في غاية السهولة ، كنا نجد شعراء آخرين يؤكّدون أن اللقاء بحاجة إلى اعداد طويلة ومثابرة في مقارعة الاعداء حتى يتحقق لنا ما نصبو اليه .

الشاعر هارون هاشم رشيد يؤكّد أن المحبة لن تنقطع ، وأن اللقاء لن يطول وان ربيع القدس سيزهر من جديد :

أحبك يا قدس لا تسأليني	لماذا ؟ وكيف ؟ وماذا أحب
سيزهر لا بدّ يوماً ربيعك	يزهر لا بدّ يوماً يهيب
ولا بدّ للعاشق المستهام	وان طال ليل وأظلم درب
بأن يلتقي بهواه الكبير	فيحلو لقاء ، ويزدان قرب
على صهوة في رياح الفدا	يجي إليك مع النصر شعب (١) .

ومن جديد سيزهر ليعمون القدس ، وتعود الحثائم المهاجرة إلى موطنها ، ويلتقي الآباء والأبناء في بهجة وسرور وتفني القدس من جديد ، هذا ما يؤكّده

(١) يا قدس ، الدوحة ، ١٩٧٩ ، ص ٦٧ .

الشاعر نزار قباني في احدى قصائده :

يا قدس . . . يا مدينتي

يا قدس . . . يا حبيبتني

غدا . . . غدا سيزهر الليمون

وتفرح السنابل الخضراء والغصون

وتضحك العيون

وترجع الحمام المهاجرة

الى السقوف الطاهرة

ويرجع الاطفال يلعبون

ويلتقي الآباء والبنون

على رهاك الزاهرة

يا بلدي . . . يا بلد السلام والزيتون (١) .

ويؤكد الشاعر حيدر محمود أن خلف الصمت العربي بركانا كبيرا سوف يثور

في وجه الطامعين ، وأن العتمة لا بد أن تزول ويضي فجر الأمة من جديد لتلتقي
في تراب القدس الطهور :

يا قدس

لا تحزنك غيبة الاذان . .

ولا المصلين عن المساجد . .

فانهم على أسنة الحراب

يرفعونه

وعند كل طلقة تسبيحة

وعند كل طلقة دعاء

يا قدس

(١) الاعمال السياسية الكاملة ، ص ١٦٤ .

لا يرهبك هذا الصمت
فخلفه يلتهب البركان
في أعين الذين من أعينهم يخاف حتى الموت
يمر هذا الليل
مثل غيره . . . يمر
وترحل العتمة ، والطاعون
ويلتقي على رباك المؤمنون
يلتقون
في صلاة الفجر (١) .

وتبشّر الشاعرة أسى طوبى باللقاء القريب ، وتطلب من كل النساء أن يزغردن
لهذا اللقاء ، نحن من أمة لا تقبل الذل والظلم ، ولا بد أن تأخذ بثأرها :
اننا آتون يا القدس الحبيبة
فارقينا
واسمعي خطواتنا
والزئير
اننا آتون يا مسجدنا الأقصى
ويا أقدس ترب
اننا آتون يا الارض السليبة
طلقة المدفع يا فرحتنا
عادت الايام هيا زغردى
يا نساء
نحن أحقاد الابهة المنشدين
لن ينام الثأر في أجفاننا (٢) .

(١) حيدر محمود ، ديوان يمر هذا الليل ، عمان ، ص ٢٨ .
(٢) أسى طوبى ، يا قدس ، الاديب ، ج ١٢ ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٢٨ .

ويعلن الشاعر خالد محادين أن الملايين العربية سوف تقتحم الابواب لتمسح
العار الذي طوّقها سنوات طويلة لتعلن ساعة اللقاء المنتظر :

آت يا قدس أنا كالمسد

لا أعرف جزاً أوليلاً

لا أعرف حد

أبني من مليون جريح مولد شمس

أبعث خلف الاسوار أنهار

وأخبئ جرحي في قلبي حتى لا أنهار

طفلاً لا يحمل أسماً ، لا يحمل سيفاً أو عنوان

لا يحمل الآ العار

عينا تسقط في القدس الاسوار

اني آت يا قدس ، أفتح أبوابك للريح

مليون جريح في بابك مليون مسيح (١) .

ويؤكد الشاعر ادريس الجائي أن الدهر سيدور دورته ، ويأخذ العرب بثأرهم

من الصهاينة ويحررون قدسهم :

القدس يشهد أننا لا يطل لنا

دم وما جدعت شم المرانين

لولا تناقض أشبال لما طمعت

فيها الثعالب من أرذل صهيون

لكن غداً وقرباً سوف يعرفنا

من بات يحسبنا بين القرايين

نعم غداً سيدور دورته

ونأخذ الثأر من شر الثعابين (٢) .

ويؤكد الشاعر عبد الامير الورد بزوغ فجر القدس من جديد ، ويطلب من القدس

أن لا تستعجل العودة ، لأن العودة ليست مجرد أمنيات بل هي تضحيات ودمع

وهبات :

(١) صلوات للفجر الطالع ، ص ٢٤

(٢) ادريس الجائي ، القدس ودعوة الحق ، ١٤٠ ، ٣ ، ٤ ، ٨٠ / ٨٤ ، سنة ١٩٦٦ ، ١٠

" مدينة الصلاة " لن تعذبني
فالفجرات فارقبني
وميضه في الفيهب
ترقبني - لا تعجلي - ما الفجر أمنيات
الفجريا " مدينة الصلاة " . . تضحيات
الفجر . . دمع ودم منه اللظى يقات
الفجر تيار من السخا والهبات
الفجر . . نار في يدي فدائي
سخية العطا
بالموت بالفنا
كمدية " الطائي " ان يحز أوداج الفرس
يوقد في الليل العيش
ويستضيف المسجد في ديوانه المضا
بمشعل يعلو على سواعد سمرا (١) .

ويؤكد هذا الرأي الشاعر عبد الجبار الدوري الذي يجزم في إحدى قصائده
على أن لقاء القدس ليس بالأمر السهل ، وأنه لا بد من الهدل والتضحية والاعداد :
أجل يا قدس . . يا قدس
ستبزع من رماة الليل في رثة المدى شمس
ولكن
بعد مضغ الشوك ، بعد تجرع الرسل
وبعد الرحلة الحمرا عبر مجاهل الليل
وبعد تفتت الرسفين تحت تحكم الحبل
فان الفجر لا - يخطو على درب - بلا بذل

(١) عبد الأمير الورد ، مدينة الصلاة ، الاقلام ، ١٤ - ١٤ ، ٤٤ ، سنة ١٩٦٨ ، ص ٨٣ .

وما دام الطريق هذا . . . وما دنا عرفناه
بالاحداق . . . بالاكباد . . . بالاشلاء . . . يا قدس فرشناه
فقايلة الشروق اليك في الدرب
يسيل بأثرها شعبي
ليزرع فوق قبتك الجريحة راية العرب

والشاعر يرى أن قافلة الشروق هذه ستأتي من كل البلاد العربية ، تحصد
عتمة سوداء وتشعل مكانها شمعة شقراء :

ولو يا قدس . . . يا علم الشروق بأعين الثوار
ولو يا لهفة الازهار . . . بين النار للامطار
ولو يا طفلة . . . حناء كفيها دم . . . وغبار
ولو يمتزق القيثار
ويذبح خنجر الاعصار
هديل حدائها الذهبي فوق حناجر الاوتار
ولو يا قدس . . . يخرس رنة الناقوس . . . صمت العار
فعميني لا تزال ترى على الابعاد
شروقا . . . ربما يشهق في الخرطوم . . . من صنعاء من عمان من بغداد
شروقا ربما يأتي الى الميعاد
قبل ولادة الميعاد
شروقا أزرق العينين . . . كالواحات في الابعاد
يمد المنجل المسبوك من ظل ومن أوراد
فيحصد عتمة سوداء
ويشعل شمعة شقراء
ويشرب دمة بيضاء كالبلور تفسل وجنة العذراء
ويطوى كف طفل بين رنديها على غصن من الزيتون
ويزرع بسملة تبكي شذى . . . في قلبه المحزون

وينفض عن نواقيس الكنائس صمتها المطعمون (١) .

وتؤكد الشاعرة كلثوم عرابي أن الدهر سيد ورد ورته ، وأن السيادة سوف تول
لاصحابها الشرعيين عبر سني الخصب القادمة :
لا بدّ لنا أن نصبح أسيار الموقوف
ويتبدل مركزنا في ظل العالم
نصبح أسياراً
نتسلق جبل الحرية
لا بدّ لنا . . أن تزهر ألوان النوار
في الدرب الظلما
ونساهم في صنع الظفر
المرسوم على جذع الأعماق
لا بدّ لسنوات الخصب بأن تأتي
يا أمي . . يا حبيبتني (٢) .

أما الشاعر بدر توفيق فيبشر باللقاء القريب ، ويؤكد بأنه وغيره من الشعراء
يحملون في أصواتهم مشيئة الوطن ، وأن هدفهم الوحيد هو إزالة الغصة عن المدينة
المقدسة :

بأي شيء أمسح العذاب عن جبهتك العريضة
أيها المحبوبة العطوفة المريضة
كل بنيك يطلبون زاد رحلة مديده
تحملهم للمنع الأول والبيت القديم
أنت وحدك التي تقدّرين حاجتي اليك
يا حبيبتني المهدمة

(١) عبد الجبار الدوري ، شمس الليل القدس ، الأعلام ٩٤-١٢٠١١٤ ، سنة ١٩٦٨ ، ص ٧٢ .

(٢) النابيل جعل قمح القدس مرا ، ص ٥٧ .

قومي وصلّي في سواد الليل
لا تجنّحي للقهر والسكوت
وسوف تلتقيين بي . .
ملتهب النظرة محتدّ القنوط
أحمل في صوتي مشيئة الوطن (١) .

وبؤك الشاعر موسى شعيب أن النكبات التي حلّت بالشعب لن تزيد، إلا اصرارا
على التحرير ، وهو يجزم على حتمية النصر والعودة من خلال توعّد الصهاينة ؛
دخان حرائق النابالم أزهر في سما القدس
سحاب تملأ الاقلاق بالهجم
وتعطر في بواي الشرق ، تودع خصبها المكنون
فينتفض الرماد ويورق الزيتون
ويا تنين النور
الينا بعد طول الهجر والترحال عبر مداين البلور
فذك كهوف اورها بثلج ضميرها المقرر
وباتت فيك شيكاغو ، وحلم رصاصها المسعور
تعال . . تعال يا تنين عصر النور
ان الريح لم يبح يد الخضر
وخيل الفتح في راياتها الخضر
على وعد مع النصر (٢) .

وبحماس فائق نجد الشاعر عبد الله الصائغ يثّثر بالنصر القريب الذي سيجي ،
مع أبطال يرفضون الظلم ويعيدون تاريخ صلاح الدين :

(١) القدس المحتلة ، الكاتب ، ١٩٦٧ ، ص ١٥٨ .

(٢) موسى شعيب ، المجموعة الشعرية الكاملة ، بغداد ، ص ٢٩٣ .

الليل يركض والهياكل تطبق
ثارت رفات الصهب وانطلق الفدا
ان الصدور اذا تفجّر ويلها
يا قدس نحن الطارقين فهللي
صقر الجزيرة والمناثر تصفق
ليحاور الذكرى أسي لا يرفق
والنصر يرقص والزمان يصفق
لبيارق الغبش المنور تخفق (١).

أما الشاعر رياض عبد الفتاح فيؤكد أن الحزن لن يولد فينا إلا الأمل والعشق
للأرض :

تعودنا على الآلام لم بعد نقلق
تعلّمنا من الأحزان أن نقدي وأن نعشق
ونسقي كل سوسنة
وندرأ كل غائلة
عن الزيتون والأهل
نجدد بيعة الرفض
ونغرس بذرة الطوفان في الأرض
ونكسوها
بلون الأرجوان الثر في الزنبق
ونمضي في بحار العشق نقطعها ولا نغرق
فشمة فرحة كهري
وان ضاقت بنا السبل

وهو يبشّر القدس بأن نهاية التعب قد حانت لأنه سيثور ويتمرد على كل
ما سبّب له الذل والقلق :

أموت بشغرك المرسوم في قلبي
أيا مبتلة بالنار والشهب

(١) عبد الله الصانع، ديوان هاكم فرح الدماء، بغداد، ١٩٧٤، ص ١٢٥.

لك البشرى فاني حارق سفيني

لك البشرى

فتلك نهاية التعب

سيطلق سهمه القوس

وتبدأ عرسها القدس (١).

ورغم كل المعائب التي واجهت الشاعر احمد الريماوي من غربة وتشرد وجوع،
فانه البطل الصامد الذي لا يبدؤ أن يمتشق حسامه ويثور من أجل كرامة القدس
وعزتها :

يا قدس عمن تسألين ؟

ولمن تجهين الشوارع عارية ؟

كل المدائن خاوية

الأسود امتدت زراعا الخفية

آه يا عنق البياض

العقم موطنه الرماد

الجهل كابوس يخيم

فوق أهذاب الصباح

وأنا الذبيح دمي يدار على الحضور

أقتات من همس الرياح

بالنفض أفتح جبهتي للبحر

أغرز هامتي في الصخر

أطلع من ضباب الخزي

استل الوجود

أوزع الجرح الندى

(١) رياض عبدالفتاح ، أميرة الاحرار ، صحيفة الرأي ، ٢٠ أيار ، ١٩٨٨ ، ص ٩ .

أقول يا قدس ابشرى
الأخضر امتشق الحسام
وله من القاني غذا^١ ما نضب
يا قدس يا نهض العرب
يا قدس يا جرح العرب (١).

ويناشد الشاعر محمود الروسان القدس طالبا منها أن تفخر بشعبها وأن لا
تحزن لأن العرب سيفسلون العار عنها بأرواحهم ودمائهم لا بالأقوال
والخطب :

تهبي ندى القدس بالا جلال وارتهبي	مهذ البطولات والمسرى لخير نهبي
تهبي على الدهر والدنيا ولا تهني	ولا يهولك روض في الظلام سبي
سنغسل العار نحن العرب من دنس	ونجعل الأرض بركانا من اللهب
أنا نذرنا لك الأرواح نهرها	والروح تسمو على الأقوال والخطب (٢).

وإذا كان الشعراء قد رسموا طريقا مليئا بالأمل للقاء القدس، فإن المدينة
نفسها كانت على أمل كبير بلقاء الأحبة وهزوغ فجوها من جديد .

الشاعر الياس قنصل يجعل من القدس مدينة ذات ثقة كبيرة بأبنائها، مستبشرة
بانتها^٣ الاحتلال وعودة الفجر المرتقب :

ان ناشني الهم في حلمي وفي سهدي	وناهني الجور والارهاق والبؤس
فما تهاوى رجائي عن طبيعتي	ولا تناولني من حالتي يأس
ستبزع الشمس من أفقي لتنعشني	لا يمحى الليل ان لم تطلع الشمس
وسوف ينصروني البلد الذي خضعت	منذ القديم لديه الروم والفرس
عشيرتي العرب لا جفت حميتهم	وان سألت عن اسمي فاسمي القدس (٣).

(١) احمد الريماوى، ديوان موال من وراء الغربة، عمان، ١٩٨٤، ص ٨٠ .

(٢) محمود الروسان، يا دولة الفخر للإسلام، القدس الشريف، ١٠٤-١٥٠، ١١٤، ١٩٨٦ .

(٣) ص ٣٩ . الأسيرة، الفيصل، ١٩٨٢، ص ٣٠ .

قصيدة الداخل والخارج :

- ١٩٢ -

تعددت القصائد التي قيلت في مدينة القدس ، إذ شارك معظم الشعراء العرب في تناول هذا الموضوع ، وكتبوا فيه القصيدة العمودية الحرة ، وإن كانت القصيدة العمودية قد احتلت مساحة واسعة من هذا الشعر ، وقد حاولت من خلال تنمحي لهذه القصائد المختلفة أن أميز بين قصيدة القدس المكتومة بأيدي أبنائها والأخرى المكتومة في سائر أقطار الوطن العربي ، وتبين لي أن الأثر في غاية الصعوبة رغم اختلاف درجة التجربة والمعاناة عند الشعراء ، فقد نجح معظم الشعراء العرب في التعبير عن واقع مدينة القدس رغم عدم خوضهم التجربة .

يقول محمد غنمي هلال في حديثه عن التجربة :
" ليس ضروريا أن يكون الشاعر قد عانى التجربة بنفسه حتى يصفها ، بل يكفي أن يكون قد لاحظها ، وعرف يفكر عناصرها وآمن بها ودبت في نفسه حماها ، ولا يستد أن تعينه دقة الملاحظة وقوة الذاكرة وسعة الخيال وعلى التفكير حتى يخلق هذه التجربة الشعرية التي تصورها من قرب على حين لم يخض غارها بنفسه ، والشعراء مختلفون في ذلك ، فبعضهم يجيد فيما يلحظ ويتخيل ، وبعضهم لا يجيد إلا وصف ما عاناه بنفسه " (١) .

لقد جاءت قصيدة القدس الداخلية والخارجية واحدة في الشكل والمضمون ، حملت بعدا دينيا واضحا وركزت على الأحداث المعاصرة المتمثلة في تصوير حجم المأساة والنقد الذاتي ، وعلى المستقبل المتمثل بالأمل المشرق والعزم والاصرار ، كل ذلك بثوب شعري واحد (التقليدي) ولغة أقرب ما تكون إلى التقريرية الخطابية في معظم هذه القصائد .

ورغم التشابه الكبير في قصيدة القدس ، فقد استطعت أن أصل إلى بعض نقاط التباين التي ميزت قصيدة أبناء الأرض عن غيرها من قصائد الشعراء العرب وأخص محمد غنمي هلال والنقد الأدبي الحديث ، القاهرة ، ص ٣٦٣ . (١)

بالذكر هنا قصائد الشعراء الذين ظلوا يعيشون المأساة فترة طويلة من الوقت من أمثال فدوى طوقان ، محمود درويش ، سميح القاسم ، عبد اللطيف عقل ، هارون هاشم رشيد ، راشد حسين ، وغيرهم من الشعراء الفلسطينيين ، ومن هذه النقاط :

١ . الصدق العاطفي لدى هؤلاء الشعراء في التعبير عن التجارب التي تناولوها والذي نأى غيرهم من الشعراء ، ومرت ذلك هو التفاعل الحي المستمر بين ذات الشاعر وواقعه المرء وقد تمثل هذا الصدق في تلقائية الشاعر وانسيابها دون حذر ، وفي لفتها التي جسدت هذه الشاعر وفي طبقاتها الانفعالية المتنوعة ، وفي موسيقاها ذات الايقاع الغنائي العذب المؤثر .

٢ . ان شعر هؤلاء الشعراء أقل بكائية وندبا وشكوى من شعر غيرهم من الشعراء العرب ، فقد استعاض هؤلاء الشعراء عن هذه البكائية بنغمات الحزن والأسى التي صدرت عن ثقة وتفاؤل بحركة التاريخ ، فخلا شعرهم من الميوعة والضعف وتوجه الى الوجدان الانساني دون حواسه المباشرة الامر الذي جعله ينقل الى القارى موقفا مشابها من غير أن يثيره عواطف الشفقة والرحمة والاحسان .

٣ . ان قصائد هؤلاء الشعراء لا تلخص التجربة الشعرية بل تنقل في الفالسب تفاصيلها بالرغم من التشابه الذى قد نجده بين الشعراء من ناحية ، وبين قصائد الشاعر الواحد من ناحية أخرى .

٤ . لم يذكر معظم هؤلاء الشعراء الاماكن المقدسة في قصائدهم العديدة عن القدس ، ذلك أن القضية في رأيهم ليست قضية المسجد الاقصى وكنيسة القيامة بقدر ما هي قضية الارض ذاتها التي يقوم فوقها هذان الاثران الدينيان .

٥ . في حين كان معظم الشعراء العرب يطلقون القول على عواهنه من خلال الحماس الكبير والاصرار الذى قد لا يقره مجرى الاحداث ، كان شعراء الارض أكثر واقعية في نظرتهم لمستقبل هذه المدينة ، حيث اتخذوا في تصويرهم للعودة مذهباً يعتمد اللامسة الانسانية الصادرة عن موقف حياتي يقرن الانسان بالارض الامر الذى يعطي للشخصية القومية هويتها القادرة على الثبات ومواجهة صعوبات الاحتلال .

بيروت :

رّكّز الشعراء في تناولهم لأحداث الصراع في هذه المدينة على :

- ١ . الأحداث المعاصرة التي عاشتها المدينة .
- ٢ . مستقبل المدينة والامل المعقود على قرائنها في تخليصها من الواقع المؤلم الذي تعيشه .

مؤلف الشعراء من الأحداث المعاصرة :

مثلاً وقف شعراء القدس في قصائدهم وقفة جريئة من أحداث المدينة المعاصرة وصوّروا حجم المأساة التي لحقت بالمدينة وسلّطوا أسوأهم على الحكام والشعوب، وقف شعراء بيروت فتناولوا الأحداث المعاصرة ونتائجها المفزعة وهاجموا بقوة الحكام وسخروا من تخاذل الشعوب واعتبروا العرب مسوولين مسؤولة مباشرة عن أحداث المدينة .

لقد رّكّز شعراء بيروت كثيراً على تناول الأحداث التي عاشتها المدينة ، وكان حديثهم منصّباً على موضوعين هما :

أ - تصوير حجم المأساة .

ب - النقد الذاتي .

تصوير المأساة :

تناول الشعراء في حديثهم عن هذا الموضوع أمرين مهمين هما :

١ . الموت والخراب .

٢ . الطفولة المشرقة .

الموت والخراب :

رّكّز الشعراء ضمن حديثهم عن مأساة بيروت على وصف الدمار والخراب الذي

لحق بهذه المدينة ، فقد تحولت بيروت في فترة بسيطة الى مدينة مهجورة ليس فيها

سوى سحب الدخان الكثيفة والجثث المتناثرة هنا وهناك ، وتحولت الى عاصفة احتراق
الموت فيها بالمجان ، حطام الدور ودم الاطفال في كل الطرقات . . . في كل لحظة
انفجار ، أهلها يعيشون العذاب وليس بمقدورهم عمل شي . . . لقد شاهدت بيروت ولم
يعد هناك ألق يشع ويهيم ، ارتحلت كل طيور العشق منها وصار حبها المدافع
الثقيلة .

فبيروت في شعر الشاعر أزهر سليمان مقبرة تجمع جثثا لا شكل ولا اسم ولا عمر
لها ، تجمع جثثا ملقاة في أقنية الاوساخ ، عشت فيها الدود والصفار ، انها مدينة
الحزن الابدية ، لا يسمع فيها غير عويل الامل وصراخ الاطفال الابرياء :

ويصير الحزن الاسماء ، الاشياء

تحت النيران نواحا

يسقط عشرة

يخرج من قعر الارض مئات الموتى

أشباح شتى

لا اسم لهم ، لا عمر لهم

لا شكل لهم

قتلى . . . قتلى

جثث ملقاة في أقنية الاوساخ

عريد في أضلعها البارود

من يعرفها

لا أحد

غير العفن المصفر بسحنتها والدود

آلاف القتلى

وعويل الاملة الثكلى

تجرى . . . تجرى . . . وتعود

آلاف القتلى

وبقايا طفلة

مزقها زمن ويهود (١) .

ويؤكد الشاعر عبد الخالق الركابي ما ذهب اليه الشاعر السابق من أن القتل
في بيروت هم في كل مكان ، في شوارعها وخلف أبوابها ، يسفكون دماء الأبرياء ، ويتلذذون
بمناظر الجثث الملقاة هنا وهناك :

في شوارعها

خلف أبوابها

في عيون الصبايا الجميلات

في سحن لفحتها الرياح

الجنومية المستثارة في

" تل الزعتر " " مردان "

في مدن

يلعق البحر أقدامها البضة

المستباحة

ثمة قتلى

يمدون أذرعهم

يومئون لنا كلما اهترت

صخرة الليل

واخضل وجه انتظارنا

بالدماء (٢) .

ويشير الشاعر ناصر عبود الى أن بيروت قد أضحت طللاً يشمّ فيها كل فرد
رائحة الفجيرة العربية ، لقد هدمت بيروت وحلّ مكانها شاهدة غربية تحمل وشماً

(١) أزهر سليمان ، بيروت ، الجامعة ، ٨٤-١٠٠ ، ١٠٤ ، سنة ١٩٧٩ ، ص ١٢٠ .

(٢) عبد الخالق الركابي ، بيروت ، الآداب ، ٧٤-١٢ ، ٩٤ ، سنة ١٩٧٥ ، ص ٤٠ .

جديدا ليس فيه من العروبة شيء :

أيتها الطلول

غبار من هذا ؟

أرى في هذه الاطلال وشما

أستدل به على آثار من كانوا هنا

قولي اذن

ودما من هذى

أشم بها الفجيعة

واحتباس الهم في صدر البلاء

بيروت هذى ؟

يا دمار الأهل

من وأد الهوى

وأقام شاهدة غريبة ؟ (١) .

أما الشاعر وليد أبو بكر فيرثى رحلة الحلم التي لم تكتمل في بيروت، حيث
الموت والقصف والرصاص الطائش دونما سابق انذار، لقد صار الموت في بيروت بالمجان،
يأتي دونما سابق انذار أو ميعاد ويحول قيمة الانسان فيها الى رماد :

... وقهل أن نعيش رحلة الحلم

تصدعنا بيروت بالصراخ بالالام

بيروت لم تعد تعايش الجمال والطفولة

بيروت صار حبها المدافع الثقيلة

فالموت في بيروت بالمجان

الموت صار قدر الانسان للانسان

وقد يجي صدفة بلا ميعاد

(١) يونس عبود، ديوان دم ومرتقال، بغداد، ١٩٨٣، ص ٧١ .

تحمله رصاصة تطيش في الهواء

يحملة الرصاص

فقيمة الانسان في بيروت صارت كالرماد (١).

وتحاول الشاعرة نازك الملائكة أن تلتقي ببيروت العشق والمحبة، لكنها لا تتمكن لأن بيروت لم تعد كما كانت، فقد عمها الخراب والقتل، وسيطرت عليها نار الحقد والضغينة، وحيل بين العاشق ومعشوقته :

أشتاق في الليل يا حبيبتى لأن أغنيك

أصحب البحر كي نلاقيك

في ضلوع الحثين والحلم نحن نوؤيك

غير أن المدى ببيروت يرتدى معطف الدخان

أشتاق لكننا الاغانى

هائمة تسكن الخرائب

بيروت مقتولة المحاربين

طوردت في داروها طفلة - الاذان

بيروت مسلوخة الكواكب

وخلف عينيك يا حبيبتى جنازتان

حزينتان

ومينا الحقد والكئاب

وتتابع الشاعرة واصفة رعب بيروت وخرابها بألم وحزن :

في غش الفجر يا حبيبتى تحن نفسي

لأن أغنيك

أسأل الفجر كيف تأتى

اليك أغنيتى الحزينة

وعبر بيروت يذبح (الرست) مثلما تذبح المدينة

تسقط قتلى كل الاغاني

في ساحة البرج ، دون رأس

ويا حبيبي بيروت صارت جنائز اللحن

ينبت الرعب في ثراها

وأنجم الليل قطعت شعرها وأبقت

فحم الضفينة

وما هذا الخليج ملح ، ولي بيروت نهر شمس (١) .

ويؤكد نزار قباني انه شاهد العاساة بأمر عينيه ، شاهد القناصة وهم يضاعفون

بيروت كجارية ، يتناونون عليها واحدا واحدا ، يفرزون آلاف السكاكين في صدرها .

لقد أطبق الخوف على بيروت فارتحلت طيورها ومقاهيها ومصاهيها الى غير رجعة ،

وغير بحر بيروت الابيض اسمه الى الاحمر المتوسط :

عندما كان الوطن يهرب من الوطن

وكان الاطفال ينامون فوق العابهم

في مطار بيروت الدولي

بينما آباؤهم يزنون الحقائق الملائ بالدموع

ويضطرون الى دفع أجره

عن كل كيلوزائد من الدمع . . .

وعن كل كيلوزائد من الحزن . . .

عندما كان الوطن يضع يديه على وجهه

ويبكي

وكانت الفيوم الخريفية

القادمة من جزر اليونان

تخاف أن تقترب من سواحل لبنان
مخافة أن تصاب برصاص قناص
عندما كانت مصابيح الطرقات
ترتعش من الخوف . . .
ومقاهي الرصيف
تطوى مظلاتها وتهاجر . . .
وطيور البحر تحمل أولادها على أكتافها
وترحل
عندما كان الوطن يشنق الوطن . . .
كنت على مسافة أمتار من الجريمة
أراقب القتل
وهم يضاجعون بيروت كجارية . . .
ويتناهون عليها . . .
واحدا . . .
واحدا . . .
وفقا لبروتوكولات القبيلة
والاستيادات العائلية
والرتب العسكرية
لم أكن الشاهد الوحيد الذي رأى ألوف السكاكين
وهي تلتصع تحت الشمس
ورأى ألوف المقتنعين
وهم يرقصون رقصة (القام . . . تام)
حول جسد امرأة تحترق
ولكنني كنت الشاعر الوحيد
الذي أدرك

لماذا غيّر بحر بيروت اسمه
من البحر الأبيض المتوسط
الى (البحر الأحمر المتوسط) !! (١) .

وبشير الشاعر هارون هاشم رشيد الى أن بيروت أصبحت الضحية الكبرى في
هذا الوطن ، أصبحت غابة للذئاب الشرهات ، بيع في أسواقها تاريخها ففدت مذبوحة
مطروحة وكل السكاكين فوق صدرها :

يا " أريحا " عاد " بن نون "	الى لبنان سيف يمشق
قاتل مازال في أثوابه	ذلك المجنون ، ذاك الاحمق
فإذا بيروت أضحت غابة	لذئاب شرهات تلمق
غالها الباغي فما من لحظة	تنقضي إلا وروح تزهرق
لعبة الموت بها مختارة	يتعاطاها القساة الفسق
بيع في أسواقها تاريخها	وتلاشى نورها والالسق
وتهدات صورة رائعة	لمحياتها ، وزال العيسق
انها مطروحة مذبوحة	تتلوى دمه ينهشق
السكاكين عليها اجتمعت	فهي انقاض دمار مـزق (٢) .

وبشير الشاعر عبد العزيز المقالح الى أن زمن بيروت هو زمن الموت والاحزان
... زمن الردة انه يحاول بكل الوسائل أن يخلص من هذا الموت ولكنه لا يقدر ،
فالصباح والمساء في بيروت لا يحملان إلا أخبار الموت المؤلمة :
كل صباح أخلع عيني كي لا تبصر أظفار الموت
أخلع أذني . . كل مساء . . كي لا تسمع أخبار الموت
أخلع نفسي من لغة المرتدين
في شعري

(١) نزار قباني ، ديوان الى بيروت الانش مع حبي ، بيروت ، ص ٩٣ .
(٢) النقش في الظلام ، ص ٨ .

أين أهاجر في زمن القتل

من زمن الاحزان - الردة ٢٢ (١) .

ويصف الشاعر محمد الحلوى الردم والخراب والموت والتشريد في بيروت
ونفسه تعتصر ألما وحزنا لمثل هذه المواقف المنفرة ، وهو انما يأس لحال الاطفال
والشيوخ هناك لأنهم الضحية الكبرى لأحداث بيروت المقيتة :

كواكب نار تصب به صبا	فواليل بيروت وقد عاد كالضحى
وينقض كالاعصار يطرها شوا	يلعلع في أجوائه الموت غاضبا
وسرب دمار ساق من خلفه سرا	عصائب موت تهتدي بعصائب
بمن ساقه بحر ومن في الثرى دبا	فهلّا شفى نيرون نفسا مريضة
دخان كساها من سحائب ثوبا	تهادت مبانيها وخيم فوقها
وخلته يمتص القذارة والتربا	ووارحمتا للطفل ودّع أمه
يموت ولم يغمض له أحد هدبا (٢) .	وللشيخ تحت النقض يعدلو أنينه

وبشير الشاعر خضر عباس الصالحى من خلال أبيات يظهر فيها تأثره الواضح
بقصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة ، الى أن بيروت أصبحت مسرحا للضحايا
والفظائع وفريسة لكل السياسات الخرقاء التي تعارس لعبة الموت بكافة أشكالها
فبيروت اليوم هي بيروت الجماجم والدموع ، بيروت الخرائب والاشلاء :

بيروت باتت للفظائع مسرحا	وضحية للنزوة الحمقا
وغدت لأهوال المجازر مغنما	وفريسة لسياسة خرقا
وتحوّلت فيها القصور خرائبها	لم تحو غير جماجم الشهداء
وربوعها التلكى اذا أبصرتها	لم تلق غير الدمع والاشلاء
وهياكل الاطلال تشخص بينها	لنواظرى كالصورة الفجعا (٢) .

-
- (١) عبد العزيز المقالح ، بيروت والليل والرصاص وتل الزعتر ، مجلة الكاتب ، القاهرة ،
١٨٤٤-١٨٩ ، ١٨٥٤ ، سنة ١٦ ، ١٩٧٦ ، ص ١٠٥ .
- (٢) محمد الحلوى ، لبنان الشهيد ، دعوة الحق ، الرباط ، ٢٢٤٤ ، سنة ٣ ، ١٩٨٢ ، ص ٧٧ .
- (٣) خضر عباس الصالحى ، بيروت التلكى ، العرفان ، بيروت ، ١٤-١٠ ، ٢٤ ، سنة ٦٧ ،
١٩٧٩ ، ص ٢٤٥ .

ويرسم الشاعر سليمان العيسى صورة مؤلمة لفجيرة بيروت حيث الانفجارات المتوالية ودم الاطفال المسفوك في الشوارع وحطام الدور والاعصاب، وانقطاع النور والماء عن السكان ، انها بيروت المحترقة بكل ما تعنيه الكلمة :

ما يزال النور مقطوعا

ما يزال الماء مقطوعا

ما يزال الموت في الطرق

وحطام الدور والاعصاب، في الطرق

ودم الاطفال . . في الطرق

انفجار ، في انفجار . . في انفجار

رقعة الهدب انفجار

نهضة القلب انفجار

ضاع في الليل النهار

لم تزل بيروت تحترق

لم تزل عاصمة الضوء

وعطر الليل

تحترق

تصدع الوحش بما في قبضتها من دماء

وهي تحترق (١) .

وبتسائل الشاعر محمد الفيتوري بنفمة السخط والقهر عن الحال الذي وصلت اليه بيروت منكرا أن تصبح بيروت مدينة للرعب والسخط والقتل والفرع بعد أن كانت مدينة للسلام والمحبة :

عاصمة السقوط والاحتضار

أكل هذا الساحل الملحي جرحك ؟

كل هذا الحائط الدموي موتك ؟
كل هاتيك الضحايا الساقطات من الجحيم . .
وأوجه القتلى المغزعة العيون . . .
وذكريات الرعب والدم والغبار (١) .

ثم تلخص الشاعرة سلافة العامري مأساة بيروت في أبيات قصيرة تظهر فيها هول
المأساة وشاعتها :

ومرت شهور الشتاء وعاد الربيع
وبيروت تبهر نحو الرمال
على زورق من حديد ونار
ومجذافها بين جزر ومد
ودمع العيون وعصف الرصاص وخنق الشرر (٢) .

ويعبر الشاعر يوسف أبو لوز عن مأساة بيروت تعبيرا مؤلما ، فيجعل من بيروت
مدينة غير قادرة على فعل شيء "ازاء" الهجمات الشرسة ، تنزف دما ، جسدها تمزق
بفعل الطائرات التي استباحت شوارعها وحقوقها ومدارسها . وهو ان يصف هول ما
تعمانيه بيروت انما يدعوها لأن تكون خنجرا تقاوم كل الطامعين :

أمر قليلا على طفلة الماء
بيروت
حتى أرد السلام
أقول لها قاوسي
وازرعي خنجرا في جدار الكلام
طفلة الماء تنزف والماء أحمر أحمر

(١) بيروت في زمن الولاية والدمار ، الآداب ، ١٩٧٥ ، ص ٧ .

(٢) سلافة العامري ، يوميات تبحث عن هوية ، الموقف الأدبي ، دمشق ، ع ٦٩ - ٧٢ ،

ع ٧٠ ، سنة - ١٩٧٧ ، ص ٨٣ .

ها هي بيروت مطعونة
من يجيب ؟
طنلة الماء تنزف
والافق قنبلة ترتعد
ودمي الزوبعة
كانت الطائرات تمر على صدرها
تشق الجسد
وذراعي ترتفعان
كان لحم المخيم
مهرجان
كانت الطائرات تفتش عن عنقي
هل رأيتم قنابلها تستبيح الشوارع
والحقول ، والمدرسة ! ! (١) .

ويرسم الشاعر كاظم الساوي صورة معبرة لحياة الهوس والحرمان التي تعيشها
بيروت من خلال الاشارة الى الجوع والقلق والتشرد الذي يعانيه اهل هناك ،
انهم يفتشون أرصفة الطرق ، يقارعون الليل الطويل ، ويبحثون عن الرغيف في كل
مكان :

شاهت فلا الق يشع ويبسم	وخبث فلا نار تشب وتضرم
عصب الرماد جبينها وتلفعت	بالصت لا همس ينم ، ولا فم
أخنت عليها زهوة محبوسة	يندى لها الالق الحبي وتظلم
كم لجة قذفت هروح هامد	أودى به اليأس الذي لا يرحم
ومشرد مدّ الهجير ظلاله	في التيه ينجد (الرغيف) ويتهم

(١) يوسف ابو لوز ، نشيد بيروت ، أفكار ، عمان ، ع ٥٧ - ٥٨ ، ٦٢ - ٦٤ ، ٦٥ - ٦٢٤ ،

ومسهد نضو الرصيف وساد، وغطاؤه الليل الطويل الاسحم (١).

ويشير الشاعر نسيم نصر الى أن بيروت قد تحولت الى ميدان قتال، تنهادى في شوارعها القنابل، وتآكل أسواقها النيران، كل ذلك والناس كالانعام تملكها مشيئة الفتك بالاعمار :

مدينة الحسن في الشط الجميل غدت	ميدان حرب تدوى في مبانيها
حرب الخنادق قد هانت لتجدها	حرب الفنادق تحمى في مقانيها
ما بين قنبلة تهوى مد مـــــورة	وبين قنبلة قد صدّ مطفيها
تمسي المباني كأطلال مشوهة	أو كالمفاور ثوب الحزن كاسيها
وتأكل النار أسواقا بها نهضت	أيدى البناء ووشى الذوق حالها
أما الصواريخ رسل الموت طائـــــرة	فهى المطيفة بالاقدار توتيتها
كأنما الناس أنعام تملكها	مشيئة الفتك بالاعمار تنهيهها
فاستقرم البقي في أقسى ضراوته	يبيح للقنص حتى ظل ضاريها
واستفحل الشرّ يغشى كل حاضرة	وكل دسكرة يجتاح ما فيها (٢).

ويجعل الشاعر عدنان الصائغ من زمن بيروت زمنا للموت والتوجس، حيث الموت في كل الطرقات والدم في الخبز اليومي الذي يقتاته السكان :

فتحت قميصي
لكل العصفير
قلت . . . استريح
على غصن قلبي
وغني - كما شئت -
فالفأبى الآن - مطفأة
والبنادق

(١) كاظم السماوي ودبيوان رياح هانوي، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٥١.

(٢) انتفاضة فينيق، الأديب، ١٩٧٦، ص ١٤.

محشوة

هذا زمان التوجس

والموت . . . في الطرقات الحزينة

والدم

في الارغفة (١) .

ويبين الشاعر جبار الكواز أن شوارع بيروت قد فقدت كل معاني العشق
والمحبة ، فقدت غناء العصفير والعشب وعناقيد الكروم ، وتحولت الى ميدان للشرطة
والقناصين يمارسون فيه هواياتهم الارهابية كما يشاءون :
أمام الجامعة الأمريكية :

الوقت مساء

وحراب الساعة تعكس ضوء الخوذات الحربية

لن يسهر موتى الليلة في الحانات

الاشجار المقصوفة خلف عيون الجرحى

تتحاور

تحت نوافذ دار الشرطة خلف مقاريس الشهداء

تتشبهن وقفة محبوب ، صوتا وغنا ، عصفير

العشب ، الاوراق الخضراء ، عناقيد كروم ، التفاح

تتحاور

ترفض

وتساقط كل الاقمار ، الاحلام (٢) .

(١) انتظريني تحت نصب الحرية ، ص ٤٧ .

(٢) جبار الكواز ، ديوان سيدة الفجر ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٧٧ .

الطفولة المشردة :

لقد خصص بعض الشعراء جزءا من قصائدهم للحديث عن أطفال بيروت، إذ أن المأساة كانت أكثر ضررا بأطفال بيروت وفقرائها الذين لا ذنب لهم في كل ما حدث. وقد بين هؤلاء الشعراء أن حرب بيروت كانت مروعة بالنسبة للأطفال فقد فقدوا آباءهم وأمهاتهم منذ صغرهم، فقدوا طفولتهم العذبة وتعلموا بدلا منها فن القتل، تناثرت أحلامهم وهاموا على وجوههم في عالم موحش، إنها الهمجية القاتلة تلك التي شردت أطفال بيروت، وجعلت من الرشاشات والمدافع هدايا لهم.

الشاعر سليمان العيسى يأسى لحال الأطفال ويرسم صورة مؤلمة يعبر فيها عن واقعهم المرير، فهم في خوف دائم، يرتعدون ويتساقطون طعمة لنار الحقد والصفينة الملتهبة هناك :

مرّبالاطفال في هذا الجنون

اسهم يرتعدون

يسحق الكبر الصفار الخائفون

مرّبالاطفال واجمد، انهم يرتعدون

بعضهم يهوى أمامك

طعمة للنار

لن أفتح ما يعتصر الروح أمامك

وهو يؤكد أن الذي يحاول قتل الطفولة البريئة لن يقتل إلا نفسه :

تلاحقهم نار الدمار

عمياء، صمّاء، بكاء

منذ اجتثوا من تربتهم

من منبتهم

يا مطر نار الحقد

على ألعاب الأطفال

على أجساد الاطفال
على أحلام الاطفال
لن تحرق الآ نفسك
لن تقتل الآ نفسك
المجرم لا يقتل الآ نفسه (١) .

ويبين الشاعر عبد السلام جاء الله كيف ضاعت أحلام أطفال بيروت مرة واحدة
وتحوّلت الى كوابيس ، فقد كان حلم الطفل في بيروت أن يلقى أباه محمّلاً بالهدايا
لكنه سرعان ما يجد القناصين محتمّين بالمدافع والرشاشات ، انها هدايا أطفال بيروت
اليوم :

كان في بيروت حلما
للصبايا . . . بالهدايا في أكف العائدين
كان فيها حلم طفل
أن يرى " بابا " قريبا
في جموع القادمين
. . . لم يعد (بابا) . . ولكن
عاد " قناص " ومدفع
يهرب الطفل بعيدا
ثم يهكي : . . ثم يصمت
. . . يخرج القناص جذلا
أحرق الطفل . . وغنى
. . واحتس كاسا كبيرة
من نبيذ الدامفين (٢) .

ويبين الشاعر انطوان سعيد أن تشرد الاطفال هو نتيجة من نتائج الهمجية
في بيروت ، فقد أبعدت الاطفال عن آبائهم ، علّمتهم أن القتل منذ صغرهم ، جعلتهم

(١) الكتابة أرق ، ص ١٩٥ .

(٢) عبد السلام جاء الله ، ديوان عيناك والشيطان في حيفا ، الدوحة ، ١٩٨٣ ، ص ٢٧ .

يهيمون في عالم غريب موحش، هربت طفولتهم ولم تترك سوى الذكريات الأليمة :

الهمجية أكلت ربيع بيروت

أكلت حبي وأملتي

وأولاد حينا

هجرنا آباءهم وامهاتهم

وتركونا مصلوبين

على جدار قاتم اللون

أسود كضائرننا

ملائته الشعارات والشتائم

ولطخته

أوساخ الضفينة والحقد

لقد رحل أطفالنا

في زوارق جديدة

يجذبون بمجاديفهم الصغيرة

الى عالم غريب موحش

في بيروت التي كانت للأطفال

يوم أطلقنا الرصاصة الاولى

هربت طفولتنا

من شوارع العاصمة

ولم تترك لنا

سوى الذكرى الالهية (١)

ويظهر الحزن واضحا في أبيات للشاعر خضر عباس الصالحي الذي بين أن أطفال

بيروت قتلوا دون ذنب يجزون عليه وأصبحوا ضحايا لفعلة مقيتة، فزهقت أرواحهم

بقذائف عمياء :

فلذ القلوب تئن تحت حطامها
اولئك الاطفال ماذا قد جمنوا
وهناك كم من صبية تسبها
لم تقترف ذنبا ولكن روحها
وتضج من أوضاعها الشوها
فقدوا ضحايا فعلة شنها
خسفا فلول الطفمة الغوغا
قد أزهقت بقذائف هوجا (١).

ويتحسر الشاعر ابراهيم بن يوسف بن الشيخ على أطفال بيروت الذين غلدا
لقمة سائفة في ثم أعداء بيروت، وعلى الامهات اللواتي فقدن أطفالهن وأهلهن
بنار الحرب، لقد أصبحت حياة الاطفال والامهات حياة تبعث على الالم والحزن
بعد أن سادها الخوف والتشرد والقتل :

لهفي على الطفل في بيروت تذبحه
والام واقفة أحشاؤها لها لهيب
لهفي على الام والضراء قاتله
تأوى الى الكوخ والنيران عاصفة
لا أنس في الكوخ، لا طعم ولا سكن
صهيون أشلاؤه فوق الثرى مزق
وقلبها من اليم الحزن ينقلب
وليلها الجوع والبأساء والارق
والموت غول على الاتفاق تنطبق
ولا قرار . . وشمل الامل مترك (٢).

ثم يؤكد الشاعر أديب رفيق محمود أنه لا شيء يشجيه ويهيكه في هذا العالم
سوى هذا الطفل الضائع التائه في بيروت، الطفل الذي لا يعرف ماذا يصنع، فكل
شيء في عيني الشاعر يثير اليكسا :

ماذا يهيكني . . . ؟

دمع يهمني من شرفة هذا العالم
أم طفل مقرر يسمى خلف المجهول، يجذف
في العتمة
في لعبته المعتلة ذابت بسمته، وفي صندله
الواجف ؟

(١) بيروت الثكلى، المعروفان، ١٩٧٩، ص ٢٤٥.

(٢) ابراهيم بن يوسف بن الشيخ، من أعداء صابرا وشاتيل، مجلة الفيصل، الرياض،
ع ٩٠ - ٩٣، ع ٩٣، ١٩٨٤، ص ٨٢.

يا ابني ماذا يبكيك ؟

الظلمة ؟ هذا الهرم القارس ؟ قطتك اللباد

المبتلة . . ؟

في أي الاحياء يكون البيت ؟

العينان الخضراوان ، اللون المخطوف المعتل

هذا الشعر المختار يرويه الطفل

سفن المجهول ، شراع الامس البائد ، حبل الصمت

في عيني هذا الطفل رحيل يشجيني (١) .

ويرسم الشاعر جورج ابو خليل صورة مخزعة لحياة البؤس التي يعيشها أطفال بيروت ، فهم ينامون في العراء ، وسادتهم جثة طفل ، قتل آباؤهم وهدمت منازلهم ، وطعنت قلوب أمهاتهم ، ضاعت أحلامهم ، عاشوا البؤس والشقاء واليتم :

ابان الحرب

نام أطفالك في العراء

وسادتهم جثة قتيل

يحلمون بالسلام

بالحياة السعيدة

لكن حلمهم أمانسي

وراقعهم شقشا

أطفالك يبكون

يا بيروت

لقد قتل آباؤهم

هدمت منازلهم

طعنت قلوب أمهاتهم

فكتب البؤس حياتهم
بمعزل عن الهنا
في شوارعك
يمر الانسان مذعورا
أمامه
ترتسم أشباح الاعداء ،
ومن هم الاعداء ؟
هم الذين يتّمو الطفل
شرّوا الام
هدموا الهنيان
نقلوا الكثرين
الى دنيا البقاء (١) .

ويبين الشاعر حسين حيدر أن اطفال بيروت قد كبروا بدون أن يعرفوا زمانهم ،
ثم يطلب من بيروت الام أن توفّق بهم وتغمر لهم الطريق لكي يبدأوا حياتهم من جديد :
أرضي المدودة بين الماء وبين الماء الآن تموت
من بعد جمالها ولدت الآن خصيانا يا بيروت
صوفي ما شئت أساطيرا وحكايا فرح للاطفال
واعطيهم دروسا في التاريخ لا ينس في الحال
واهديهم ألوانا أخرى ورسوما لم تخطر في بال
وهبهم في ظمأ الايام خيالا ان ظمئوا الخيال
لا نور على الشاشات فهل شاشاتك أيام وليال
كبر الاطفال بدون زمان رفقا يا أم الاجيال (٢) .

(١) حليلة الخلاص ، ص ٦٢ .

(٢) كلمات للمريح والارض ، ص ٥٢ .

ويشير الشاعر صاحب خليل الى أن نهاية الاطفال في بيروت كانت نهاية
سريعة فقد كانوا يتساقطون بين الضحايا كلعن البصر، مثلما تشرق غيمة أو تدق نواقيس
الرحيل، لقد كانوا يضيعون في سماءات المدينة دونما ذنب يقتربونه،

دقت الساعات دقات حزينه

ضائع بين الضحايا

في سماءات المدينة

فتر وجهه

ذاب جرح

هز آمان المدينة

مثلما دقت نواقيس الرحيل

مثلما تشرق غيمه

التوى طفل ومات (١).

ويصف الشاعر نذير العظمة الروح الهمجية التي تعامل بها القناصون مع
أطفال بيروت حيث الجاهلية الاولى في كل تصرفاتهم، انهم يفترون الجسد والروح
معاً، يدعون الحياة الكريمة وهم يستنشقون العفونة ورائحة الموت:

أتيك من رحم السيدة أيتها المدينة

وأتكلم من براءة المهيد

والفريسيون يفترون ومضى الجسد ووردة الروح:

يتكلمون عن الفرية من مقاعد الريش

يتكلمون عن الاطفال وأقواهم ملأى بالعفونة

ورائحة الموت

يتكلمون عن الحرية، ويهينون زفاف الاغلال

(١) صاحب خليل ابراهيم، ديوان حين بيتد الحب، بغداد، ١٩٨٣، ص ٨١.

يتكلمون عن الحب من فراش البفا
يتكلمون عن الشعر ويبارسون فجور الكلمة
يتكلمون عن الحياة ويفصلون الاكسان
يئدون رحمة في الرما
يفصلونه قبورا وحجرات
فهل تسمعين صياح الطفولة المورودة
بأى ذنب قتلت أيتها المدينة
بأية جاهلية والقناسة كورس جنائزى (١).

ثم يشير الشاعر سعد الدين كليب الى حياة التمزق والجوع التي رافقت
أحداث بيروت والتي كان من نتائجها رحيل الطفولة الهريئة عن هذه المدينة،
لقد حلّ الحزن كل قلوب الاطفال هناك، وغدا التشرد شعارا لكل طفل اكتوى بنار
الحرب دونما ذنب :

بيروت . . تكدر في القبر . . وفي الطرقات
وتحت الردم . . بعيني طفل تكتنزان الارز والزيتون
وتلتهمان الجوع وأدعية الكعبة
والصبر المستد جنوا حتى القصة
والمستد شمالا حتى منتصف العالم
بيروت . . . ويحرق كل زناة الليل " الضوء الغريبي "
ليرحل طفل من لحن براءته الاولى
وليرحل جيل لم يعرف غير الحزن الثورى
عن الخيمة . .
عن أشلاء الخيمة . . .
عن بقايا الخيمة . . . (٢).

(١) بيروت والسيدة ، فكر ١٩٨٢ ، ص ٥٦ .

(٢) سعد الدين كليب ، بيروت وجيفارا ، الثقافة السورية ، دمشق ، ع آب ١٩٨٣ ، ص ٣ .

النقد الذاتي :

وقد وقف الشعراء في هذا الموضوع عند أمرين مهمين هما :

التخاذل العربي :

سخر شعراء بيروت من الموقف العربي تجاه أحداث هذه المدينة ، وحمّلوا الأمة مسؤولية ما جرى على ساحتها من قتل ونهب وتشريد ودمار ، وأعلنوا أن موقف العرب موقف شائن لا يدل على نخوة أو شهامة ، حيث وقف بعضهم ينتظر ما ستسفر عنه الأحداث ، وأخذ بعضهم الآخر يغذي نار الحرب ويشعلها كما فعل الغرب ، ولم يقف الشعراء عند هذا الحد فقد سخرُوا من الأمة ورموها بعبارات العهر والزنا واعتبروا موقفها دليلاً على العجز العربي وعلى صدا السيوف العربية .

الشاعر يوسف حمدان أنكر على العرب موقفهم من أحداث بيروت ، وتساءل عن الشهامة والنخوة المعهودة فيهم ، وأكد أن موقفهم إنما يدل على أن الوطن قد بلى بأشباه الرجال ولا رجال ، أنهم ينظرون إلى الفزاة يضاعفون بيروت دون أن يتحرك لهم ساكن :

هنا بيروت يا عرب

أين شهامة الاخوة ؟

يضاجعها الفزاة أمام أعينكم

ولم تستل أيديكم سيوف النار والنخوة

أترتجفون من خوف ؟ ؟

أم الأجساد قد رققت من النشوة ؟

هنا بيروت

باء الفوز بالفشل

وجاء الاخوة الفرعون بالقبل

وبيكي طاري بيكي

على وطن بأشباه الرجال بلي

وهو في القصيدة نفسها يؤكد أن الأمة إنما نسيت بيروت وهجرتها لأنها طمعت
بالمال وتركت هذه المدينة تطعن سرّاً وجهراً ، تشرب دونها الانخاب :

لقد كنّا نسيناها

ولم تخطر لنا في بال

وقد كنّا حسبناها

وراء رداة الاحوال

هجرناها

وغازلنا ظباء الهيد والاموال

وأسقينا لها المرا

وظلّ العالم العربي منتخا ومفترا

ويطعن ظهرها سرّاً

ويشرب دونها الانخاب مهزوما ومنكسرا (١) .

أما الشاعر محمد اسماعيل داود فيعيب على الأمة كثرتها وعدم اهتمامها بما
يجرى على الساحة العربية (بيروت) ، ثم يتّهم العرب بخيانة بيروت والاهتمام
بتكديس الاموال ، ويستذكر التاريخ الزاهر لهذه الأمة مقارناً بين حال العرب قديماً
وحالهم اليوم ، مؤكداً أن نصر بيروت لن يكون على يد العرب بل من الله عزّ وجلّ :

تذود عن مجدنا في السهل في الأكم
أهل المروءة ، أهل العهد والذمم
ما بالهم عن نداء الذود في صمم
وفوق أرض الحمى مرفوعة العلم
تهدّمت وانمحت دكت ولم تقم
للطفل ، للكهل ، للاديان ، للقيم
في سالف العهد ، عهد الشرك والصنم

بيروت أين سيوف العرب مشرعة
الله أكبر أين العرب وأسفي
أين الملايين من أبناء أمتنا
هذي جيوش العدا تغزو امراطنا
والعرب أضحوا كما الاطلال دارة
العرب خانوا لبيروت بمحتتها
العرب اكذوبة التاريخ قد كتبت

(١) يوسف حمدان ، ديوان حواس الصمت ، عمان ، ١٩٨٣ ، ص ٣٨ .

أين البلايين من أموال أمتنا
بيروت ان عز نصر ترتجيه فيها
مهدورة بد يار الكفر والاشم
لك الاله فعين الله لم تنم (١).

ويظهر الشاعر نزيه حسون خانقا ثائرا عاثما على الامة تخاذلها ومؤكد ان
النفط سبب مباشر في غيابها عن ساحة الحرب في بيروت، ثم يتمنى على مثل هذه
الامة الموت والعار :

أيا بيروت معذرة على نفسي
فصمت الاهل مزق وجه أغنيستي
تلق حروفها الاحزان والهلع
الام الصمت كاد القلب ينخلع
وصاح الارز أين العرب تحرسني
ألا يا ليت حزني ينسرى لها
وعرب النفط ما ردوا وما سمعوا
ويحرق كل من هانوا ومن خنعوا (٢).

وينعت الشاعر سعد الدين كليب الامة العربية بأمة الشجب والاستنكار، أمة
القول دونما فعل أو عمل، لقد ظلت هكذا حتى تسرب النمل الى عيون أطفالها
فصارت خرابا نعلينا :

بيروت ويأكلنا النمل
يسبح بأعيننا النمل
نصير خرابا نعلينا
ويكل هدوء غضب في أوراق الشجب
وننصح بالشجب
وبالدم . . وبالسئلة الاخرى (٣).

ويعيب الشاعر أنس داود على الامة نفاقها وصمتها ونلتها الذي أحالها الى
تماثيل من الشمع، تخاف غيرها وتضحك نفاقا لكل من يظهر أمامها بثوب الغنى والخداع :

-
- (١) أناشيد فلسطينية، ص ٣٩ .
(٢) نزيه حسون، ديوان أبحث عن جسد يلد النصر، شفا عمر، ١٩٨٣، ص ٩٣ .
(٣) بيروت وجيفارا، الثقافة السورية، ١٩٨٣، ص ١٠٤ .

ما الذي نحكيه لليل المصوت
بعد أن جردنا الأعداء من كل انتما
وأحالونا تماثيل من الشمع
وأنماها من الرمل
وأشباحا على أرض الاساطير
وشعبا يرتجي الفوئ من الجراد
والجلاد يسقيه بحيرات دماء
وزعوا الموت بطاقات، وأعطونا مواعيد الذنبا
ورضينا كسرة الذل وأطرقنا الرؤوس
غير أننا لم نزل نضحك في غير اتزان
كلما شرثر بالسلم مع الوحش الخرافي جبان
كلما اختال على الشاشة طاووس
وراء جبان (١).

وبهاجم الشاعر محمد الشرفي الامة العربية بقوة ويتهمها بالتقاعس والتخاذل
عن نجدة بيروت ، انها في نظره وجوه من رماذ ورؤوس من خشب ؛
مثلا أعرفهم كل العرب
ما يزالون وجوها من رماذ ورؤوسا من خشب
ركضت "بيروت" منهم في عيون الشمس
وارفضت شعاعا
وتعرت حولها كل ساحيق الاغريب
وتعري ذلك الذل المتوج
وارتدى وجه صلاح الدين
لون الجرح ، لون الدمع والعزم المضج

(١) أنس راود ، بيروت ، مجلة العربي ، الكويت ، ع ٢٨٠ - ٢٨٩ / ٢٨٩٤ ، ٢٨٨٢ ، ص ٣٣ .

واختفى الشاطئ في البحر على "بيروت"
والبحر على الموج تهدج

وهو ان يعيب على الامة موقفها هذا، انا يسترجع تاريخ الامة القديم ويسأل
عن هذا التاريخ أين أصبح ؟ هل هرب من الامة أم انه أصبح على حجم الكراسي
والمعائم :

أين موسى بن نصير ؟ أين طارق
أين من كانوا بحجم الفتح أو حجم الفياق
ما بها كل المعاصم
جئت مثل التوابيت على صدر الهزائم
واستراحت حول بيروت . . . وبيروت تعاني وتقاوم
هرب التاريخ منها
أم هو التاريخ قد صار على حجم الكراسي
والمعائم (١) .

أما الشاعر حسين حيدر فيشير الى ضياع النخوة العربية، ويعير الامة بموت
الرجولة فيها، وانتشار العملاء بين أبنائها حتى فقدت كل معاني الاخوة العربية
وصارت تبسم اذا ما جاع أطفالها :

أرضي المدودة بين الماء وبين الماء الآن تموت
من بعد جمال ما ولدت الآ خصيانا يا بيروت
ما هم لو احترقت كفاك وغارت في شفتيك الة
ما هم اذا سجد العملاء طويلا تحت نعال غزاه
ما هم اذا جاع الاطفال وعز دوا بعد مياه
يتقزم من دجل وطني وتقاتل من خجل انشاء
ردى أحياتي يا أماء فقد سقطت وامعتصموا

لو غابت عنك عيون الاخوة تبقى حولك عين الله . (١)

ثم يطلب الشاعر اكرم النجار من بيروت أن لا تنتظر قدوم العرب ، لأن قدومهم أصبح أمرا سيؤوسا منه :

النورس يبحث عنك وأنت

معلقة بين الصحرا

وبين البحر

وتحترقين وينسل

الوجع العربي وأنت مهددة بالجوع

والرمل المتشطي تحت لحافك

فابتعدى لا تنتظري في الليل

قدوم القوم (٢) .

ويعيب الشاعر محمد الفزالي على الامة ارتماؤها في مربع القمار وادمانها على الصهبا في الوقت الذي تسذك فيه دما البريا في بيروت دون رحمة وتذرف الامهات الدموع حزنا وألما على الاطفال :

بيروت بؤرة للموت والصغار

والآخرون يحلمون

يخجلون يرتعون في مربع القمار

حتى ينال منهم الدوار

وتلعب الصهبا في عقولهم

وفي البيوت والشوارع الكثيرة

تجرى دما البريا

ترتمي في اللهب الاجساد والاشلاء

(١) كلمات المريح والارض ، ص ٥٣ .

(٢) اكرم النجار ، ديوان صبرا ، الزرقا ، ١٩٨٣ ، ص ٥٠ .

يبكي الصبي من زمان
وأمة في الذعر تذرف الدموع
ليس سوى الخراب والهوان (١) .

أما الشاعر يوسف الديك فيصف العرب بالاحياء الاموات ، ويسخر من موقفهم
الشائن من معارك بيروت ، انهم يتطلعون لكل ما يجري هناك وكأن الامر لا يعنيهم
ابدا :

أفتغضي
وتتهم عروبي
بعد الذي ؟
الجرح ينزف من جبينك
الجرح ينزف من فؤادك
من خدودك . . من عيونك
من ضائرك الطويلة
وعلى عيوننا عشعشت كل المناكب
وتعجرت كل اللفات في الحناجر
وتأقلمت
والجرح يسمو فوق كل الصامتين
الميتين بلا قبور (٢) .

ثم يقسو الشاعر محمد عبد الله القواسمة على العرب الذين يحتسون الدم العربي
في بيروت تحت أذى الفانيات وعلى أنغام العهر ، ويصف تاريخهم بأنه مهزوم
مرقوع يحمل كل معاني الذل والجبن :
في عز الظميرة

(١) محمد الفزالي ، بيروت ، الحياة الثقافية ، تونس ، ٣١٤ ، سنة ١٩٨٤ ، ص ٢٢٠ .

(٢) يوسف الديك ، ديوان طقوس النار ، عمان ، ١٩٨٦ ، ص ٧٥ .

والحر يشتد
والبرد يرتد
يرتد
والطرقات تضيق
تضيق
وتمتد
فيها المتاريح
تنقش
تنقش ثم تغييب
ما زلت وهيذا
أقاتل كل الطواغيت والحيثان
أرقع تاريخنا المهزوم
بل المرقوع
أداوى جراح الذل
وحزن نهـر
وهم جيع
وأغيب بالتضحيات أنين الخنوع
وهس الركوع
وينوامي يحتسون دمي
تحت أخوان الفانيات
على أنغام النهـر
في عواصم أسماؤها تعني القتل
تعني القمع
وتعني الخراب (١).

(١) محمد عبد الله القواسمة، ديوان عبد الله بن الزبير في بيروت، عمان ١٩٨٦، ص ٣٠.

أما الشاعر عدنان خوجة فيهاجم العرب بقوة ويسخر منهم ، ويميّزهم بضيق
آمالهم وقلة أفعالهم ، ثم يؤكد ما ذهب اليه بعض الشعراء من أن هذه الأمة
هي أمة تكديس الذهب والعال لا الرجال ، انها أمة التحرير في الخطب والشعارات
فقط :

بيروت

فاتتني الاميرة

يا درة الشرق الاسيرة

الربيع يصهل في بلادى

منذ جيل

والموت ينبعث في بلادى

فوق سيف من خشب

والليل أقسم أن يطول

والعرب . . أعرب تهلل للحلول

وتدور في صمت جليل

حول كيس من ذهب

وتقدس الزيت المعطر بالصفار

لم يعزفوا أبدا صمودك

لم يحسبوا أبدا وجودك

ضلّوا الطريق

فرضوا حوار الهندقية

قد قاتلوا أحلامنا

وتقاتلوا فينا

وفي أرجائنا

وتقاسموا أيامنا

ثم استراحوا بعد أن قطعوا

الوربد

ذبحوا على أيماننا كل العقائد
كم حرروا حيفا ويافا في شوارعك الحنونة
نسفوا المنابر
والدساكر رمّوا . . حتى القوائد
وإذا المدافع زمجرت أصواتها
باعوا التصدي والغضب
غاصوا بأعماق السكون
واستمرأوا الفوز الذي
يمتدّ فينا
مثلما تمتدّ نار في خطب (١) .

ويرى الشاعر هشام الحرائي أن الجبال قد انحنت خجلا من مواقف العرب
لأن النخوة ماتت في قلوبهم ، ومات حبهم للأرض . ويؤكد أيضا أن المارد العربي
لم يعد موجودا ليحطم كل أعداء بيروت ، لقد غاب المارد وغابت معه الاغاني وأساطير
البطولة العربية فلم يجد الاموات أين سيدفنون :

عروس الشرق
ماذا حلّ بالجبل
أأحنى رأسه العملاق تحت سنايك الخيل
ومزق كل عرق نابض فيه ؟
أم ارتعشت فرائصه
تأطلق صوته الدامي
يعاتبنا
يحشرج : يا بني وطني

(١) عند نان خوجة ، ديوان بيروت درة الشرق الاسيرة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ١٨ .

أما من حامل دمه على كتفيه ينقذني
أما من صائح بالوحيث: قف
فيهاب صيخته ويتركني
أما تن في قلوب الناس حتى نخوة العرض؟
وحتى حبهم للأرض
يا لخسارة الأرض
فأين سيدفن السموات
أين سيدفن السموات
يا وطن الاغاني والاساطير
وأين المارد العربي
أين محطم النير ؟ (١) .

ثم يعبر الشاعر نذير الحسامي الأمة بصدأ سيوفها، ويعتبرها السوء والسوء
الأولى عن خذل بيروت لانغماسها باللهو والشراب، ويؤكد أنه لم يبق لهذه الأمة
الآ اساطير والتاريخ فقط :

يا أهل خير في بطائعكم رهج	من الفزاة يراه قلبي الدنف
يمشي وراء خطاكم نحو سامركم	تسود فيه جذوع النخل والعسف
لا يرتوى ظمأ في نابيه ولله	غدا على جيرة الشطين منعطف
السيل أدرك أهليكم ليحرقهم	هل تسلمون اذا اهلوكم انجرفوا
تشكو سيوفكم من طول ما صدت	عار السيوف بمن لا نوا اذا عنفوا
بيروت يا قلعة الابطال هل بهم	شرقت أم هم بما أرضعتهم شرفوا ؟
(أسماء) يا مريض الابناء مكرمة	من الفداء بهايوم الوغى هتفوا
يا أم شدى (فمبد الله) يخذه	رهط مذاويد لاح الشرفا نصرفوا
خلوا حص البيت للمحتل ينزفه	وكسبهم انهم هانوا وما نزفوا

في عارهم وشراب الهون يسكرهم عزّوا وفي القاع من أوزارهم ترثوا
يا نخوة الخيل في الصحراء باكية أنتسقم وأهل الخيل منك شفوا
أنتم العرب أم لم يبق من عرب إلا الأساطير والتاريخ والصحف ؟ (١).

ويعيب الشاعر حلمي رزق على الأمة موقتها هذا، ويؤكد أن تهريبها من الواقع
الذي تعيشه ناتج من الحياة الوثنية التي تنوء تحت أثقالها ؛
الجسد العربي بلا ظل
ينظر إليها
محرقة
لا يؤدّ أن يسمع
الصراخ والنواح
انه ينوء تحت أثقال الحياة
الوثنية (٢) .

ثم يسخر الشاعر عبد السلام جاد الله من مواقف الأمة العربية سخرية واضحة ،
فيطلب من هذه الأمة أن تقدّم شيئاً بسيطاً لبيروت، أن تجامل بيروت ولو بالقصائد
الشعرية ، وكأنه متأكد من أن المساعدة العربية أضحت أمراً مستحيلاً في مثل هذه
الظرف :

هذه بيروت فضّت
واستبيحت يا ألوف الشامتين
عانقوها . . يا بقايا الهاربين
جاملوها بالقصائد
علّقوها في القلائد

(١) ألا تزورنا أيها الغضب ، ص ٢٩ .

(٢) حلمي رزق ، ديوان سقط الوعد وبكى الورد ، بيروت ، ١٩٨٤ .

واكتبوا سطرًا كبيرًا

(دمرت في عهد قوم - عاجزين) (١) .

وحينما يضيئ صوت بيروت العربي ، وتضيع مساماتها العربية وسط الغمغمات
واللكنات الاعجمية ، فإن ذلك يعني أن العرب قد خذلوها وتركوها وحيدة وسط
الدمار والموت ، قد امتزجت العروبة بالرماد المجرثم ، وتشوه طفل العروبة بين الخرائب
تائها مشردًا ياحثًا عن بيروت الخراب ، هذا ما أكدّه الشاعر مجيب السوسي :

آه بيروت

أشمّ مساماتك العربية ، لكنها

امتزجت بالرماد المجرثم

والطرقات الذليلة

حيث مساماتك العربية طفل

تشوه بين الخرائب ، بين الحرائق

طوّحه الجوع والفائلات

وناشدت كل الذياقي

وكل الجبال المزمجرة الريح

سألت عنك الهيار

فتشت عن صوتك العربي

جاء الجواب مزيجًا من اللكنة الاعجمية

والطلقات العميّة والغمغمات (٢) .

وتسخر بيروت من العرب ، وتهزأ بهم وسيوفهم الخشبية ، وتؤكد أنهم حاولوا
اغتيالها أكثر من مرة وفي أكثر من موقف فكان لهم ما أرادوا ، هذا ما أكدّه الشاعر
ناصر بدوي :

(١) عيناك والشيطان في حيفا ، ص ٣٢ .

(٢) مجيب السوسي ، ديوان المرافق ، أيقظها الموج ، دمشق ، ١٩٨٠ ، ص ٢٦ .

يا . . هذى الغربية . . الملتصقة بزوايا المدن
يعجبني الوقوف طويلا أمام واجهات الحوانيت
المضائقة والمدن المضائة . . .

أراقب من بعيد حركة العارة واشتعال
الاضواء

حدثني مرة . . . وطرحت سؤالا
لماذا يرتعش جسد المرأة في لحظة القهر ؟
لماذا يهرب الرجال من الاصوات الخلفية المسموعة ؟
لماذا تقاتلون بسيف من خشب ردي ؟
لماذا تحاولون اغتيالني ؟
وجمعت خواطري . . . وزاغ في جسد يبرد
قارص

عندها عرفت جيدا أن الخشب المدهون
بالطلاء . . . هو الذي يعيش
وهو الذي يقاوم (١) .

الحكام العرب :

لم يقف الشعراء في نقدهم الذاتي عند مهاجمة الشعوب العربية ، بل تعدوا ذلك وهاجموا الحكام العرب ، واتهموهم بالادمان على الشعب وعبادة النساء والتامر على بيروت واقتسامها بحيث جاءت تصرفاتهم واضحة هدفها هدم بيروت والمتاجرة بها ،

الشاعر حسن القرشي يناشد بيروت الصمود وعدم الاخذ بكل تصرفات الحكام العرب سماسرة القرن العشرين ، لأنهم قد باعوها وقبضوا ثمنها جينا ونخاسات وديونا :

يا حلم الفد ، يا من نسي اسمك ليل الموتورين
باعوك جميعا كل سماسرة القرن العشرين
قبضوا ثمنك جينا ، ونخاسات ، وديون
وهووا أحذية تمسح أرصفة المختالين
يا منبع أحلام المقهورين

ويا فجر المكرومين

يا صخرتنا الصلبة رغم مطارق كل المشبوهين
موعدنا بعد نهاية عصر التنين
بعد ولادة فجر (فلسطين)

من بعد سنين أو من بعد قرون ! (١) .

أما الشاعر احمد الحوتي فيعيب على الحكام العرب مطامعهم في بيروت ويؤكد أنهم قد اقتسموها كقطعة من زبدة لأن لهم مآرب كثيرة فيها :

هل بيروت الساحل ، والبارات ، ومينا ، التهريب

تساوى بيروت الطبقات الشعبية ؟ ؟

هل بيروت الامراء تضارع بيروت الفقراء ؟

(١) زخارف فوق أطلال عصر المجون ، الآداب ، ١٩٧٨ ، ص ٧٠ .

أم أن الحرب موقيت

والشعراء اختزلوا اسمك - يا بيروت
التجار امتهنوا رسمك في كل خرائط أمتنا ؟
والزعماء

الزعماء اقتسموك كقطعة زبد

لكل فيك مآرب . . لكن

أبدأ . . . يا سيدتي

فالفقراء على أبواب الحريّة

أبدأ

ثم يسخر الشاعر من الحكام العرب حينما يتذكر أن الزعماء العرب كانوا يسبقون
أساطيل الدول الغربية في الوصول الى بيروت والنيل منها مؤكّداً أن جميع محاولاتهم
ستبوء بالفشل :

يا سيدتي (. . .)

(انهم يفتعلون الحرب . .)

ويختزلونك باسم زعامتهم

ووصايتهم

يختلفون

ويستبقون أساطيل الدول الغربية

ما غلبوك

وأنت الابقى يا بيروت (١) .

ويؤكد الشاعر عدنان بك مردم على خيانة الزعماء العرب ودورهم في أحداث
بيروت ونزاعاتها مبيناً أنهم قد خذلوها وسهلوا الطريق امام الغزاة للنهب والسلب :

(١) احمد الحوتي ، وأنت الابقى يا بيروت ، الاقلام ، بغداد ، ١٤٠٤ - ١٤٠٥ ، سبعة ، ١٩٧٧ ، ص ١١٥ .

لكن محترفي السياسة وحدهم كانوا الجناة فكيف لا أبكيك
هم هونوا ما لا يهون من الأذى للعابشين وعن رضا خذلكوك
حسبك نهبا يجتنى وغنيمة ما كان أشقاهم وقد خانوك (١) .

ثم يشير الشاعر عدنان خوجه الى أن الزعماء العرب هم الذين باعوا بيروت ،
انهم لا يتقنون إلا فن النفاق والخداع والتزوير ، وان كل ما يهمهم هو الحفاظ
على كراسي حكمهم :

أين الفتى العبسي في هذا الزمان

وقتية وابن الوليد

وخيول بييرس المظفر

فجميعهم في خدمة السلطان (سام)

وجميعهم نزعوا عن الخيل اللجام

وجميعهم في الدرب

" سادات " عظام

وجميعهم في حفلة التزوير

" أبطال السلام "

فالعصر عصر تخلف فوق العجب

والعصر عصر تصهين حتى العظام (٢) .

أما الشاعر عز الدين سليمان فيخاطب بيروت ويطلب منها أن لا تعيب تصرفات
الحكام العرب ، لأن هذه التصرفات صارت أمرا معهودا فيهم ، يقومون بها لأنهم
يطعمون في تكديس الاموال ويهوون عبادة النساء :

(١) نفاحات شامية ، ص ١٩٣ .

(٢) بيروت درة الشرق الاسيرة ، ص ٧ .

بيروت يا مسكونة بالموت والخراب والتعب
لا تعتبي . . فانهم قد أظهروا عوراتهم ، وأدمنوا الشغب
وأدمنوا عبادة النساء والذهب
وهربوا للعالم المنفي نخوة العرب
لا تعتبي . . لا ينفع العتب
هل أنت يا حبيبتى حمالة الحطب ؟ (١) .

ويعيب الشاعر داود معلّ على الحكام العرب موقفهم من أحداث بيروت ، حيث
وقّوا يتفرجون دوناً رأى ، وأطلقوا أيدي الأعداء تنهب وتسلب وتقتل في حين قبّدا
أيدي شموههم وأقفلوا عليهم كل نوافذ الحرية :

يا قادة المسلمين اليوم موقدكم	يخزي به الخزي مرتداً ومضطرباً
ماذا بكم ؟ أطلقوا الأيدي تقاتلهم	تقطع السيف في أجسامهم أرباً
ماذا عليكم اذا فزنا بموقعنا	وجدد الحق فينا المزم والأهبا
أليس فيكم اذا سالت على يده	دماء أطفاله سفوحة غضباً
أتقتلون علينا كل نافذة	وتطلقون يدي أعدائنا سرباً
يعدو علينا الصليبيون مشرعة	حراهم يقتلون الأم . . والعقبا
ونحن من خلف أسوار الحديد بلا	رأى اذا قيل أو أمر اذا حزبا (٢) .

ثم تشير الشاعرة كافيّة رمضان الى أن هناك عدداً من الزعماء يحملون الحقـ
الدين لبيروت ، ولا يرجون الخير والسلام لها ، انهم يرفضون كل محاولة لاعادة الفـ
الشرق في بيروت ، ويرقصون فرحاً اذا ما أمطرت سماء بيروت بالالفام :

لكننا بعض الفجر
لا يعبأون
بل يلعبون

(١) عزالدین سلیمان ، بیروت لا تنسى اسمها ، الثقافة السورية ، دمشق ، ٢٠ تشرين ١٩٨٢ ، ص ٢٢ .
(٢) الطريق الى القدس ، ص ١٦ .

لا شيء يعنيهم اذا جاء العطر
يسقي الحقول
أو كانت الالفام أمطارا
تدق كما الطبول
كل الذي يعنيهم
أن يزرعوا الحقْد الدفين (١) .

موقف الشعراء من مستقبل المدينة :

لم تنحصر قصائد شعراء بيروت في الحديث عن نتائج الاحداث التي عاشتها
المدينة ، و دور الامة والقادة في تفاقم هذه الاحداث ، فقد ركزوا على مستقبل هذه
المدينة ، وكانوا متفاطلين في حديثهم ، ان تركزت أشعارهم في هذا الموضوع حول
أمرين رئيسيين هما :

- أ - التهديد بثورة فقراء بيروت .
- ب - الامل والاصرار (التأكيد على فجر بيروت الجديد) .

ثورة الفقراء :

غاب العدل الاجتماعي عن بيروت ، فوقع الفقراء ضحية لهذا الاجحاف والظلم ،
ضحية تمزقت عبر الاحداث المؤلمة ، والسادة الكبار يوقدون نار الفتنة كما يشاؤون .

ولأن إعادة العدل والازدهار لا يكون إلا بسواعد هؤلاء الفقراء المحرومين
الكادحين ، فقد وقف الشعراء يهددون بثورتهم ويؤكدون أن مطارقهم وسناجلهم سوف
تعيد البسمة لبيروت من جديد ، فهم راضون لكل البيانات والشعارات الزائفة ،

(١) د . كافيّة رمضان ، الى بيروت اليك أنت فقط ، البيان ، ٢٤٤ع - ٢٤٧ع ، ع ٢٤٦ ، ١٩٨٦

يحملون في صدورهم نارا ستلتهم كل الاوغاد الذين تأمروا على بيروت وجعلوا منها
مقبرة للابرياء هناك.

الشاعر مريد البرغوثي يهاجم كل السادة في بيروت الذين تسببوا في كل
أحداثها ، ويؤكد لهم أن الفقر قد خن الى الشارع وحمل رشاشه ليعيد البسمة
والألقى لبيروت من جديد :

انتبهوا

خرج الفقر الى الشارع

من حزن العينين

وتسبيل الجفنين

وتقليب الكفين

الى الشارع

من قدر التعب

وكدر الشغب

الى الشارع

والتقط الرشاش

فانتبهوا يا كل الأسرار أقول انتبهوا

الجوع هو الجوع

والفقر هو الفقراء

والآن انتصب الفقر وحمل الرشاش

وأقول انتبهوا

وهو في القصيدة نفسها يحيي هذا الفقر المسلح ويشد على أيدي الفقراء

ليكونوا عند ثقة الناس بهم ، فهم الذين يحملون الميعاد بين أيديهم ، وهم الذين

سيفضحون رعدة الأسرار :

سلاما أيها الفقر المسلح

سلاما يا جياع الارض في أيديكم الرايات

في التقريرية الى حد جعل صورهم أقرب الى التعبير النثرى الذى لا يميزه عن النثر سوى الوزن والقافية .

التعبير المباشر :

أجمع كثير من النقاد على أن الشاعر أشد الناس انفعالا ، وأرهفهم حساسية ، وأعمقهم نفذا في تصميم الاشياء وأقدرهم على التعبير عن تجربته وانفعالاته بنوع من الابداء الجميل .

وبين النقاد أيضا أن الشعراء يختلفون في طريقة أدائهم لرسالتهم الشعرية ، فمنهم من يعتقد أن في الابداء ما يكفي لاداء هذه الرسالة دون حاجة الى الافصاح عن مشاعرهم الخاصة ، انهم يلجأون الى تقديم مضمونهم الشعرى بطريقة ابداعية توحى بالمشاعر والاحاسيس والافكار ولا تحددها أو تسميها ، ويستخدمون من أجل تحقيق ذلك مجموعة من الادوات أو التكنيكات الفنية ، بعضها مستمد من التقاليد الموروثة للشعر منذ أقدم عصوره كاللغة الشعرية والصورة الشعرية والموسيقى الشعرية ، وبعضها الآخر مستمد من التقاليد الشعرية الحديثة كالرمز وغير ذلك .

ويرى فريق آخر أنه لا بد من الدعوة الصريحة في الشعر الى المبادئ التي يروجون لها ، وأن كل حديث أو رأى يجب أن يكون صادرا من شخصية الى شخصية أخرى مباشرة وخاصة في ظروف الجبهة والقتال ، فنحن " نعدو الشعر أن يكون قبل بداية السيرة الفعلية للتغيير بعيدا عن الوضوح في مضامينه ، ولكنه بكل تأكيد غير معدود أن يخرج على الناس مرتديا زيا لا يتلاءم وحدقات عيونهم ، في وقت يكونون فيه أكثر تفتحا ووعيا لأنهم عندئذ سيرفضونه من حيث لا مبرر لهذا السرى مع وجود ما هو أكثر بساطة منه ، وحيث تكون ثقافة الثورة موجهة لغالبية ذات مستويات متدنية تجد في الامر لا معقولة واضحة " . (١)

(١) المقتبس لعبد المطلب محمود في : طراد الكبيسي ، الغاية والفصول ، بغداد ١٩٧٢ ،

مضى يوم وكانت فيه تستعصي على أيديكم اللقمة
ومنذ اليوم لن تعصيكم الطلقات
سلاما يا جياع الارض في أيديكم السهام
سلاما كلما نزعتم أياديكم حديد القيد والأصفار
سلاما كلما استعصت طيوركم
على صيد الطفافة وصادت الصياد
سلاما كلما نطقت بنادقكم لتفخح رعشة الأسياح
سلاما كلما أدركتم الحيلة
وقاومتكم لكي لا تقتلوا جوعا
وكي لا تؤخذوا غيلة
سلاما كلما قدتم سفينتنا لمرساها
سلاما كلما كنتم لها القبطان لا أغنى ولا تاهها
سلاما كلما بددتهم الصمت المحيق بنا
وصار لصمتكم صوت
ينادي في جياع الارض:
يأتي الوقت يا فقرا أن تأتوا
ألا تأتوا
سلاما يا هبوب الريح
سلاما .. أيها الفقر المسلح (١).

ويقر الشاعر جودت فخر الدين بأن ازدهار بيروت مرهون بمجيء الفقراء وانتشارهم
في كل مكان، يضحون بأرواحهم لينبروا الطريق أمام غيرهم:
حين يجيء الفقراء وينتشرون على مقربة للموت
ويحترقون على مقربة للخشب

(١) مريد البرغوثي، نشيد للفقر المسلح، الآداب، بيروت، ١٤٠١-١٢٠٧، سنة ٢٠٢٤، ١٩٧٦، ص ٦٨.

ومن أهاريج الطلقات العذبة يرتحلون
حين يضيء دم الفقراء
ويشمخ منتصبا كالرمح على طول الخط الممتد عمقا
بين الشياح وعين الرماندة
يهتز طريق الشام ويندى
ويراود، العشب فيسقط في حلم يتناسل كالزمن
يدخل في خارطة للوطن (١).

أما الشاعر أحمد الحوتي فيشير بقدم الفقراء إليها رغم الجوع والجهل، انهم
سيأتون رافضين لكل الشعارات الزائفة والبيانات الكاذبة، يمتلكون الوطن والثورة :
يتبدل وجهك تحت المطر الدموي
ومن قرية " منية عياش"
تحيات الفقراء - الفلاحين
أزف اليك
تحيات الفلاحين - الفقراء
برغم الجوع - ورغم الأمية
يحتفلونك
سنبلة ،
تبدل قشرتها في الريح
وتنضج
(تنضج في عاصفة الشمس)
وينتبهون اليك
ويعترضون على كل بيانات المذيع
وكل شعارات السادة - والزعماء

(١) جودت فخر الدين، قرارات على طريق الشام، الآداب، بيروت ١٤٠١-١٢٠٢، ٧٤٠، سنة،

وكل أحاديث الصحف الهمجية .

ولأن رغيك للفقراء

وانك بنت الفقراء الشرعية

يتبدل وجهك ساعة يرتكز البحر على خاصرة الصحراء

ويرحل وجهك يتجدد - ساعة يمتلك الفقراء الوطن / الثورة (١) .

ويؤكد الشاعر أحمد صافي أن أرض العرب ستنفجر براكين من نار بدلا من

النفط على أيدي الفقراء الكادحين ، انهم قادمون يقرون بانسانيتهم وفقدهم ويعلنون

عن تفجير كل عذابات العمر المحروم :

تعرفني الارض العربية ،

يعرفني " المسلخ " و " الجية " و " ضبية "

تعرفني الدامور

شوارع بيروت العذراء - المفتصة

بيروت الشيب

على كتفي تحط هموم العمر الضائع

بين فنارات العائم - في هذا القرن ،

والقهر على وجهي " سمة "

والفرح سجين ، خلف عظام الصدر

البسمة شنقت منذ سنين مات الجسد

وهذا روحي يعرفها كل الفقراء

اني من صلب الالباء ولدت فقيرا لا أنكر

أعيش فقيرا لا أنكر

(١) وأنت الأبقى يا بيروت ، الاقلام ، ١٩٧٢ ، ص ١١٦ .

لكني أصرح ان ينكرني انسان
أفجر كل عذابات العمر المحروم
وأشعل نارا أوصلها في كل مكان
حط القهر عليه جناحيه السودا*
أفجر أرض العرب براكينا من نار بدل النفط .
ولا يبقى وطني قطعاً - أشلاء تنهشه الغربان
وحوش الغرب التتريين .
أنا انسان (١) .

أما في شعر بلند الحيدري فالفقراء عاتبون على بيروت لأنها قدّمت رأسها
على صحن من ذهب لا ولئك الا وغان الذين نهشوا لحم بنيها ، وملاؤا دروبها بالموت .
انهم عاتبون لأنها أعطت خيرها لغير أهلها ، ولكنهم رغم ذلك سيعيدون الفجر
المشرق لها من جديد :

سبحانك بيروت
فنحن بنيك الفقراء
ومن لم تنعم بلياليك البيض
ومن لم تحسن شفتانا
عطياك
ولا خير أراضيك
ومن لم نتبلغ فيك
بغير جلود أيارينا المعروقة كالجوع
المصفرة كالداء
سبحانك بيروت
فنحن بنيك الفقراء

(١) احمد صافي ، بطاقة انتما الى الوطن العربي ، الآداب ، ١٤ - ١٢ ، ١٩٤١ ، سنة ٢٤ .

نموت من العطش المر
من الجوع الصامت كالسر
نموت
ومن زرقعة عينيك تغور بعيدا
ولتروى ألفي بحر
نموت
ومن خضرة كفيك
ومد يدك
حقولا وغللا ومنايع ماء
والباغي
والطاغي
والناهش لحم بنيك . . . العالى * ديك بالموت
والعار واللب
قدّمت لهم رأسك في صحن من ذهب
سبحانك بيروت
يا موتا أكبر من تابوت
يا موتا أكبر من أن يدفن أو يعفن
تحت صليب من خشب
يا موتا
لا يعرف كيف يموت (١) .

أما الشاعر عبدالله القواسمه فيؤكد أن تحرير بيروت مرهون بشجاعة وشهامة
فقيرها الذي سيأتي قويا معلنا سقوط كل المداخن وسقوط رؤوس السلاطين والتجار
فيها :

ولدى يا قرّة عيني

(١) بلند الحيدري، سبحانك بيروت، الآداب، ١٤-١٢، ١٠٤، ١٩٧٦، ص ١٢ .

حملتك في جنح القهر
بين الفقر
وسخط الاهل
وسرت بك والليل حول النهر
وانت تكذ معي
والآن تسألني
كيف الموت
كيف النصر على الظلم
في بيروت أو الجبل
ولدى لا تخش الموت
فلبنان يعلم أنك أقوى من القهر
أقوى من الاحزان
وموتك ليس هنا في بيروت بل حولها
حين يلقاك الغدر في باقات السور
وأغصان الزيتون
ولدى لا تخش الموت
فموتك يعني سقوط المدائن
ثم رؤوس السلاطين
فامض يا ولدى
معك الله والكاهن (١) .

ويعلن الشاعر شريف الرضي أن بيروت ستصحو من جديد على أيدي الفقراء
وسوف تصبح فاكهة لكل المحرومين الذين سيأتون من ليل بيروت بحارين يحيون الحلم
الابقي ، انهم أمل المستقبل في بيروت وعشقه الاكبر :
بيروت الفقراء ستصحو ، تنضج أحلام البحارة في

آخرة الشوق

تد نوم من أوجاع المهزومين بفعل القهر
فاكهة للمحرومين تصير
أوما سحر يا يفسل من قيح الفقرا الصبر
بيروت اللغز السائر في عنف الطوفان
تنضو طقس القتل الملقى فوق رتاحات هواها
وتغز كما الصبح الفاسر تغسل ما خلف في القلب
الحرمان
بيروت الحلم الوردي ستصحو ، تأتي كما قمر الفقرا
مخضوب فجر ك بالانقي من أحلام الاتي
أيتها البيروت الحمراء
من ليك يطلع بحارون بأصداف الالفة
يجيئون ويحيون الحلم الباقي . (١)

ويؤكد الشاعر كاظم السماوي أن النجر الجديد لبيروت سيطلع على أيدي
الكادحين الجياع ، الذين سيوطدون الحق ويعلمون البناء ، انهم المطارق والمناجل
التي لا تكل ولولا هم لكانت بيروت دمية في أيدي الغزاة :

يا زهرة روت مفاتن سحرها	بدم الجياع متى سيطفئك الدم ٢
ومتى يطأ طأ فيك هام مسلط	لمسلطين تجبروا وتحكموا
لا لا وحق المدلجين وتلكم	أشباحهم عبر الفياهب تلكم
شهد بأجفان الظلام وان دجا	ليل ، وغارت في سماء الانجم
الكادحون (مطارق) (ومناجل)	حصن على الايام لا يتثلثم
هم مطلقو الفجر الذي لا يهرم	وموطدو الحق الذي لا يهضم
لولا هم ما كنت الا دمية	خضرا تصطنع الحياة وتوهم (٢) .

(١) قراءة في عذابات تل الزعتر ، ص ٩٩ .

(٢) رياح هانوي ، ص ١٥٣ .

ويرسم الشاعر محمد علي شمس الدين صورة جميلة للفقير الذي يحمل بيـروت
على كتفيه ويجعل منها اكليلا للشوك يعلقه في شرفات (الدامور) ، انه الفقير الذي
يموت فينهض حتى تلتف عليه حبيته المقتولة (بيروت) يحملها بين رموش عينيه
نجمة ساطعة في سما العروسة :

وسمعت بأعماقي ندما . . . همسا . . . أو نحو
اثنين . . يقول الاول للثاني : شاهدت فتى جبليا في مسلح
بيروت ، يموت هناك ، فينهض ثم يموت فينهض ثانية . . .
حتى يملأ كل ثغور الوطن العربي المعتد من القلب الى أكواخ
الفلاحين بقريته . . .
شاهدت فتى مقطوع القدمين يسير على جنث ذهبية
ويدوس على الاكبان بأنجمه الوحشية
شاهدت فتى الفتيان على صلبان كنيسته مهجورا
وتحلق في كفيه طيور الفقر وتلأل كفيه دما . . . وحليها
ويموت . . فينهض . . حتى تلتف عليه حبيته
المقتولة . . يحملها فوق يديه . . يطوف بها الشياح
وأكواخ الفقراء المحروقة في المسلخ . . يجعل منها اكليلا
لشوك يعلقه في شرفات (الدامور) ويشرب نخب حبيته
في طرف الجسر من النهر ويرجع فوق النعش نبيها
سلوبا (١) .

وحيثما يقرر الشاعر فؤاد كحل أن يبدأ مع بيروت درب الفصول الجديد ، فإنه
يختار الدرب الذي تشرق فيه شمس البلاد الجديدة من ترهة الفقراء ويجي ' النهار
فيه من البسطاء الذين يموتون سحقا :

أنت لي وطن

رسموه على جبهتي جنبه

ووجودا من القتل

قالوا : خذ الريح

- عانقتها -

لم أجد بين طياتها غير موت الهواء

أنت لي

هل سنهدأ رب الفصول ؟

لنهدأ

أين تشرق شمس البلاد الجديدة ؟

من تربة الفقراء

أنت لي وطن

قاتلوه بعيني

- من أي صوب يجي * النهار ؟

من البسطاء * الذين يموتون سحقا

ومن أين تهتدي * الزرقة السمكية

من لون قاع السماء

ولون السماء تكدر

ولون البحار تكدر

لون الزمان تكدر

صرت مع الريح مرتحلا

وخلاياي ينزرع الصمت فيها

أقول : لنفتح رب الفصول (١) .

(١) : "و" ان كحل ، ديوان أتولد بيروت وجها جميلا ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ١٢ .

الأمل والاصرار : (التأكيد على فجر بيروت الجديد) :

أكد الشعراء العرب في قصائد هم أن بيروت الحضارة ستولد من جديد نخلة
باسقة واعصارا يقتلع كل جذور الحقد والكراهية الدفينة من أرضها ، ويصنع فجر
الكبرياء لا بنائها الاحرار الذين أكدوا أنه مهما طال الزمان فان بيروت العرومة ستنهض
من جديد ، تحمل معها البسمة والاشراق رغم كل التحديات التي تعانيها .

كما دعا الشعراء بيروت الى عدم اليأس والاستسلام ، وطلبوا منها أن تكون قنبلة
تتفجر على فضائح هذا العصر ، ورعدا مدويا يعلن عن ولادة لبنان الاعظم من جديد .

الشاعر سليمان العيسى يهاجم كل القتلة في بيروت ويؤكد لهم أن بيروت
المحترقة ستنهض من جديد وردة باسمة في يد كل المذبوحين المنفيين وستعلن
الانتقام من كل الذين أكلوا من لحمها ونشروا في كل الدروب وتركوها تعاني الالم
والمشقة :

وستنهض من بين الانقاض

بيروت المذبوحة

بيروت المحترقة

اليازة ضوء مؤتلفة

والمجتثون ، المذبوحون

المنفيون من الشريان الى الشريان

من الاصرار الى الاصرار

هم الباقون . . . هم الباقون

ووحده أنت الزائل

يا قاتل

وحده أنت الزائل

والشاعر في القصيدة نفسها يؤكد أن العودة ستكون مشرقة زاهية لأن بيروت
الحضارة ستولد من جديد وسيولد معها الحب والعشق والجمال :

دمرها يا مجرم حجرا حجرا

سنعود من النيران كما كنا وكما سنكون

بناة حضارات ، بشرا

من أعماق الانقراض نعود . .

لنكتب أشعارا

لنحب

لنلتقي الدنيا . . بشرا (١) .

ويشير الشاعر وليد أبو بكر الى أن لحظة الحزن في بيروت لن تطول ، وأن
بيروت ستعود كما كانت تضم عشاقها وترجم زناتها وتنتصر بحبها :

لكن لحظة الهكا لا تطول

بيروت سوف تفرع الطبول

تنفض عن جناحيها كل غبار العوت

تفتح للإنسان قلبها

تنمحه براءة الطفولة

بيروت يا حبيتي مدينة أصيلة

وفي شغاه الناس كل الناس آمنيات

بيروت ، حبيهم ، تعود للحياة

تحضن كل عاشق لدرهمها

وترجم الزناة

الحب في بيروت بين الناس كالقدر

بيروت يا حبيبتى بالحب تنتصر
بيروت يا حبيبتى - كالعرس تنتظر - (١) .

أما الشاعر حسين حيدر فيؤكد على قوة وصلابة بيروت، ويشرح بفد ها المشرق
حين تعود خيول الفجر صاهلة الى حصنها، كما ويتمنى أن تمتد نار التحرير الملتهبة
الى كل أرجاء الوطن العربي لتعيد له البسمة والثقة من جديد :

ظنوا بزندك يلوى اليوم من تعب آمنت بالمعصم المشدود لم يلن
غدا تعود خيول الفجر صاهلة ما أروع الخيل ان عادت الى الحصن
يرقدونك يا عنقا أمتننا
رجي النيام ورجي كهف غفوتهم فان تعادوا فمدى النار للوطن (٢) .

ويؤكد الشاعر محمود الدسوقي أن الشعب لن يذل ولن يهون مهما جار عليه
الزمان ، فالفجر في بيروت آت ، وسوف تنهض الاشلاء من رقادها ، وينهض الطفل والفتاة
يحكون قصة التآمر ويزيلون الحمل الجاثم فوق صدورهم :

لا ينفع العويل والاهات
فمهما ادلهم الخطب واشتد الظلام
مهما طفى نيران ، هولاء هولاء وأحفاد التتار
فالفجر يا بيروت آت . .
فمهما طال الليل يتبعه النهار
فالجرح أعق ما يكون
والشعب مهما جار عليه الزمان
لن يستكين ولن يهون
رغم الضحايا والدمار
تصرخ الاشلاء الانتقام . . . الانتقام

(١) بيروت الموت والحياة ، الآداب ، ١٩٧٥ ، ص ١٠ .

(٢) كلمات للريح والارض ، ص ٧٩ .

وكّل حرّ قد تحمّل العذاب لن ينّام
النار . . . والاشلاء . . . والركام
ويظل شعبي صامدا
يقارع الطفاة
صامدا أمام هجمة التتار (١) .

ويطلب الشاعر شوقي بزيع من بيروت أن تنهض من غفوتها وتنهض من جد يسند
لأن في السماء زرقه تبشر بشرة أبنائها وخروجهم نحو الفرح الجديد :
حاذري

ان خاتمة البحر تقترب الآن والشمس لا تنحني
والطيور التي تتجمع في باحة القلب يقتلها الانتظار
لم يعد للقطار
غير عاصمة واحدة
وبكاء المصابيح لا يستريح
وهذا المعلق بين الرصاصة والحلم طائر المستحيل
لم يعد غير أوجاعهم تحت جلد النخيل
انهم يخرجون
بعد أحلامنا بقليل
ويغطون نصف النجوم ونصف الشظايا
دمهم في الحكايا
وخطاهم تشير الى زرقه في السماء
فانهضي من جذوع الدماء
انبضي

ان شمس المسافرين لا تحسن الانحناء (٢) .

(١) محمود دسوقي ، نيرون على أبواب بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ١٩ .
(٢) شوقي بزيع ، الرقص بين خرائب المدينة ، الآداب ، ١٩٨٤ ، ١٢٤ ، سنة ٢٣ ، ١٩٧٥ ، ص ٦ .

وتشير الشاعرة نازك الملائكة الى أن العواصف المشتعلة ستهب من قبور
القتلى لتستأصل بقايا الحقد والكراهية من بيروت، وأن الرعد المدوي سيعلن ولادة لبنان
الاعظم من جديد . . . انه سيولد من ضفتي الجرح الذي أصابه :

بيروت ان الفناء وهج الدم المعطر

يصد في جبهة الشهيد

وان وجه الحقود أصفر

والدم سرّ، وعق بحر بلا حدود

مثل جمعيتنا

وضحكة الشمس

وانكسار الندى على غابة الصنوبر

بيروت ان القتلى تواريخ لا تنسى

قبورهم مولد الرعود

وخلف احد اقمهم تسهر العاصفات تسهر

بيروت والجرح نهر كوثر

من ضفتيه يولد لبنان من جديد (١) .

أما الشاعر ميشال سليمان فيؤكد على نهوض بيروت من جديد ، ويشبه بيروت
في صحتها هذه بالشمس التي تطلع من الأرض، والنخلة التي تنمو في جذورها ،
وبالعصار القاتل الذي يجار بالجر ويتطلع نحو نجمة الصباح :

وتنهض عاصفة الغضب:

شمس تطلع من الأرض

نخلة تعاف سفاك الرطب ، ناشدة التمرد في جذورها

اعصار من نار

يجار بالجر ولا يخشى النقاد

رافد ينهد الى نهر كبير
ونهد واحد وحيد قبلته نجمة الصباح (١).

كما يؤكّد الشاعر أنس راود ان الثورة في بيروت ستصنع فجر الكبرياء من جديد
انها ستعيد تاريخ أمتنا المجيد وستطلع الشمس من المغيّب وتعطي مواعيد الخلاص
الابدية :

وسط هذى المحنة الصماء يا بيروت
هذه الظلمة السوداء
يصنع الثوار فجر الكبرياء
أيقظوا في الامة الوسنى تواريخ الابداء
اطلعوا الشمس من المغيّب
وصلوا للغد الاتسي
وصلوا للضياء
فاذا الاطفال صرعى ، والنساء
ودماء الشهداء
واذا أطلال بيروت وآلاف الخرائب
والشجيرات التي ظلّت تحارب
عبر غابات الرصاص
تطلع الفجر ، وتعطينا مواعيد الخلاص (٢).

ويؤكد الشاعر عزالدین سليمان ان بيروت ستظل صامدة ، وسيشرق وجهها
من جديد رغم كل صنوف الاذى والعذاب ، انها ستقتل كل طفاة العصر الذين
سكبوا الوجع القاتل في عينيها :

-
- (١) ميشال سليمان ، لحظات في عاصمة الغضب ، المعرفة ، دمشق ، ع ٢٤٦-٢٤٧ ،
٢٤٧٤ ، سنة ٢١ ، ١٩٨٢ ، ص ١٢٢ .
- (٢) بيروت ، العربي ، ١٩٨٢ ، ص ٣٢ .

أصحاب الذيل اغتالوا وجهك يا بيروت
لكن المطر القادم من أجفان الغوطة يصح وجهك ليس
يموت

سكبوا الوجع القاتل في عينيها الزرقاوين
وجاء طفاة العصر لقص ظفائرها المرمية عند البحر
وقتل نوارس عينيها
لكن المطر القادم من أجفان الغوطة يصح وجهك
ليس يموت (١).

ويبين الشاعر محمد أبو لبن أن بيروت لن تركع ولن تذلل ، فهي تتحمل كل
المصاعب من أجل عين كريم ، أنها ترضى تراب الأرض في عزّ وشرف ولا ترضى شام الأرض
في عين العبيد :

بيروت أغنية الرجال القابضين على السلاح
بيروت لن تشفي عزائمها مداغمهم ولا عمق الجراح
للقيد طعم لا يروق لمن تعمّد بالكفاح
طعم الليالي لا يلدّ لمن تغذى بالصباح
بيروت يشرب طفلها من جرحه بعض الدماء
بيروت يرضع طفلها الطلقات ان فقد الغذاء
ترضى تراب الأرض في عزّ ولا ترضى
شام الأرض في عين العبيد
ترضى مياه البحر رغم الملح تشربها
ولا تعطي لفاصبها الوريد
بيروت ان قصفوا بيوتك بسمعوا
عنف الجواب بألف سيل من حديد

(١) بيروت لا تنسى اسمها ، الثقافة السورية ، ١٩٨٢ ، ص ٢٢٠

وهو في القصيدة نفسها يبشر بيروت بقدم الرجال المخلصين لها
الباعثين العزم فيها من جديد :

بيروت مقبرة الفزاة القادمين من الجنوب الى الشمال
بيروت يشفي جرحها عزم تجدد في القتال
بيروت يمسخ دمعها ان سال آلاف الرجال
بيروت فانتظري الرجال (١) .

ولعل الشاعرة كافية رمضان كانت من أكثر الشعراء تفاؤلا في عودة الحياة
الى بيروت، فهي ترى ان الفجر سيطل على يد فارس عربي يمر في بيروت يحمل
سيفه وكتابه ويحيلها صرحا وجنات جميلة :

يا فارسا
يا عمق أعماق الحضارة
أمنت بالوطن الذي
قد كان بنيانا تحرق به الجنان
واليوم دمر بالحرائق واكتسى
ثوب الدخان
لكنما بطل سيأتي راكبا فرسا أصيله
ويعرف في بيروت يحمل سيفه وكتابه
فيحيلها صرحا وجنات جميلة

والشاعرة تعلق الآمال أيضا على هذا الفارس في بعث الحب بين الناس من
جديد وفي إعادة البسمة للمساجد والكنائس :
يا فارسا من عمق عيني الحزينه
أمالنا

تشدو بالآف الاغاني الواعدة
حتى يعود الحب بين الناس
في حضن السكينة
صوت المؤذن يرفع
وصدى النواقيس المجلجل بسمع
وتعود تزهو ياسمينه
في كل حي بالمدينة

وهو في نظر الشاعرة بطل يشبه خالدا في شجاعته وانتصاراته ، بطل يعيش
ولا يموت :

وتظل وحدك ان يموت الآخرون
بطلا يشابه خالدا
بطلا يعيش مجاهدا
بطلا يعيش ولا يموت
ما كل من يحيا يموت
ما كل من يحيا يموت (١) .

ويظهر الشاعر معين سيسو حانقا ثائرا فيهدد بتفجير الاعصار في بيروت
مؤكد أن هذا الاعصار سيقطع كل جذور الحقد والنفاق من بيروت :

نحن الدم الذي يعلم القراءة
نحن الدم الذي يعلم الكتابة
نحن السؤال والجواب والاعلان
والبلاغ الاول
عن الذي سيقبل

(١) الى بيروت اليك أنت فقط ، البيان ، ١٩٨٦ ، ص ٨١ .

الاعصار مقبل

الاعصار مقبل

مقبل

هنا .. هنا .. هنا

متراسنا هنا

ولن يمر من هنا القراصنة (١).

وبأبيات قصيرة تحمل أملا واسعا يبشر الشاعر محمد راضي جعفر بيروت بالموعد

الجديد المشرق :

يا بيروت اني قادم : نبضي

دم ویدی مواويل وخبز فافتحي شباك الموصود عند

البحران الموعد المطلول آت (٢).

أما الشاعر نذير الحسامي فيخاطب بيروت مبشرا بالغد الآتي وبزوال ظلمة

الليل : مؤكدا أن جبينها سيظل مرفوعا عاليا ما دام هناك أحرار يضجون بدمائهم

من أجل عزتها ومنعتها :

بيروت لم يعصب العينين منك أسى غدا يزحزح عنك الليل والسد ف

جبينك الحق مرفوعا فلن تهني وفي اللظى يعرف الأبريز والخزف

بيروت يا أم عبد الله مفخرة سيل من النار في عينيك يغترف

تهللي بدم الأحرار هـادرة لانت (مكة) عبد الله و (النجف)

بألف ألف فدائي كرمت فدا يا أم اكرم من ضحوا وما عرفوا (٣).

(١) الاعمال الشعرية الكاملة ، ص ٦٣٩ .

(٢) الى بيروت ، الآداب ، ١٩٧٦ ، ص ٦٩ .

(٣) ألا تزورنا أيها الغضب ، ص ٧٦ .

ويجزم الشاعر نزيه حسون ان ليل القهر والاغتصاب والظلم والطفيان فسي
بيروت سيزول قريباً ، وأن الألق سيمود اليها من جديد بعد أن يفنى كل الطفاة
الظالمين :

عروش القهر يا بيروت زائلة فز تخشي حشود القهر تندفع
إذا الحكام بالطفيان قد حكموا سيأتي اليوم فيه الظلم ينقمع
ويفنى ألف مفتصب ومفتصب وهذا الليل يا بيروت ينقشع (١) .

ويحلم الشاعر يوسف أبو لوز بانفراج قريب يكون على أيدي أطفال أقويا ، يعيدون
البسمة والبهجة الى مد ينتهم ، وتحتل أخبار بطولاتهم عناوين كل الصحف العالمية :

حالما بانفراج قريب أكون
إذا الصحف العالمية
أشعلت السوق عن عملية شبل
حالما بانفراج أكيد أطل
نهارى جميل
كل بنفسجة تتفتح في قرية
حالما ، . . . خارجا من د خان البنادق
أضج في ثانية
ليس بين الرصاصة والحلم إلا يدي
ويدي يتدفق فيها الحنين
وشوق الخيول (٢) .

وبؤك الشاعر حسن الامراني أن حزن بيروت لن يثني من عزيمة أبنائها ، فمن
الحزن تولد العاصفة دائما وتورق الهند قيسة :
تتعد بين محيطين مرت عليها سنايك خيل المفلول

(١) ابحت عن جسد يلد النصر ، ص ٩٢ .

(٢) لا غيبة تحجب المذبحة ، المجلة الثقافية ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٣ .

فلم تتألم ولا فقدت وجهها المستدير المضيء
ومرت عليها سنايك خيل ملوك الطوائف فانتفضت
جردوها من الدفء إذ أوقفوها على شفة الروم عارية
وتولوا ولم يهصروا عريها ، وأنا لا أرى غير أفئدة مطفأة
نص خبا الحزن خلف المحاجر من خباء
لسيدة تسكن البحر أورقت البندقية حزنا وحزنك هذا
يهرس بالعاصفة (١) .

ويهرس الشاعر علوى الهاشمي بفجر بيروت الجديد ، حيث ستخرج شجرا
ينهض وقمر يركض ووطنا ينهض في أوردة الماء ، أنها تنتظر عشاقها القتلى الفقرا
لتقيم لهم عرسا :

جسدي ينتظر الوردة تطلع ما بين الكتفين
والوردة في عروة بيروت
وبيروت المنصورة واقفة تنتظر العشاق
على المنعطف الايسر للشارع
بيروت تقيم الليلة عرسا للعشاق القتلى والفقرا
بيروت تقيم الليلة عرسا للارض القتلى
بيروت الليلة تخرج من غابات رمي
شجرا ينهض ...
قمر يركض ...
وطنا ينهض ...
في أوردة الماء (٢) .

(١) حسن الامرائي ، بيروت الدم ، الاتاب ، بيروت ، ١٤١٦ هـ ، سنة ١٩٨٤ ، ص ٥٥ .

(٢) علوى الهاشمي ، قراءات في - فتر الجرح العربي ، الاقلام ، بغداد ، ١٤ - ١٤ هـ .

أما الشاعر سعد الدين كليب فيؤكد أن بيروت لن تذل ولن تهون، وستبقى
شامخة أبيّة تسح رصاصا ودما، يعلن شجرها عن صحة عالمنا العربي الفارق فسي
حروبه المختلفة وملذاته الكثيرة :

وتبقى بيروت جماجم شامخة
تبقى بيروت أكفا تسح رصاصا
وتسح دما لا يسقط الآ كي يصعد
بيروت غد يتجسد زيتونا
يعشق نفح الارز ويعلن صحة عالمنا الفارق
في الفيتو - والويسكي
والكتل المرتدة (١).

ومن أجل بعث الفجر الجديد في بيروت، لا بدّ من التضحية والتعب، والشاعر
نذير العظمة يعلن أنه سيأتي بيروت من أكثر المسافات بعدا، يأتي حاملا موته من
أجل تخليص بيروت من أيدي المتاجرين بها :

أحمل موتي أيتها المدينة وأجيء اليك
كما الأردن
كجسد القدس المرصع بالمسامير
أخلع جبّة الريش ورصيد العملات الأجنبية
أخلع الصياغة من هيكلك
الحجرات من رحمتك
الغرف من نخاعك
أجيثك بالنار التي حطها قلب تموز من جراح جسده
وأكسر قرون الخنزير الشرس
أجيء، أشب المسافة وأصل اليك

(١) بيروت وجيفارا، الثقافة السورية، ١٩٨٣، ص ١٠٤.

أيتها المدينة السيدة
أيتها السيدة المدينة (١).

ومن أجل تحقيق الأمل المنشود في بيروت ، فإن الشاعر عبد العزيز المقالح
لا يجد أمامه إلا أن يدعو بيروت الى عدم اليأس والاستسلام لأن أمواج الرغز ستصنع
أشجارا ونجوما أخرى لبيروت :

تلمع أنياب الليل على شرفة منزلك المهدم
تجرح ظل الورد ووجه النجمات
تتجمع في الأفق الداكن أنياب الصمت
تتقدم
تراجع
تنشب نار أظافرها في أقطار القل
في لحم الأطفال الفقرا
بيكي البحر
العشب يصير دموعا
لا يا بحر

امسح عن عينيك الأحجار ، الدمع
دع أمواج الرغز وأمواج النار
تلتهم اللون الأسود
تلتهم اللون الأصفر
تصنع أشجارا ونجوما أخرى (٢).

وينفس الأسلوب نجد الشاعر ذا النون الاطرقي يدعو بيروت الى أن تكون
قنبلة تتفجر على فضائح هذا العصر ، تتفجر لتجعل من الشباب جداول لهب تصيب

(١) بيروت السيدة ، ذكر ، ١٩٨٢ ، ص ٥٨ .

(٢) بيروت والليل والرصاص وتل الزعتر ، مجلة الكاتب ، ١٩٧٦ ، ص ١٠٧ .

في البحر :

بيروت يا قنبلة تضحّ في الصدور
تفجرى بحرا من الضو' على فضاء العصر
هذى شظاياك قناديل تلف جسد الليل
تضم رعدة المحيط والخليج
تقتلعنا وتبعثنا - جداول من لهب تصبّ في البحر (١) .

(١) ذوالنون الاطرقجي، بريد بيروت، الآداب، بيروت، ع ١ - ١٢، ٧٤، سنة ٢٤،

قصيدة الداخل والخارج :

ان نظرة فاحصة متأنية لما كتب في بيروت من الشعر تؤكد أن هذه المدينة قد نالت قدرا وافرا من الشعر العربي اذا ما قورن هذا الشعر مع شعر أي مدينة أخرى ، فقد تناولها الشعراء بالحدث في كافة الاقطار العربية ، وتعددت قصائد الشاعر الواحد في أكثر من موقع وتساوى في ذلك الشعراء الكبار والشباب منهم .

ولعل ما يشير الانتباه هو أن غالبية القصائد العربية المكتوبة بأيدي الشعراء العرب خارج لبنان قد ركزت كثيرا على بحث أسباب المأساة في بيروت ، وقد اختلفت وجهات نظر الشعراء حول ذلك ، فمنهم من تحامل عليها كثيرا وجلد لها بسوطه واعتبرها المسؤولة الاولى عن مأساتها وذلك حين سمحت للغرباء بدخولها وممارسة شهواتهم فيها ، ومنهم من مال الى اتهام الصهيونية ومن ورائها الاستعمار الغربي ببعث نار بيروت والعمل على دمارها ، في حين ركز آخرون على الحكام والشعوب المريضة وجلدوهم بأسواطهم واعتبروهم مسؤولين مباشرة عن أحداث هذه المدينة ورموهم بالفاظ وعبارات غير مقبولة وكأن هذا الأمر (النقد الذاتي) أصبح أمرا لا مفر منه في كل القصائد حتى الفزلية منها .

ان أكثر ما يميز قصائد الشعراء العرب في حديثهم عن بيروت هو طابع السخط والسخرية ، فهم بعيدون عن كل ما يجري في بيروت ، لم يخوضوا التجربة بعينها ، لذا فقد كتبوا دونما رحمة أو شفقة ، على أن هذا لا يعني أن كل الشعراء العرب قد اتسموا في قصائدهم بذلك ، فقد لاحظت أن بعضهم قد لاسها وأبرز معانيها ولكن دونما خدش أو ضرر ، ثم عاد ليقرر موقفه القومي تجاهها من خلال التأكيد على المحبة والانتما النابعين من شعور عربي أصيل .

أما الشعراء اللبنانيون فقد تميزوا عن غيرهم من الشعراء العرب في أنهم خاضوا التجربة وعرفوها ووقفوا على دقائق الأمور فيها فكانوا أرحم من غيرهم كثيرا في اتهام بيروت بمأساتها الكبيرة .

لقد أحبوا بيروت كثيرا وكتبوا قصائد طويلة في التأكيد على حب هذه المدينة والانتفاء اليها ، وحملوا هذه القصائد عناوين المحبة والحنان أيضا ، واعتذروا لها طويلا لأنهم كأبناء لها حملوها ما لا طاقة لها به .

لقد شعر هؤلاء الشعراء أن بيروت قد ظلمت كثيرا وأنها لم تكن الأم القاسية التي غدرت بأبنائها كما وصفها بعضهم .

إضافة الى ذلك فقد قل في شعر اللبنانيين النقد الذاتي حيث استبدلوا جلد الزعماء والشعوب العربية بعتاب موضوعي انطلق من مبدأ الاخوة العربية الصادقة ، كما قلت في قصائدهم الالفاظ الفاحشة والبذيئة التي استخدمها كثير من الشعراء العرب وبالأخص الشباب منهم .

وقد كان الشعراء اللبنانيون أكثر تفاؤلا من غيرهم في التأكيد على بزوغ فجر بيروت من جديد . ولأنهم عرفوا المأساة بكامل تفاصيلها ، فقد أعلنوا في أكثر من قصيدة أن بيروت القادمة هي بيروت الفقراء الذين أعلنوا تمسكهم بكل ذرة تراب من أرض بيروت ولم يتخلوا عنها في أحلك الأوقات .

البصرة :

اختلف مضمون قصيدة البصرة اختلافاً كلياً عن قصيدتي القدس وبغروت ، ولعل ذلك عائد في حدود تقديري الى طبيعة الظروف التي مرت بها مدينة البصرة والمختلفة كلياً عن المدينتين الأخريين ، فهي مدينة المعاناة الأولى ، لم تخذلها الأحداث ولم يخذلها أهلها ، وبالتالي فإن تعامل الشعراء معها كان منصباً على " البصرة المعاصرة " بكل ما فيها من أحداث تهم العراق والأمة بشكل عام .

سارت قصيدة البصرة في ثلاثة اتجاهات أساسية من حيث التعبير عن تجربة الحرب ، وقد شكلت هذه الاتجاهات الثلاثة - في الوقت ذاته - ثلاث مراحل لتطور قصيدة العراق :

١ . الاتجاه التعبوي :

وقد بدأ مع الحرب مباشرة ، وحمل سمات ولامح محدودة مثل التعبير المباشر ، والافتكار البسيطة ، والانفعال ، والحماسة ، وقد مال الشعراء فيه الى التحريض وتعبئة قوسهم وحشد طاقاتهم واستنفار عزيمتهم .

يقول طراد الكبيسي :

" في الأيام أو الأشهر وربما السنة الأولى من الحرب ، وانطلاقاً من تصور الكاتب العراقي أن الحرب لا تعدو أن تكون حرباً محدودة ؛ صد عدوان واسترداد حقوق - كان الذي له الحضور الفعلي والتلقائي هو التعبئة أو الأدب التعبوي . والأكثر والأسع استجابة لهذه المهمة هو الأغنية والقصيدة التقليدية ، لأن هذه هي الأكثر قدرة على التحريض والحماسة وتعبئة الروح المعنوي للشعب والمقاتلين في الجبهة " .

لقد أدى الشعراء هذا النوع من الشعر بأعلى قدرة من الشحن العاطفي ، وبوسائل لغوية وفنية معينة تتردد من قصيدة الى أخرى . ومن أهم الوسائل اللغوية

الاستخدام المتواتر لأدوات النداء ولا سيما اليا ، وكذلك فعل الأمر وأدوات النفي واستخدام التكرار بشكل واضح (١) .

٢ . الاتجاه التسجيلي أو الوثائقي :

وقد تأخر ظهور هذا الاتجاه قليلا عن سابقه ، وحمل سمات وملامح مختلفة مثل تصوير العمليات والبطولات القتالية وتسجيل لحظات إنسانية على الجبهتين العسكرية والشعبية ، والاكتفاء من مفردات القتال والأسلحة والعتاد .

ويضم هذا الاتجاه التسجيلي ضمن ما يضم بعض السير التي سجلها الشعراء للمقاتلين الأبطال وخاصة الشهداء منهم .

وفي كثير من نماذج هذا الاتجاه مال الشعراء إلى القص والسرد والحركة الدرامية والاستعانة بالحوار والأغاني الشعبية بحيث يمكن أن يشكل ما فعلوه اتجاهًا قائما بذاته نسميه " الاتجاه القصصي " .

ولعل من مساهمات هذا الاتجاه التسجيلي أيضا أنه دون جوان الحزن والجهامة الذي تفرضه الحرب عادة (٢) .

٣ . الاتجاه التأملّي :

وقد ظهر مع سابقه تقريبا ، وحمل سمات وملامح مختلفة مثل العودة إلى التراث المحلي والإنساني على سبيل تكثيف التجربة الشعرية والتأمل في أحداث الحروب وبطولاتها واستخدام الرمز في سير دقائق هذه الأحداث .

(١) انظر: علي شلش ، في قصيدة الحرب العراقية ثلاثة اتجاهات أدائية ، مهرجان العبد الشعري التاسع ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٣٠ .

(٢) انظر: المصدر نفسه ، ص ٦ .

وعلى الرغم من أن هذا الاتجاه قد ظهر منذ العام الأول من الحرب، إلا أنه لم يكن قويا، ذلك أنه كلما طال أمد الحرب زاد التأمل فيها كتجربة إنسانية من النوع الشامل، وازداد طول القصيدة وتنوعت أدوات الشاعر، وتبلورت رؤيته (١).

لقد تتبعنا الاتجاهات الثلاثة في قصيدة البصرة، ولا حظت أن حديث الشعراء جاء منصبا من خلال هذه الاتجاهات على قضايا بارزة أهمها:

أ - الإشارة ببصرة البها والصمود .

ب - تمجيد البطولة والابطال .

ج - تأكيد الحب والانتماء .

د - الدعوة لمواصلة الثبات والحماسة .

هـ - الشهادة .

أ - بصرة البها والصمود :

أفاد الشعراء في حديثهم عن البصرة المقاتلة، وركزوا على الدور الكبير الذي لعبته المدينة في صد الطامعين الفزاة، وحيوا أهلها الأبطال الذين جمعوا بين الشجاعة والبساطة، ونخلها الذي ظل شامخا أمام الفزاة، كما تحدثوا عن جمالها وبهائها الذي عرفته عبر التاريخ، فكانت المدينة التي جمعت بين المعاناة والبها، معاء والتي استطاعت أن تحافظ على هذا البها وأن تحول المعاناة إلى نصر مشرف.

لقد فاخر الشعراء في أكثر من قصيدة بصمود البصرة، فالشاعر كاظم نعمة التميمي بين أنها مدينة أقوى من الموت تجمع بين الفكر وبين الثورة، وتواصل الريادة والفتح، تقبض على السيف بيد وعلى الحياة بأخرى :

ترتدى البصرة أحلام الخليفة

وتوشي ثوبها المنسوج بالنخل

(١) انظر: المصدر السابق، ص ٩ .

حكاي الشمرء
وهموم الانبياء
لم يزل للدمع المنذور في أعماقها
سرّ الولاية
نسفها الموصول بالفتح
وأزمان الريادة
لم يزل بين حناياها طموح المبدعين
وبناة الفكر
بين العريد المأهول والجامع والشط الحزين
لم تزل أقوى من الموت
فان جاء الفزاة
رفعت كفاً مع السيف
وكفاً للحياة. (١)

ويش الشاعر جاسم التميمي أنها أمّ ونبع لكل الاماني ، من أرضها انطلقت
راية الفتح وزفت البشرى لكل العراقيين ، فكانت بصرة الحب والمجد التي زهت في
جيدها كل القلائد ،

هنا البصرة الام نبع الاماني
هنا اتكل المؤمنون على الله
والفتح جاء يحني المواضع
يرفع بيرق حب على كل دار
لا يقوينة المجد في جبهة الحب تحلو الافاني
لريح المسرة وهي تحط الرحال على ضفة الشط
تأتي القداسة تلقي أناشيدها للمحارب

(١) كاظم لعممة التميمي ، النسخ ، الاقلام ، ٩٤ ، سنة ٢٢ ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٥١ .

والخيول الجموحة تصهل في الدم
تنصب أشعة وبيارق
لطيور النوارس وهي تزق بشائرها للخليج
للافتة النصر في واجهات المباني
والمعطر في خوذ الجند
للأرض ترفل بالخير والصلوات
اتكلنا على الله - شعّ بريق الشموع
وغنت أناشيدنا للعراق
أى الأناشيد أكبر من لغة النار؟
أى الأكاليل يزهر تاجا
لسيدتي بصرة العاشقين (١) .

أما الشاعر محفوظ داود سليمان فقد فاخر بصمود هذه المدينة القاطنة
عبر النار، والمدركة معنى الشهادة والتضحية، وأكد أنها مدينة المقاتلين الأولى
التي أنهت النخل والمقاتلين معا، وأزهرت في أرضها آلاف السنابل :
مدينة تسكن عبر النار بين النهر والصحراء
مدينة الأشجار والآنهار والأسماء
في كل بيت نخلة تولد أو مقاتل
ينزف جرح الأرض . . تزهر السنابل
بيوتها تسير فوق الماء
وترتدى في العرس بدلة القتال
يمتدّ في دروبها سور من الرمال
وفي الحقول يفضب النخيل أو يقاتل (٢) .

(١) جاسم التميمي، ترانيم على نهر جاسم، جريدة الثورة، ٦/٦/١٩٨٨، بغداد، ص ٩٠ .

(٢) مملكة الانهار، ص ١٤٧ .

وهي حينما تتأجج حماساً ، تتحول الى أشعة من رصاص وأفق من نار بقوة
وزنود أبنائها البسطاء الذين يدركون معنى التضحية والفداء من أجل صئون
حماها :

في مملكة من شجر ، مملكة من أنهار
مملكة الفقر الحالم ، والناس البسطاء
ورفاق تعرفهم في أودية خضراء
يستيقظ صوت الارض ويفداد (نوحدة) أوبحار
أفق من أشعة ورصاص ،
أفق من نار . (١)

وأما الشاعر محمد الفايز فقد أكد أنها مدينة الفكر والثورة ، وجنة الدنيا
التي لا تساويها جنة ، انها المدينة التي احتضنت كل بطولات السماء وكل المعاتلين
الشرفاء :

في كل مكان شوار
في كل مكان يتقد الفكر
وتضيء الأشعار
أيتها البصرة يا مدينة الفداء
يا نخلة عالية المنازل / يا جنة الجودي والسنايل
يا قبة تحتضن البطولة السماء (٢)

وهي المدينة الصامدة دون غيرها من المدن ، صاعدة مادام يحرسها رجال
عاهدوا الله والوطن على الشهادة والفداء :

طبت صباحاً يا حبي ، منذ خيوط الفجر الاول لنهار الاثنين الماضي
باغتني الشوق الابدئ ، حاصرت الهاتف مرات ، لا بدك أشواق
القلب ، ولأسأل عن فاكهة البيت ، لكني ولسوء الحظ لم أتمكن من

(١) المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(٢) لماضينا نغني ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

* النوحدة : (قائد السفينة في جنوب العراق) .

وصل البصرة بالحلة .

فحزنت لبعض الوقت ، وقلقت ولهذا قررت أن أبرق يا مقلقة
هذي الروح اليك ، عليك تزدادين أمانا :
يا سيدة السهرات الممتعة والعشب النافر والجدول
البصرة ما زالت صامدة مهما مربها الطاعون ومهما داهمها الفول
ومهما يفعل
لن يتوانى النخل ولا الهري ولا شاعر مردها يترجل
البصرة يحرسها الحسن البصري
وتثال السيّاب وعصافير المعقل (١) .

وهي النادرة في الصمود لأنها تجمع بين النار والفلّ والنوار معا ، فهي
مدينة الحرب والعشق والجمال :
ملفحة بوهج النار
طافحة بفوح الفلّ والنوار
صامدة وحق النخل والوعد
وحق أبي الخصيب وهيبة الجند
وحق هواك اكتم منه أضعاف
الذي أبدى
وحق هواك يطلع منه في جسدي
رياحينا وأجنحة
وأسرابا من الدوري والرند (٢) .

(١) الشهدا* يطرقون الابواب ، ص ٨٩ .

(٢) زهر الحقائق ، ص ٧ .

وأما في شعر علي رب فالبصرة بلد لا ككل البلدان ، إنها وطن البداولات الأولى
ووطن الهبة والتقوى لا الخمر والجنس :

انني اليوم
وعلى غير ما اعتدت يعلو نبي الزهو
كنت حزينا
يعفوني هاجس
كلما يدم الوجه قطرا
وجدت به صولة الخمر والجنس
وافتقدت البطولات
وها ان خمرى وجنسي هنا
هبة وصلاة (١) .

ثم ينعتها الشاعر علي الحسيني بأرض العز والصمود والحكايات التي حملتها
وستحملها الأجيال عبر الأيام :

استدعيت اليوم روى وطني
واحدة تلو الأخرى
نهضت باسمة لتحذثني
قالت : بنت المنصور
تزداد مع الأيام بها
أرضا ومياها ولقاها
والبصرة عز وصمود مأثور
وحكايات تذهل سامعها (٢) .

(١) لماضينا نغني ، ج ٢ ، ص ٩٢ .

(٢) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ .

ثم يعبر الشاعر حميد سعيد عن وقفة الصعود والبطولة التي تميّزت بها البصرة دون غيرها من المدن بكلمات يظهر فيها مدى الاعتزاز والافتخار بدورها العظيم:

حلم وجهها
أرايتم معي حلما ساحرا
وبلدا تسور بالشعر ضحكها
اقتربوا الآن سني
أو اقتربوا من قصائدكم
واسألوا وردة المتدارك
ثم اصمتوا لحظة . .
كالصلاة
أفعلتم ؟
أرايتم وفيقة
ها هي تجمع أطرافها من شظايا القنابل
تنهض . . . تقترب الآن
تبحث عن مقعد فارغ . .
جلست (١) .

وإذا كانت البصرة مشارف فخرواعتزاز بالنسبة للشعراء ، فإن شجر البصرة كان أيضا محط تقدير واعجاب في قصائد الكثيرين ، فالشاعر عدنان الصائغ يفخر بنخل البصرة الذي يتسامى عاليا دون انحنا ويظل قويا رغم رصاص الأعداء :

سأحدث ابني " حيدر " عن نخل البصرة
كيف يظل قويا . . يشمخ للسحب
ولا يحني قامته . . أبدا
رغم الريح . . . ورغم رصاص الأعداء .

(١) حميد سعيد ، معلقة البصرة ، الاقلام ، ١٤٠٤ - ١٤٠٥ ، سنة ٢٢ ، بغداد ، ١٩٨٧ ،

سأعلم ابني " حيدر "
كيف يشب كنخل البصرة
ويموت اذا سرقوا من قريته تمره (١) .

أما الشاعر محمد صالح عبدالرضا فيحيي في قصيدته " سلاما يا شجر البصرة "
كل أشجار البصرة ، ويرسم صورة نابضة بالفخر والاعجاب للصعود العُشرف الذي عاشته
أشجار البصرة أمام كل المتحدّين :

يا شجر البصرة تبقى حلم الاحلام
نقروك السلام
وكبريا السهر الخلاق والهيام
فكيف ينساك الندى وألق الصباح
وأنت تجمع اليقين والشرارة
تحقق البرق وتكتسي الرياح
وتطلق الحجارة
بوجه من توهّمك نائما وخائب النضارة
كنت أراك هائما على مرايا الشط والفناء
مقترنا بالماء
وتستشير مرفأ اللهفة عن حداثق المساء
هلا قرأتم شكلها الضوئي في عيوني ؟
وحين داهمك كنت الجمر والرماح
مثقلة أغصانك الحديد
بالدم ان تنقض كالصقور
تفجر الأشلاء في فاتحة الجراح

(١) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ١٨٧ .

ثم يخص نخل البصرة بالحديث المتفجر حباً وأعجاباً لكل نخلة من نخلات
البصرة المقاتلة :

من يرى نخلتك العظيمة
مضيئة في الفسق الجديد
في خطوها نبوءة الانسان
قدسية تأخذ شكل خضرة الصعيد
أسمائها مكتوبة على بيارق المدى (١) .

ولم ينس الشعراء أنهار البصرة ذات العطاء الكبير والعشق العظيم، فالشاعر
محفوظ داود سليمان يفخر بصمود هذه الانهار ووفائها لأرضها ونخلها وسكانها،
ثم يبشر بنهر جديد من نار يوقد جمر الاعماق ويطهر أرض العشاق ويوحد باقي
الانهار :

في البصرة تجري آلاف الانهار
يصعد فيها المد ويجزر منها التيار
قد يصرخ نهر (الخورة) أو يبتهل (العشار)
الأنهار

في البصرة تولد . . تنمو . . تتكاثر
أو تذبل بين الاشجار
وتعيش بها قصص الحب وتحيا الأشعار
ولكن لا ترحل ، لا تهجر صوت الاعماق
أو تنسى النسغ ، وأجراس الاوراق
وجذور النخل السامق والأفيا
أر صوت الماء

(١) محمد صالح عبدالرضا ، ديوان طائر السعف ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ١١٣ .

في البصرة آلاف الانهار
تنمو . . تتوالد . . تحيا
لكن هنالك نهرا من نار
يتألف أو يتواجد فيها ويوحدها
نهرا من نار
يوقد جمر الاعماق
ويطهر أرض العشاق
فتفيض دماء الانهار (١) .

أما أهلها البسطاء فهم محطّ اعجاب معظم الشعراء وتقديرهم ، فالشاعر
سعدى علي السند يفاخر بشجاعته ومروءتهم وعفتهم ورفضهم للذلّ والهوان من
أجل حياة حرة شريفة :

البصرة الجميلة
عشاقها الفرسان
وأهلها أهل المروءات وأهل الحب والقرآن
من أول الزمان حتى آخر الزمان
أهل الصباحات التي لا تعرف الهوان
من أول الزمان حتى آخر الزمان (٢) .

ويفاخر بهم أيضا الشاعر أنور العطار ، فيبين انهم أهل المروءات والاباء
والمجد الدائم ، فهم العباقرة ، واليهم ينسب الجود والسخاء :
يا معقل الجود والسخاء
وموئل الحب والاخاء

(١) مملكة الانهار ، ص ٩ .

(٢) لماضينا نغني ، ج ١ ، ص ٣٤٥ .

أهلك ريحانة الصفا^١ أهل المروءات والابسا^٢
الاربيحات في حماك
والعبقريات من نداك
والمجد يهبو على شراك
حديقة أنت مستحبة
وأنت مستوطن الأحبة
يفس الذي حال فيه كربه ويمسح اليأس بالرجاء^(١).

أما الشاعر محفوظ داود سليمان فيؤكد أن أهل البصرة أبطال لا يعرفون
للخوف طريقا ، يعبرون النار وينذرون أنفسهم من أجل تراب أرضهم الطهور :
كنت حلما داميا في وقدة النار وفي صمت الرماد
كنت طيفا غامرا بالشوق حلم السندباد
والى جرفيك أجراس من الماء ، وأجراس الرصاص
تخرق الريح ، وصوت في الصدى :
.. أنها فلاحيك في هذا المساء
يعبرون النار مندورين في عرس الدماء^(٢).

هذه هي البصرة الصامدة المقاتلة ، أما البصرة الفاتنة الخلابة فقد أشار
إليها عدد من الشعراء مؤكدين أنها وعلى الرغم مما تعانيه ستظل مدينة الحسن
والجمال والبهاء .

الشاعرة عاتكة الخزرجي تغنت في مجموعة من أبياتها الشعرية بالبصرة الفناء^٣
ورسمت لوحة جميلة لنخلها وأدواحها وعبيرها ، وأثنت على الخالق الباري الذي

(١) أنور العطار ، البصرة بندقية العرب ، ديوان ظلال الأيام ، دمشق ١٩٤٨ ، ص ٢٦ .

(٢) ملكة الانهار ، ص ١٧٣ .

حباها أجمل صورة وميزها عن غيرها جمالا وحسنا :

وجنة عدن تبّت لنا	وقد باغم الحور ولدانها
و" رضوان " نشوان من سحرها	وتفتن في الدل أنانها
أرته من الحسن ألوانه	فأشبه في السحر ألوانها
جلت من عرائسها عن لال	ودر ينافس عقيانها
تضوع نسائها بالعبير	فبالروح تنقل ريحانها
فأد واحها قبلت ضالها	وكرماتها عانقت بانها
ويا بهجة النخلات الحسان	وقد فوّف الطلع أردانها
وحلّت ضفائرها فانشئت	على الصدر تستر رمانها
وسبحان من شج أمواهها	وطرز بالوشى شطآنها
وسبحان باري أنسامها	ومن نطفة صاغ أنسانها
وسبحانه خالق حياتها	لا لتي تبهج مرجانها
وطرز بالنجم ثوب السماء	ووشج بالنور أركانها
وسبحانه مارجا للبحار	ويهدى السفين وربانها
تعاليت يا قدرة من قد ير	فما كنت إلا بما كانها (١) .

وهي معطاعجاب الشاعر خليل النحوي لأنها خلابة وجميلة ودائمة الفرح

رغم كل ما تعانیه ويعانیه الأهل :

مفتوحة الصدر نور البدر بسمتها	والزعرديات نشيد النحل والزهر
أهكذا أنت أطيّار مفرّدة	أهكذا أنت روض ضاحك نضر
أهكذا أنت عطر حالم عبق	يزهو الاصيل به والصبح والسحر
أهكذا أنت أعراس مدويّة	والنار حولك والاكباد تنفطر (٢) .

(١) لماضينا نفني ، ج ١ ، ص ٣٧١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٢٤ .

وهي في شعر شكر حاجم الصالحى برعة فاتنة تطلع من بين شقوق الارض وتسكن
بين النخل الباسق السامى :

فاتنة تسكن ما بين النخل
هل تدخل حضرتها وتصلّي
أخشى خضرة عينيها
ومرافى نهد يها
هل . . . ؟

من يستغنى من أهلى
أ . . . يا حمرة خديها
وسالك فود يها !!
برعة فاتنة

تطلع من بين شقوق الارض
أراعيها
وأقبلها من نحر غصّ
وأجوب مواسمها
بالطول وبالمرض
فسلام الحب عليها
وعلى سراها (١) .

ثم يتفنى الشاعر حسن القرشى بجمال أنهارها وتسامى نخيلها وأريج
زهورها :

للضفاف النضر زاهى البرود	حبذا الايك بها مبتسما
تستثير الشوق في قلب العميد	حبذا الانهار تجرى صبيبا
وحليفان على حفظ المعهود	وعلى النهر شراع فاتن

باسق النخل على أفيائها يستيننا بروى الطلع النضيد
أينما يمت زهر وشذى وندامى وصدى ناي وعود

ثم يتفنى الشاعر أنور العطار بالمدينة وشطّها وأنهارها وطيورها وزوّارها
مؤكدًا أنها بلد البهاء ولا أجمل :

مدينة الماء والرواء

فتنت بالحسن كل را

وهجت قيثارة الفضاء بأعذب الشعر والفناء

الشطّ ملء العيون يجرى

ذوب لجن وذوب تبر

فأى سحر وأى شعر وأيا شئت من صفاء

والزورق الفاتن الخلوب

مجدافه ناعم طروب

حامت على جريه قلوب تحميه من هجمة القضا

أشعة ها هنا ترامى

تزف من شوقها هياما

سرب حمام دعا حماما بالشدو حينما والهكا

أنهر تلك أم دروب

سلسلها شطل العجيب

لا قد حبيبا بها حبيب وقرّبت شمل كل ناء (٢) .

(١) من وحي البصرة، الأتلام، ١٩٦٩، ص ١٠٨ .

(٢) ظلال الايام ، ص ١٢٦ .

تمجيد البطولة :

لم تخل قصيدة بصرية من الاشارة بأبطال البصرة حراس العراق وجنده
المخلصين ، فهم الذين رفعوا راية المجد خفاقة فوق ذرى العراق ، وهم الذين
عاهدوا الوطن على أن تظل البصرة جزءا لا يتجزأ من الوطن الكبير ، يحمونها
رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا بدمهم الغالي ، ويسجلون اسمها عزيزا في صفحات
تاريخ المجد والاباء .

لقد فاهر الشعراء كثيرا بأبطال البصرة ، وأكدوا أنهم سينظرون الدرع الواقفي
لهذه الامة ، وامتدحوا أيضا المواقف المشرفة التي سجلتها المرأة البصرية والمتمثلة
في الحرس على تقديم المزيد من الابناء شهداء من أجل تراب البصرة ، ورفع السروح
المعنوية لدى كل مقاتل بصرى هناك .

الشاعر كاظم الحجاج أشار بصورة أبطال البصرة ونعتهم بحراس المـــــراق
وحراس النخل الذين أقسموا أن يصنعوا من شجر النخل اسما كريما للعراق :
قبل أن يتكرر البحر موانيه
نبتنا ههنا ...

نحن لم نسكن جوار البحر لولا أننا

نعرف البحر

كما يعرف ابن أمه

أو كما تعرف أمي من أنا

لم نقل للنهر

أنا بكلتا الضفتين

دون أن يعلننا التاريخ :

حراس العراق

نحرس النخلة منذ " الطلع "

من أسنانه البيضاء
يصفر الرطب
نحن أغدقنا على الثمر المذاق
واشتققنا
من عروق النخل
اسما للعراق (١).

وهو في قصيدة أخرى يشيد ببطولة أبناء البصرة والمتمثلة في قصة الكهل الذي
بنى داخل بيته ملجأ ، وحين ابتداء القصف حاول دخول الملجأ لكنه فوجئ بوجود
نساء من الجيران فدخل أن يقتحم عليهن وفي خان الملجأ ليطيئ رأسه كشهيد
خجول :

يا عمال المينا
يا حراس البصرة
هذا رجل
ما كان يموت كما شاهدتم
من غير عناء
ما كان يموت بسيطا جدا
وخجولا جدا
لولا هذا الخجل البصري القاتل
وكما لو أن الموت
بلا رائحة
وبلا طعم
أو لون
كالما !

(١) كاظم الحجاج ، ديوان ايقاعات بصرية ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٦١٠ .

يا عمال الماء
يا حراس الماء
هذا رجل يعطي
لكن
لا يأخذ
... كالعيناء
يا أيها الكهل الخجول
أقتل الناس الخجل
ماذا ...
أتخجل أن تعيش
- كما يعيش -
بلا خجل ؟ (١) .

أما في شعر شكر حاجم الصالحى فرجال البصرة أبطال أحبوا مدينتهم،
وأوفوا العهد لها حتى تصاعد الوطن في نخوتهم وتسامى النخيل في قامتهم .
انهم الذين أقسموا على أن يظلّ موج الشط هادئا كريما :
البصريون ...
من كل شعاب الارض
جا' البصريون
كل يتخندق في بصرتة
وعلى زنديه كتاب محبته
البصريون
وطن يتصاعد في نخوته

ونخيل يتساق في قامته

البصريون

أوفوا العهد وغنّوا

(لو حشدوا مليون

للبصرة ميكدرون)

البصريون - اسم الله عليهم -

صقور . . وفيالق تترى

وعراق في صولته

البصريون . . .

هل ستنام براس البيشه

ضفدعة آسنة

ومياه الشط تمون بهيئته ؟ (١) .

وهم في قصيدة أخرى أصحاب نخوة وشهامة ، يتعهدون بحماية بصرتهم من

الاعداء ومن أولاد العم والجيران الذين غدروا وخانوا ، انهم الذين لم يهتزوا

لرياح الهم بل ظلّوا صامدين وصاهرين رغم فداحة الارزاء :

نم يا ولدى نم

بدر السياب على الشط

يحمي بصرتنا

من ظلم ذوي القربى والجيران وأولاد العم

نم يا ولدى نم

ما نامت عين السياب

وشباك وفيقته

ما هزته رياح الهم

نم يا ولدى نم

نم

نم (١) .

وفي شعر عبد الرازق عبد الواحد نجد هم الابطال الذين اعتادوا على القصف
والموت وجعلوا من صفارهم رجالا لا يهابون الموت، يسمعون صوت القصف فيعرفون
نوع القذيفة ويواصلون سيرهم دون اهتمام :

يا بنت حميد . . .

وأرصفة البصرة الآن مبقورة بالخنادق

مضفورة بالبنادق

حتى وجوه الصفاريها

وشمت بالمباريس

أطفالها

من حفيف الصفيير

يسمعون نوع القذيفة

والجهة السوف تسقط فوق

منازلها

لم يعودوا يخافون

لكنهم يجفلون قليلا اذا بدأ القصف

ثم يواصل سائرهم سيره (٢) .

أما في شعر مجمل العالكي فهم الذين سجلوا وكتبوا أروع ملحمة بشرية،
والذين توجوا بدمهم نصرا عراقيا كبيرا، واطلوا على المدينة بفجر مشرق يحمل معه
البشر لكل أبناء الأمة :

البصرة توغل حدّ النزف، تشدّ صفوف عساكرها

(١) الشهداء* يطرقون الابواب، ص ٥٠ .
(٢) عبد الرازق عبد الواحد، هو الذي رأى، الاقلام، ١٤-١٦، ٢٤، سنة، بغداد، ١٩٨٧، ص ٣٠ .

وتحطّ بأعلام كواكبها فوق ذرى الغاب
باسم الله وباسم الوهج المورق بين دما^١ الاصحاب
يصعد فجر يطلع من أشدا^٢ الموج
يتوج بالخضرة ميلاد العصر
ويكتب أروع ملحمة لصمود الانسان (١) .

ويصفهم الشاعر محفوظ سليمان بالدم المتوهج والابطال الذين لم يمسودوا
يفهمون سوى لغة النصر ، يوزعون شهادات المجد وأوسمة الحرية ؛
هذه الليلة في القاطع أخبار جديدة
جزر الملح ، وقتلى ، مجلس الامن ، وفي الشاطئ^٣
أقمار وحيدة
وعلى الساتر : أبناؤك جرح وزناد
يفهمون الدرس في الطجأ في نهر الرماح
يقرأون النصر في ضوء العتاد
ثم يعطون " شهادات من المجد " وتبقى الذكريات (٢) .

ويصفهم الشاعر منذر الجبوري بالابطال الذين يحيون عزم العراق بزودهم ،
ويجعلون الضوء ساطعاً في سما^٤ وطنهم العزيز ؛
ما بين الفضب المكبوت
يعلو^٥ قمر^٦
ليبلل بالنور
سماوات وبيوت
قمر يعلو

(١) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ .

(٢) ملكة الانهار ، ص ١٣ .

قمر يدري أن ضفافها
لو ينفلقها نهض "بصري"
ستموت (١).

وفي شعر حميد سعيد فان فتى البصرة رجل باسل صاحب مروءات كبيرة،
صان بلاد، وحماها من الطامعين الفزاة :
كل ذرة رمل . . بلاد مباركة
وحدود مقاتلة
ولها أخوة يحرسون صباها
بهم تتباهى
وفتاها
سيد باسل ، سورها وحماها
اقترحت المروءات . . . فاتحة للندى
الحكيم النبيل
غني له يا بلادي (٢).

وقد أكد بعض الشعراء على ذكر أسماء المقاتلين والشهداء من أبطال
البصرة على اعتبار أن الانسان خالق لقيم البطولة عندهم ، فالشاعر محفوظ داود
سليمان يفتخر ببطولة المقاتل البصري سلمان الذي حمل اسم الله وتاريخ العراق
في قلبه وقاتل دون أن يحلم بمتع الدنيا :

كان سلمان عراقيا من البصرة من أرض السنابل
عاش فلاحا يناضل

حاملا سمفته ، عبر الحقول الخضر والكرم والجداول

(١) منذر الجبوري ، ديوان الخلاصة في ما قاله المحارب ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ١٣٦ .

(٢) معلقة البصرة ، الاقلام ، ١٩٨٧ ، ص ٤٨ .

كان مسكونا بوجود الارض ، مهموما بتاريخ الفسائل
لم يكن يحلم بالأشياء مثل الناس ، بالأبعاد
خلف الأفق أو عبر البحار
لم يكن يعرف صوت الريح والاقلاع أو طعم القرار
كان تعباً وفلاحاً ، رسول الارض والخضرة ، لكن الجداول
وقناديل الكروم والخضر والخور تدرى والسما
أن سلمان يقاتل
ويذيه الآن طعم الملح ، سلمان الشويخ
حاملًا في قلبه الحب وصوت الله ، تاريخ العراق
يستضيء الآن ، تنثال القناديل ورايات الرفاق (١)

وأما في مجال الاشارة والفخر بدور المرأة البصرية في معارك البصرة
العظيمة ، فقد أشار الشاعر عبد الزهرة الديراوى بدور فتيات البصرة في خدمة
ومساعدة الجنود داخل الخنادق ؛
الليلة يقف الموت ذليلاً
فوق رخامة قبرى
فأراني - متدا - يقظاً
أتبين جمهرة من طير
تتدحرج حولي
وسما تفصح عن طرق بيضا
فأنا العازر جئت من الموت . . . ،
ورائحة ، البارود تخضب جسمي . . .
أقيت بنات البصرة يطلعن . . .
الى الشط

وواحدة أخرى
تتنقل بين خنادقنا
في كدّيهها وطني
.. تستمكنها النار
صار غبار الأرض حشودا
صار دمي كغني
وتساقطت الأمطار (١).

ويشيد أيضا الشاعر عبد الرحيم عمر بالأم البصرية التي شكلت أولادها ولكنها
ابتسمت رغم فداحة الارزاء لتظل راية العراق عالية خفاقة :
يكاو يعاود " السياب " سيرته
ويبعث في أوان الشعر
في زمن العراق
وقصة المشق العظيمة بين نبش الارض
والبشر
فرغم فداحة الارزاء
ورغم تعدد الاعداء
تبسم في الضفاف الخضراء
وتنبئ في حقول الدم رايات من الظفر (٢)

(١) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

(٢) في البصرة ، الرأي ، ٣ / ١٠ / ١٩٨٢ ، ص ٩ .

التأكيد على الحب والانتقام :

رفع الشعراء العرب شعار الحب للبصرة ، وأكدوا على الانتقام الكبير لها ،
فبثوا المدينة شوقهم وحنينهم ، وأعلنوا أن كل نواذب الدهر لن تفصل بينها وبينهم
ما دام في العروق دم عربي أصيل يرفض الظلم والهوان .

لقد تفتى الشعراء كثيرا بانتقامهم لمدينة البصرة ، فكانت بمثابة الأم التي
عشقها أبناءها وحفروا اسمها في شرايينهم ، حملوها في رموش عيونهم فكبرت وزهت
وتسامى نخلها عاليا .

الشاعر علي الأماره يعلن عن حبه وعشقه للبصرة ، ويؤكد أن وجهها يرافقه
أينما نزل خطوه وأنه يحمل ترابها برموش عينيه لأنها الحب الذي حلم به منذ
الطفولة :

يا بصرة الحب يبقى الحب والألق	أبقى أغنيك حتى ينفذ الرمق
أبقى أغنيك مفتونا ومضطربا	حتى كاني اذا غنيت أحترق
وكل ذرة رمل فيك ترقبني	لأجلها بجدار الموت أتصق
هذا أنا حامل أرضي التي نديت	بمقلة شب فيها الهم والأرق
منذ الطفولة كان الحلم يحملني	وأستفيق على هم وأستبـق
وكنت حيث نقلت الخطو في سفر	رأيت وجهك مثل النبع ينبثق
أله بشفاف القلب أحملـه	فوق الجفون هوى عذبا وأنطلق

والشاعر في القصيدة نفسها يبين مدى معاناته وهو بعيد عنها ، ويؤكد
أنه في شوق كبير للقائها :

يا للفرام : أكل الهم أحملـه	اني بدمعي - لما شاهدته - غرق
قد آن أن تنقذ عيني من وجع	فان طيفك قد ضاقت به الحديق
ما كنت أدري كذا الاشواق تحرقني	وان أبرد ما في عشقنا الحرق

وهو يؤكد أن الفراق بينه وبين حبيبته البصرة لن يتم لا في الدنيا ولا في
الآخرة، وأن كل الشعوب سوف تتناقل حكاية الحب هذا بين البصرة وأبنائها :
يا قبله الحب عهدا اننا أبدا لا في الحياة ولا في الموت نفترق
غدا سينقل أقوام حكايتنا حتى يشكوا بما قالوا وان صدقوا (١).

وأما في شعر سعدى السند فهي وردة من شجر الجنة ، يحبها ولا يسلاها
لأنها لم تعرف الهوان والذل يوما :
أيتها البصرة :
يا وردة من شجر الجنة
أعزها مثل هوى الدوح ومثل ضحكة العراق
يا وردة من شجر الجنة
يا خصلة ما ذهبت يوما ولا احتاجت الى الحنة
لا قمر يحنو فينسيني
ولا هوى الاشعار يوما عنك يلهيني
قومي وهنيني
وبشري أهلي وأصحابي
بأن شمس الفرح الجميل تلتف على بابي
وتنثر الورد على أبواب أصحابي (٢).

ويؤكد الشاعر محفوظ داد وسليمان علي علاقة الحب القائمة بين البصرة
وبين أبنائها ، ويبين أنها محفورة في الذاكرة تطل على أبنائها كل يوم بوجه يحمل
معاني العشق والجمال معا :
اسمك الأخضر في قيثارتي أول حرف
كنت في ذاكرة الأمس انتظارا

(١) البصرة القصيدة ، البيان ، ١٩٨٥ ، ص ١٤٠ .

(٢) لماضينا نغني ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

كنت همسا عند جرف
يوقظ النور ويفشي الشرّ في مطلع صيف
أنت في ذاكرة الامل تضيئين على مرمى شراع
وعلى زفة عصفور مفتي
وتطلّين علينا من شبابيك النخيل
قمر اخضر ينثال ، وحباً مستحيل
نورس البحر ، وأطيّار التعني
وقناديل من التمر ، وفلاحين في صت السماء
يحرثون الارض
يبقى الحب فيها شاهدا والكبرياء (١) .

وبيث الشاعر عبد المحسن عقراوي البصرة شوقه وبين مدى عشقه وحبّه
لمينيتها مؤكداً أن هذا الحب لن ينحى ويزول ، ما دام اسمها قد انحفر فوق
شفاف القلب :

قضيت عمري خلف الوصل منتظرا	صبح الهوى وقلبي الشوق مستعرا
عنه أسائل من جاءوا ومن ذهبوا	أعندكم من حبيبي ويحكم خبيرا
طال الفراق وغامت ذكريات هوى	زهرا فوق شفاف القلب تنحفر
مع الشرايين يسرى عنفها لهما	به عواطفنا الهوجاء تنصهر
لي في عيونك ما لا يحتويه مدى	ولا يطيق على أمثاله الحجر
عشقت عينيك تضئني وتبعثني	حدان لي فيهما الاقار والمطر
أحب لو شيهما حباً لو اجتمعت	كل الاعاصير لم يمسخ له أثر (٢) .

كما وبيث الشاعر غزاي درع الطائي شوقه وتحياته الى كل شوارع وجسور وأسواق
وساحات البصرة ، ييشها للبحر والموج والخلي والحدائق ، الى كل دار يعيش فيها

(١) مملكة الانهار ، ص ٣٩ .

(٢) لهيب الدم ، ص ٢٩١ .

أبطال البصرة :

حيّا الله شوارعك المحبوبة أيتها البصرة
حيّا الله شناشيلك
حيّا الله جسورك
أسواقك
ساحاتك
وأزاهيرك
وافتح أمام جندنا الابواب
حيّا الله البحر
حيّا الله السمك
وحيّا الله الموج
وحيّا الله الصيادين
وحيّا الله خليج العرب
حيّا الله شوارعك المحبوبة أيتها البصرة
حيّا الله تماثيلك وحدائقك المملوءة بالناس والأشجار
حيّا الله (المعقل) و (الجمهورية) و (جنينة) و (العشار)
حيّا الله البصرة دارا دار (١) .

وهي وان ابتعد عنها فتاها فانها تظلّ في عينه وفي قلبه جزءا لا يتجزأ،
تشجيه فيها الاشعار والانغام ورفوف النخل تزهو فوق الشط :
ابتعدت عني البصرة
لكن البصرة ظلّت في العين
وفي القلب
وبقيت أغني للعشق
وأحد والأحلام

أترنم بالأوجاع
صار الحزن بساطا
وشجى اللحن وسادا أتوسده
كل مساء
أتسأل
لا أدرى ما يشجيني
شعر السياب
أم النغم البصرى ؟
أم سعة نخل ،
ما زالت تزهر فوق الشط
تعفرها الريح ببعض
تراب البصرة
آه يا بصرة
فوق جبينك ألصق وهج شفاهي
لكن ترابك يتوهج أكثر (١) .

أما الشاعرة لميعة عباس عمارة فتبعث بتحياتها وأشواقها لمدينة البصرة
وتعبر عن حبها الكبير لهذه المدينة الأم والمشط الذي عايشته فرحا وألما :
خذي من نشوتي خمرة
ومن حبي ومن مرحبي
ليزهر ألف جيـكـور
خذي كفي التي بردت
حببتك طيبة نـدـرت
ومن عهد الصبا شطره
ورشي الليل بالخضره
يـنـاغـي بالهوى بـدـره
لدفـه شتائكم مـرـه
وفنا جنح الفكـره

وانسانا تواضعه	يفوق تواضعا (جزره)
سليه الشط كم ذكر	سكبت عليه ، كم حسره
تداخل فوقه زميني	فضيع ليله فجره
على شاطيه من عمرى	بقايا مازجت عمره (١) .

ويبعث الشاعر جبار الكواز ببطاقة حب لهذه المدينة يعلن فيها أنه المتيم بحب هذه المدينة ، المعفوس فيها ، المزهو بقربها ، والرافس لكل معاني اليمدعنها :

بعدك صعب
قربك صعب
يأسرني حزن اذ أرحل عنك
أبكي بفننا
وأغني ببكا
قلبي يتعرق
تنأى روحي
اية أرض تحويك ؟
وأى سماء ؟
كنت أصارع الامي
حين تفوحين بدري
وأقبل جرحي
لحظة يوئلي هجرك
والجرح النازق في قلبي
يعرف أنني معفوس فيك
واني مزهو

والبصرة بالنسبة للشاعر حلمه الوحيد ، وقلقه الكبير ، انها الأرض التي نذر
عمره من أجلها وسهرت معه في خندقه أياما وليالي :
أى عناء أنت
وأى غناء ؟
صخرة عمرى تتداعى دونك
والليلة تعدد
وتكون الغاية بحرًا من قلق
والرشاش الساهر في كفى
والساتر
والخندق
والرفقة
كل يعلم اني أحلم فيك
أسأل عنك زوايا الخندق
والعشب
والمطر الثلجي
الريح
فمن يأخذني عندك ؟
أى عناء أنت ؟
وأى غناء ؟ (١) .

(١) جبار الكواز ، ديوان رجال من طراز خالص ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ١١١ .

الدعوة الى الصمود والثبات :

على الرغم من كل المحاولات المتكررة للنيل من البصرة وترباها العزيز فقد ظلت البصرة صخرة عاصية في وجه كل الطامعين الفزاة، صخرة تحطمت عليها كل قوى الضلال والشر، وأعادت للأذهان مواقف العز والاباء العربية . وقد امتدح الشعراء هذه البطولات الرائعة ودعوا المدينة وأهلها الى الصمود والثبات ودر كل المحاولات الفاشلة ، والتأكيد على النصر الكبير الذي ظل شعارا لكل أبناء البصرة ، حمله الكبار والصغار وأكدوا أنه نصر الله عز وجل - أولا ونصر العراقيين ثانيا .

الشاعر منذر الجبوري يريدنا أن تكون موجة من غضب ، تدك صروح كل الطامعين الذين تراودهم أنفسهم بالخسة ، وتؤكد لهم أن العراق سيظل حـراً أبدا مادام في العروق دم عربي يأبى الضيم والذل :

يا بصرة الشعر مدى موجة غضبت	فقد تعادوا بما جاءوا وما أتمروا
رويتها كل أرض فأت وأبلها	فأينع الجذب من نعاك والحجر
انني استدرت استدارت أرضنا ظفرا	فأنت ، أنت الاباء الصعب والظفر
يا بصرة الشعر هذا الشط قد هدرت	به المروءة وامتدت له النذر
يرتادنا فارسا شقت جوامحـه	مرابط الخيل ، انني امتد مقتدر
فعلني المرتني في سفح خاسرة	ان الدم الحرفي الاعاق يستعمر
وان ليلا تعادى في ضراوتـه	سينجلي عن صباح وجهه نضرا ^(١)

وأما الشاعر حميد سعيد فيدعو البصرة لمواصلة المشوار وعدم انتظار المـون ممن يدعون العروبة مؤكداً أن العون عون الله ، وأن اللجوء لغير اهل عـار وذل ومدعاة للفشل :

يا وفيقة . . . يقترحون عليك اللجوء الى مدن
لا كرامة للحب فيها

(١) الخلاصة في ما قاله المحارب ، ص ٢١٣ .

ويقترحون عليك الهزيمة

لا تعجبي

فلكل امرئ ما تعود من دهره

ولكل دم لفة

في حدود الابطال نافذة جد ضيقة

قد يطلّون منها

وتطلّين من فضة الماء

هذا الفضاء

وطن للقائد

لا موسم للبكاء . (١)

ثم يدعو الشاعر معدّ الجبوري الجندى البصري لمواصلة القتال بصمود
وثبات، ودرء كل الأخطار التي تحيط بالمدينة وأهلها مؤكداً أن كل اللصوص قد
أعدّوا العدّة للنيل من وطن الصمود والثبات :

من " نهر جاسم " تنهض الاقمار

فانهض يا مشى

خطوة أخرى

وتسقط كل أوراق التقاويم الرديئة

خطوة أخرى

ويكتمل الحصاد الأكبر

انهض يا مشى

واقطع اجازتك

اللصوص، الى حقول الورد ينسلون

هَبّ الورد ،

هَبّ الرعد ،

هبت راية اليوم العظيم
والبصرة امتدت الى كل الرايا . .
لا تنم
فلربما نثر النعاس رذاذه فوق
المدينة
يا مشنى لا تنم
فالا رص دم
والأفق دم
والورد دم . (١)

وينفس الحساس يدعو الشاعر فاروق سلّوم الابطال هناك الى النهوض للدفاع
عن تراب البصرة ، أرض الانبياء ، وأرض الشهداء ؛
يا صلاح الدين هذى أرضنا
هي حطين ،
هي البصرة ،
هي آخر العمر . .
وهذا يومنا
انها البصرة
أرض الأهل ، والنار ، وورد الياسمين
انها الجصرة
في الصدر وما بين اليدين
انها صرخة فرسان الحسين
فتقدّم

هذه الارض التي باركها الله بخطو الانبياء
وتقدم

لن يعمروا . . . وهي ارض الشهداء . (١)

ويؤكد الشاعر كاظم الحجاج هذه الدعوة من خلال عبارات يبدو فيها تأثر
الشاعر بالبطولات العربية في العصر الجاهلي :

قال لي شاعر جاهلي صديق :

حينما يبدأ القصف لا تنحن

وامنح الخوف بعض الرجولة

مثل الصعاليك

ان يقتلون

وانتظر لحظة الموت

. . . وسط العرا

لا تنم في الملاجس

ان أنها

لا تليق بنا - معشر الشعرا -

ولتقل مثلما قلت

- قبل المعات -

لهم قليلا

يلحق الهيجا حمل

لا بأس بالموت

اذا الموت . . نزل . (٢)

(١) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .

(٢) ايقاعات بصرية ، ص ٣١ .

والشعراء وهم يدعون لمواصلة الثبات والصمود انما يؤكّدون أن النصر
مرهون بمساعدة الله تبارك وتعالى وبقدرة أبناء البصرة .

فالشاعر طالب عباس يؤكّد في إحدى قصائده على ايمان البصريين بالقدرة
الالهية الفائقة، ويبيّن أن كل الأهل هناك يدركون قيمة الاستبسال طلباً للشهادة؛
قبل يوم

حينما انساب الى سمعي صوت الناطق
(عاود الباغون صباحاً

قصفهم للعدن التالية: البصرة، خورمال، ملحجة)
انتفضت في الدماء

فسألت البعض من عاد للتوّ

تري ما حال أحلى الصامدات؟

قال لي (جوهر) لا بأس لأن الله يحمي من يشاء

والذي يهني العلى لا بدّ أن يسلك درب الشهادة . (١)

ثم يؤكّد مجبل المالكي أن البصرة تتّحد وتعلو وتتسامى ويطلع فجرها باسم
الله أولاً ودم الأبطال ثانياً :

البصرة توغل حدّ النزف - تشدّ صفوف عساكرها

وتحطّ بأعلام كواكبها فوق ذرى الغاب

باسم الله وباسم الوهج المورق بين دماء الأصحاب

يصعد فجر يطلع من أهدأ الموج . (٢)

ويؤكّد هذا المعنى أيضاً الشاعر منذر الجبوري الذي يقرّ أن نصر البصرة
هو نصر من الله عزّ وجل :

(١) طالب عباس، ديوان في البصرة يحتفل بالشهداء ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١٩ .

(٢) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ٣٤٣ .

ما بين الله وما بين الانسان
يقترب الصوت
يرتل آيات القرآن
ينتصر الله
لأبناء الله
وينهزم العدوان
ينفض في الاقاق " محمد "
يمتلو سورة الفتح
يطعن كل الشهاد
يرسم ما بين الوجه
وين الوجه
أكف الابناء الاتين
وذكرى الاباء . (١)

ثم يعلن الشاعر كاظم الحجاج أن البصرة ستظل منتصرة مادامت يد الله معها :
بالأس حلت بأن البصرة قد
ماتت

فهلعت ، ولم أكمل حلمي
أفزعت معي بعض العشاق
رحنا نتحسس جدران العشار
نقيس النبض
خفنا أن تصدق هذى الرؤيا
لكن

أبصرنا كف الله تدلك قلب البصرة
من شرفته فوق الأرض . (٢)

(١) الخلاصة في ما قاله المحارب ، ص ١٣٧ .
(٢) العريد السابع / احتفالية الشعر العربي ، ص ٣٩ .

وهو في قصيدة أخرى يؤمن إيماناً كبيراً بأن التكوين العظيم للبصرة والتميز
عن غيره جمالا وحسنا قد تم بإرادة الله عز وجل وملائكته :

ثانية . . .

تصاعدت أبخرة " التكوين "

فوق أرضنا وأمطرت

فانشقت البحار والمواني

وأذن الرب بأن يكون ماؤها

- فكان -

عذبا

وقال : كن : -

فكانت النخل

ثم قال : كن ! فانبثق الانسان

من تحت كل نخلة

وانهمر الرطب

وأذن الرب فجاءت الملائكة

وقال : أبصروا مدبنتي

فأبصروا مدينة الرب التي تحرسها الأنهار

وعشرة من الملائكة . (١)

الشهادة

ظلّ الشهيد كبيراً في نفوس كل الشعراء، عزيزاً مهيب المكانة، فهو الفارس
المعاشق لتراب البصرة المدافع عن شطّها ونخلها والمجدّد لتراث أبنائها الفايبر.

وقد أعلن الشعراء في أكثر من قصيدة أن الشهيد سيظلّ حياً في النفوس،
يفرح بانتصارات البصرة المجيدة ويأسى لكل غيبة سوداء تغطّي سما المدينة، وسيكون
قدوة ومثلاً يحتذى عند كل الشعوب المؤمنة بحتمية النضال والنصر.

لقد أكد أكثر من شاعر الدور الكبير الذي لعبه الشهيد في الدفاع والذود
عن حمى البصرة، فالشاعر جلال الحنفي يفخر بمواقف شهداء البصرة، ويؤكد أنهم
الدرع الواقى لهذا الثغر الكبير ونخله العظيم:

دما قد أرقّت من أجل ثغر العراق

فأكرم به على ترابه من مراق

فسقت الفزاة للنحر سوق النياق

وأسقيتهم هواناً بكأس دهساق

وصلت النخيل عمّاتنا والسواقى

فأنت الشهيد ذو السبق عند السباق

وبالفخر يوم حشرك لله لاق

ألا قد ضربت ضرباً يقدّ التراخي

فكان القضاء ضرك أهل الشقاق

فما للأسير منهم من الأسر واق

ولا للديغان مضمّ السيف واق

من الذعر صار بدر يرى في المحاق

لدى أن أجمعت عيون وغارت مآق . (١)

(١) جلال الحنفي، ديوان صدام وقادسية صدام، بغداد، ١٩٨٣، ص ١١١.

ثم يؤكد الشاعر عبد العطلب محمود أن شهيد البصرة حيّ في نفوس كل
العرب، يقوم من قبره ويحيى الشعراء ويبارك لقاءهم العربي هناك :
تفتح كزهرة

وادن مسافة ما بيننا
قرب السيد المتخندق في شرق ميسان
والسيد المتألق في البصرة الطافرة
هنا . . .

ههنا . . .
حيث قام الشهيد من المستحيل
وطاف بأجنحة مثل سعف النخيل
ورش على أوجه الشعراء
ما ورد يباركهم . (١) .

ويعبر الشاعر رعد عبد القادر عن استقبال شهيد البصرة بكلمات تظهر فيها
الروح المعنوية العالية التي يتمتع بها أهالي البصرة، حيث تختلط الشهادة عندهم
بالفرح، فتلتقي زفة الشهيد وزفة العريس :

سار قطار الوقت الى البصرة ، زفة عرس مرت
جثمان شهيد ملفوف بالراية ، رائحة الحناء انتشرت
زهر الآس الابيض ناح وأطفال الزفة والجثمان
كقوس قزح
بصواني الشمع يدورون ويختلطون . . الزفة والجثمان
معا . . . الدم والدمع وضحك الاطفال . (٢)

(١) لماضينا نغني ، ج ٢ ، ص ٣٤ .

(٢) لماضينا نغني ، ج ١ ، ص ٢٩٣ .

ويؤكد هذا الشعور الكبير الشاعر شكر الصالح الذي يصرّ على أن الشهداء
في البصرة هم الاموات الاحياء :

كل مساء
أفتح دقات أسرارى
فأرى فيه عراقا
يتخندق في خط النار
وأرى فيه
سمراء الحلة تقرأ أشعارى
وأرى حشد الشهداء
يجيئون زرافات هادرة
يهدون جموع العشاق أكاليل الفار . (١)

ويعبر الشاعر يوسف الصائغ عن موقف الشهداء المشرف في هذه الابيات ،
مؤكداً أنهم بحكم قوة احساسنا بضرورة البقاء موجودون ويسلكون مثلنا :

شهداء عشرة
نزلوا يوم اجازتهم
للبصرة
أربعة منهم
كانوا مدعويين
لعرس صديق في العشار
وأربعة
ذهبوا ليزوروا
أحد الجرحى
من معركة الاهوار
لم يبق سوى اثنين

الأول

راح يفتش في البصرة عن دار

في يده

باقة أزهار

والثاني

ظل وحيدا

فأدار عن البصرة وجهه

ومضى ثانية

للجبهة . (١)

أما الشاعر طالب عباس فيطلب من شهيد البصرة أن ينام مطمئن البال قريـر
العين لأن الفجرات يحمل معه بشائر النصر :

كان كل الأهل والصحبة في شوق اليك

وأنا أعرف ما الحرب ولكن

كنت أدرى من تكون

وأنا أدرك أن الليل قاس

حينما تمشق منك العيون

غير أن البصرة الفيحاء تعتب

أن شط العرب الطيب يعتب

ولذا كنت أقول :

إن هذى الحرب طالمت

ربما سوف تطول

غير أن الفجرات

يبلغ النور الذي ترقبه

يوما

(١) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ٢ + ، ص ٢٥ .

وينزاح الظلام
ولهذا
نطمئن الروح كن
نم في سلام . (١)

(١) في البصرة يحتفل الشهيد " ، ص ٢٧ .

قصيدة الداخل والخارج :

تميّزت قصيدة البصرة التي كتبت بأيدي أبنائها العراقيين عن غيرها من القصائد الاخرى التي كتبت بأيدي الشعراء العرب، ولعل ذلك عائد الى درجة التجربة والمعاناة التي عاشها شعراء البصرة ، فقلّما نجد شاعرا عراقيا لم يعيش تجربة الحرب أو يشارك فيها بشكل من الاشكال . . . أولم يكتب عنها .

لقد أتاحت الفرصة هذه للشعراء تجربة واقعية معاشة من جهة ، كما ألهمتهم التجربة الواقعية من جهة ثانية معنى المعاناة في اختيار الكلمة والدقة في الدلالة وربط ايحاء القصيدة بايقاع الواقع واشكالاته .

وقد زاد اهتمام الشعراء العراقيين بالحديث عن البصرة لأنها التجربة الاولى لهم في الحرب وفي العصر الحديث ، فمع أن الشاعر العراقي سمع وكتب عن حروب تحريرية عربية وأجنبية معاصرة نتيجة قناعات وطنية وقومية وانسانية ، إلا أنه لم يعيش جو الحرب ولا خاضها ، انها المرة الاولى التي يدخل فيها معركة فعلية .

لقد أدت هذه التجربة الى تباين واضح بين قصائد الشعراء العراقيين وغيرهم من الشعراء العرب ، ففي حين كانت القصائد العربية قصائد مناسبات تقال في معظم الاحيان في العيد الشعري ، وتركز كثيرا على البعد القومي لمدينة البصرة وتؤكد على مستقبل المدينة المشرق في ظل قيادتها الحكيمة ، كنا نجد قصائد الشعراء العراقيين أكثر عمقا وخصوصية في الحديث عن البصرة . فقد قدّم الشعراء العراقيون قصائد كثيرة للبصرة ، ركزوا من خلالها على قضايا انسانية معاصرة ، ولعل أهم ما يميز قصائد شعراء العراق عن غيرها من قصائد الشعراء العرب ما يلي :

١ . التركيز على البطل المقاتل والشهيد في البصرة ، على اعتبار أن الانسان خالق قيم البطولة عندهم .

- ٢ . ذكر أسماء المواقع المقاتلة وذلك من خلال فخرهم واعتزازهم بأرض العراق و دورها البطولي في ردع الطفافة الظالمين .
- ٣ . خلّو القصائد من أسلوب جلد الحكام والشعوب ، لا يمانهم بقدرة الجندي العراقي وقوته ، ولا يمانهم بمعون الله لهم .
- ٤ . ابتعد الشعراء العراقيون عن الخيال الرومانسي في تعاملهم مع المدينة ، وأكدوا أهمية القوة والاستعداد والحماسة من أجل القضاء على أعداء الأمة .
- ٥ . أصبح الفعل في القصيدة العراقية هو الهوية ، والانسان ليس إلا جملة أفعاله .
- ٦ . صارت قصيدة الشعراء العراقيين تتماشى مع الابد ، بحيث نشعر بأنها تقبل الامتداد والاستطالة الى ما لا نهاية . (١)
- ٧ . أصبح الشاعر العراقي أو نموذج معيارا للواقعة مثلما أصبحت الواقعة معيارا له . (٢)
- ٨ . صارت الفردية في شعرهم حاملة لمعنى التعميم ، حيث رمز الشعراء العراقيون للوطن من خلال الفرد . (٣)
- ٩ . جاءت الصورة في قصائدهم بسيطة لأنها نتاج توتر في الخلق الفني ، ذلك أن الشاعر كان يقول الشعر وهو في خندق نفسي ومعرفي ، ناهيك عن الخندق الفعلي لدى عدد من الشعراء ، فقد وقف الشعراء العراقيون في مهمة عسيرة هي مهمة التوفيق بين حدين متناقضين هما : حدّ الابداع وحدّ الخضوع الارادي لمفهوم عام مشترك يفرضه الخندق النفسي والفكري الذي وجد الشعراء أنفسهم فيه . (٤)

(١) محمد الجزائري ، منجزات قصيدة الحرب في العراق ، مهرجان المريد الشعري التاسع ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٢١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

(٤) باقر جاسم محمد ، الصورة الشعرية في شعر الحرب الفئائي ، مهرجان المريد الشعري التاسع ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٢٤ .

١ . امتازت لغة الشعراء العراقيين بالزهد والبساطة ، فلم تعد " اللعبة اللغوية " هي همّ الشاعر العراقي في زمن الحرب ، فقد أصبحت القصيدة المراقبيّة تواصل هواجسها بلغة مقتصدة جميلة مليئة بالايحاءات والبلاغة والحركة ، وأصبح الشاعر يرفض فائض الكلام ، يرفض الاختناق في حنجرة القصيدة بالكلمات المفخمة ، يرفض القول الاعتبار ويلجأ الى القول الحسم بلغة زاهدة وبلاغة بسيطة . (١)

وهكذا نرى ومن خلال تتبعنا لقصائد الشعراء المختلفة وتسجيلها لأحداث الصراع في المدن المقاتلة الثلاث أن الشعراء قد غطّوا هذا الموضوع تفطية جيّدة ، وأن قصائدهم جاءت متشابهة الى حدّ كبير في طريقة تناولها لهذا الموضوع وخاصة فيما يتعلق بمدينة القدس وميروت ، وأن الاختلاف الذي جاء في موضوعات قصيدة البصرة إنّما جاء نتيجة لاختلاف الظروف التي عاشتها هذه المدينة مقارنة بالمدينتين الأخريين .

الفصل الثالث

المضمون والشكل

في شعر المدن المقاتلة الثلاث

آن أن ندرس هذا الشعر دراسة فنية نقدية ، لنهين على وجه الاجمال ما لهذا الشعر من خصائص ومميزات في الشكل والمضمون .

يقول كولردج : " ان أى عمل فني ما هو الا تركيب خيالي للعاطفة والصورة والفكر والشكل الخارجي وكل ما يتصل بعناصر العمل الانساني ، وقيمة العمل الفني هي في اتحاد العناصر المكونة له اتحادا عضويا بحيث تتغلغل الفكرة أو العاطفة في كل جز من اجزاء العمل الانساني ، بل ان اعتماد كل جز من الاجزاء المكونة للعمل الفني اعتمادا كليا على الاجزاء الاخرى هو معيار جودة الشكل " . (١)

وقبل الغوص في هذه الدراسة لا بد من مجموعة من التساؤلات :
هل لهذا الشعر الوطني خصائص فنية تميزه عن سائر الاغراض الاخرى ؟
وهل أثرت فيه الاحداث السياسية فطبعته بطابع خاص ؟ ثم ما أهم هذه الخصائص والمميزات ؟

والحقيقة التي لا شك فيها هي أن هناك ظواهر فنية تداخلت تداخلا تاما في سائر صروب الشعر العربي الحديث ، بحيث يصعب فصل بعضها عن بعض ، ومن العسير اعتبارها مميزات لغرض دون فرض آخر وذلك لأن أصحاب هذا الشعر لم يقصروا شاعريتهم على فرضنا هذا فحسب ، وانما كانت لهم جولات في أكثر فنون الشعر المعروفة .

ومع ذلك ، فلهذا اللون من الشعر ، مثل أى لون آخر ، خصائص النوعية ، وان كان - بلا شك - يشارك الالوان الاخرى في الصفات العامة .

وقبل أن نتقدم في البحث للكشف عن أهم خصائص هذا الشعر ، الذي أبرزت قسامته الاحداث السياسية ذاتها ، يجدر أن نشير الى أن أكثر هؤلاء الشعراء الذين درسنا قصائدهم يتفقون الى حد كبير في الموضوعات ، كما يتفقون في الالوان الفنية .

وحتى تكون الصورة واضحة في هذه الدراسة ، فقد جعلت دراستي للمضمون قائمة على اظهار أهم خصائص هذا الشعر ، والدور الوظيفي له وأهم الاهتمامات البارزة فيه .

أما في الشكل فقد درست اللغة والموسيقى الشعرية (الوزن والقافية) ، ثم وقفت وقفة طويلة عند الصورة والرمز ، وتناولت بعد ذلك بعض الظواهر الفنية الاخرى كال تكرار والتعبير المباشر وهبوط المستوى الشعري ، وقد حاولت في دراستي لبعض هذه القضايا أن أبتعد عن الاستشهاد وذلك حتى لا أقع في مازق التكرار الملل .

خصائص شعر المدن المقاتلة :

١. الرضى :

لقد ظهر جلياً في شعر المدن المقاتلة أن الشعراء يرفضون الهزيمة والقهر والتسليم، ويؤكدون على العزة والكرامة والمنعة من خلال الدعوة الى مواصلة التحدى والقتال ورفض كل الشعارات الزائفة، فمن الرضى تولد العاصفة ويتفجر الاعصار الذى يقتلع كل جذور الحقد والنفاق من الارض العربية. لقد رفع شعراء المدن المقاتلة شعار الثورة والقصاص من الاعداء فجاءت قصائدهم حية ناهضة بكل معاني القوة والشجاعة والاقدام.

٢. الأمل والاصرار :

شعر المدن المقاتلة شعر لا يعرف اليأس، وانما يؤمن بأن الغد خير من اليوم ومن الأس، وأن الصبح منبثق - لا محالة - من خلال ظلمات الليل البهيم. لقد أكد الشعراء العرب على النصر والشموع وتحقيق ارادة العرب والعمل على خلق جيل واع يعيد للأمة هيبتها ويحقق للشعوب العربية الامان والاستقرار، وظلوا متفائلين رغم كل ما حاق بهم وهأنتهم من غدر واستفزاز، مؤكدين أن الفجر قريب، وأن بشائر النصر لا بد أن تلوح للأمة من جديد. وقد ظلت هذه الظاهرة ملازمة لمعظم شعراء المدن المقاتلة في قصائدهم، باعثة على التفاؤل ومشعرة باعادة التاريخ العربي الزاهر من جديد.

٣. الروح الانساني :

ان الشعر المقاتل شعر انساني، فيه لمسات انسانية يعبر بها من خلال تصويره لما يجرى داخل المدن الثلاث من مأسا انسانية، انه شعر غير مقنع للانسان العربي فحسب، وانما يتضمن من الروح الانساني ما يقنع الانسان في كل مكان. شعر لا يركز على بقر بطون الاعداء وصنع الاجيال، ولكنه يذكّر العالم بجرائم الاستعمار في كل مكان الى جانب اقناعه للعرب بتخاذلهم وجرائم الساسرة.

٤ . التوجه نحو الانسان باعتباره خالق قيم البطولة والجمال والذائد عن الوطن واللغة والثقافة والكرامة ، ولعل بروز هذه الظاهرة جاء قويا في معظم قصائد البصرة الوطنية ، فقد ركز الشعراء كثيرا على تجسيد البطولة والابطال ، فأكثرُوا من ذكر أسماء المقاتلين وأشادوا بهم ، ثم أفردوا قصائد خاصة للحدث عن الشهداء ، فمجّدوا بطولاتهم واعتبروهم المثل الأعلى بالنسبة للأمة .

٥ . النزعة الدينية :

وقد جاءت هذه الظاهرة قوية نتيجة للاحوال الخاصة وأحوال العالم العربي الاسلامي التي قوت من اصرتها ، وشدت من عضدها فزّكت وأطلعت شارها ، وقد برزت هذه النزعة القوية في كل قصائد القدس وفي القليل من قصائد البصرة وبغروت .

٦ . النقد الذاتي :

كان شعراء المدن المقاتلة جريئين قادرين على النقد الذاتي في وعي وموضوعية ، فقد نقدوا الشعب لجهله وقفلته وانخداعه ، ونقدوا الزعماء والاقطاعيين المتعاونين مع الاستعمار ، ودعوا الى العمل العربي الموحد وترك السير في ركاب الدول الكبرى ومجلس الأمن . وقد ظهر هذا النقد قويا في قصائد القدس وبغروت ، قليلا في قصائد البصرة ، إذ أن ظروف البصرة كمينه مقاتلة منتصرة اختلفت كثيرا عما هي عليه في القدس وبغروت .

٧ . الايمان بأصالة الشعب العربي وقدرته على تجاوز الواقع المؤلم :
على الرغم من أن الشعراء قد أكثرُوا من تقريع الشعوب وسخروا منها ، ونعتوها بعبارات قاسية ، إلا أن الكثير منهم لم يفقد الثقة بهذا الشعب ، فقد تفنّوا بأصالته وأكدوا أن هذا الشعب سيتجاوز المحنة والواقع المرّ الذي يعيشه وذلك بوعي شهابه وإدراكه وتصميمه على التضحية وإعادة البسمة مشرقة لكل أطفال الأمة .

٨ . الاقناع والمعالجة :

استاز شعراء المدن المقاتلة بلهجة الدفاع والحدّية والدعوة ، فهو شعر يعتمد على المنطق الجدلي السياسي ، يقوم على الاقناع والمعالجة دون مساومة

أو مهارة ، شعريون من بصلاحه المواقف ، وهو كد على طرح قضايا أمتنا بأسلوب مقنع وراسخ . .

٩ . التجاوز والتخطي الدائم ؛

ان شعر المدن المقاتلة شعر يتجاوز التصوير الى التعبير ، شعر يسهم في البناء ولا يكتفي بالتصوير أو التعليق ، انه شعر التخطي الدائم المبني على الارادة والتصميم والداعي لمسحة من التعبير البناء .

١٠ . ارتفاع الصوت الشعري النسائي ؛

لقد أخذت المرأة العربية تفرض نفسها على الساحة الشعرية العربية ، ولا أول مرة يبرز هذا العدد الهائل من الاصوات النسائية من شاركن في الحديث عن قضايا وطنية محضة تخص القدس وبيروت والبصرة ، ومن أهم هذه الأصوات : عاتكة الخزرجي ، أسى طوى ، سهام عيطور ، بشرى البستاني ، حنان يموت ، سعاد عبد النبي ، سلافة العارمى ، كلثوم عرابي ، هيام الدردنجي ، سميرة الشهابتي ، عزيزة سلوم ، اللي كرنيك ، د . كافيّة رمضان .

ولعل أهم ما يميز قصائد هؤلاء الشاعرات دفقها وتجاهها الصادق مع قضايا الأمة ومناقشتها لكل الجزئيات الهامة المتعلقة بأحداث المدن الثلاث .

الدور الوظيفي لشعر المدن المقاتلة :

١ . التعريف بقضايا الامة العربية والكشف عن أعدائها في الداخل والخارج :
لقد تحدث الشعراء عن القضايا العربية حديثا طويلا ، وبينوا أن العرب أصحاب حق شرعيين ، وأن قضاياهم عادلة ومطالبهم شريفة لا ظلم فيها ولا اجحاف . وناشدوا شعوب العالم المختلفة والهيئات الدولية أخذ مثل هذه القضايا بعين الاعتبار على أساس من العدل والانسانية . كما كشفوا عن أعداء هذه الامة ، وبينوا أن العدو الحقيقي لا متنا الآن عدو (ثالوثي) رأسه الاعلى أمريكا وطرفاء الصهيونية اليهودية المتمثلة بإسرائيل والعدو الفارسي المتمثل بإيران .

٢ . توعية الشعب وتنبيهه للاخطار المحدقة به :
أسهم الشعراء العرب في توعية الشعب وتنبيهه الى مصيره الأسود والى الاخطار المحدقة به في الداخل والخارج ، فقد شعر كثير من الشعراء أن معظم نكساتنا تعود الى جهلنا بأعداء أمتنا ، وانفتاحنا العشوائي دونما تركيز ، فعابوا على الامة هذا الانفتاح وعابوا عليها انغماسها في ملذاتها وشهواتها ، وسخروا من مواقفها تجاه قضاياها ثم رسموا الطريق الصحيح لها من أجل درء هذا الخطر وتجنبه .

٣ . فضح سياسة أعداء الامة وجرائمهم :
تناول الشعراء في قصائدهم الاعمال الاجرامية والمجازر الوحشية التي قام بها الاعداؤ ضد أطفالنا وشيوخنا ونسائنا والمتمثلة بقتل البطون ، وازالة العيون وسفك دماء الابرياء ونهب ممتلكاتهم وحرق بيوتهم وغير ذلك من الاعمال الدنيئة . وقد أكد الشعراء أن مثل هذه الاعمال لن تدخل الرعب الى قلوب شعوبنا بمقدار ما تزيد من قوتهم ونقمتهم ضد الاعداؤ .

٤ . التنبيه الى أثر الانقسامات الداخلية والتناحرات الطائفية في تفتيت عضد الدولة وتقويض أركانها - ويظهر هذا جليا في قصائد بيروت - فقد نبه الشعراء الى هذه القضية طويلا ، ودعوا الشعب في بيروت الى التنبيه الى النتائج السيئة لهذه

الانقسامات والتي لن يستفيد منها سوى أعداء الأمة ، وطالبوا الشعب الوقوف صفًا واحدًا في وجه كل من يحاول النيل من بيروت الأم .

• • • الدعوة إلى الوفاق والاتحاد والعمل لخدمة الوطن :

دعا جميع الشعراء الأمة العربية إلى الاتحاد وضم الجهود المبعثرة من أجل دفع الخطر المحدد للأمة من كل جهة ، وقد بين هؤلاء الشعراء أن النصر مرتبه بهذه الوحدة التي تصلح حال الأمة العربية من جديد ، ودعوا إلى أن تكون الوحدة قائمة على أسس المحبة والشجاعة والحمية ، وأن تكون السلاح الفعال المحدد لكل أعداء الأمة في الداخل والخارج .

٦ • • • الدعوة إلى الثورة وتخليد البطولات والتضحيات :

إلى جانب تأكيد الشعراء على الوحدة العربية ، دعوا إلى مواصلة الكفاح والنضال ضد أعداء الأمة ، وبينوا أن الطريق الأمثل للتحرير هو الطريق القائم على القوة والتضحية لا الاستسلام والركوع . كما أكد الشعراء على أهمية الانتفاضات الداخلية ودعوا إلى تخليد شهدائنا وتمجيد بطولاتهم .

الاهتمامات البارزة في شعر المدن المقاتلة :

١ . الاعتزاز بالقومية العربية بعناد واصرار :
تعالّت أصوات الشعراء العرب من كل قطر عربي مؤكدة أن المصاب العربي واحد وأن جرح القدس وبيروت والهبصرة هو جرح لكل عربي ، وأن نصرها هو نصر لكل عربي أيضا . كما أكدوا وقفهم النضالية مع اخوانهم العرب في كل زمان ومكان ، ودعوا الى وقفة عربية صادقة مؤكدين أن الفرد العربي هو الركيزة الاولى لبناء الغد العربي المشرق .

٢ . التأكيد على الاصاله الجذرية في الوطن :
أكد الشعراء العرب تأكيذا قويا على اصالتهم الجذرية في الوطن العربي ، وبينوا أن الارض عربية منذ فجر التاريخ ، وأن كل الادعاءات الاخرى باطلة لا أساس لها ، كما استرجعوا في قصائدهم شيئا من التاريخ ليؤكدوا أن جذورهم ضاربة في الارض ، وأن كل المواقفات المحاكة لاقتلاع هذه الجذور الراسخة هي مواقفات فاشلة ولن تستطيع النيل من أصالتنا الجذرية شيئا .

٣ . التمسك بالأرض :

لم يقف الشعراء عند الحديث عن الاصاله الجذرية في هذا الوطن ، بل تعدوا ذلك حينما أن هدفهم الاول والاخير الآن هو الحفاظ على أرضهم العربية وعلى كل بقعة مقدسة فيها ، لأن النيل من أرضهم هو نيل من كرامتهم العربية وشرفهم الغالي ، وقد نبّه الشعراء في قصائدهم كثيرا الى خطورة هذه القضية ، وبينوا أن هدف العدو الاول هو السيطرة على أكبر جزء ممكن من الارض العربية ، لأن في احتلال الارض امانة للارادة العربية ، كما دعوا الامة الى التمسك بكل شبر من الارض والقضاء على كل المخططات والنوايا العدوانية لامتلاك هذه الارض والسيطرة عليها .

٤ . الاعتزاز بالحضارة العربية على مرّ الاجيال :

ركز الشعراء كثيرا على الافتخار بحضارة هذه الامة على مرّ الاجيال ، وأكدوا أن العرب كانوا الرواد الاوائل للحضارات الاخرى ، وأن حضارتنا كانت الطريق التي

سلكتها الشعوب من أجل بناء حضاراتها المختلفة ، حيث كنا مصدر عطاء للعلوم والفنون والشرع المختلفة في كل زمان ومكان . وقد رُكِّز الشعراء كثيرا على هذه القضية من أجل التذكير بماضي الامة والتأكيد على مبدأ الاصاله الجذرية ، وتنبيه الشعوب المعرّية - على وجه الخصوص - الى تاريخها العريق لكي تستفيق من غفوتها وتعمل على اعاده اعمار امتنا السالفة .

الشكل الفني :

- اللغة :

اللغة عند الناس شأن عام من شؤون حياتهم ، فهي وسيلتهم المشتركة في التفاهم والتفكير منذ وجدوا ، لكنها في الشعر تكتسب طابعاً خاصاً ، فمهمة الشاعر أن يرتفع باللغة عن عموميتها ، ويتحول بها الى صوت شخصي ، أن ينظمها من خلال رؤيته وموهبته في أغنى الاشكال تأثيراً ، مستشراً دالاتها وأصواتها وعلاقات بنائها وإيقاعها على نحو فريد ، وعليه فيقدر ما يتميز الشاعر في خلق لغته يتجلى ابداعه ، فاللغة بهذا المعنى تكاد تولد جوهر الشعر .

ولما كانت مهمة الارتقاء بلغة الشعر منوطة بالشاعر وموهبته ، ولما كانت اللغة جوهر الشعر والوعاء الذي تصب فيه كل عناصر العمل الادبي ، فقد كان لشعراء المدن المقاتلة دور بارز في تحديد معالم لغة الشعر المقاتل . وقد تنبعت معجمهم الشعري الكبير ، واستطعت أن أقف على السمات العامة للغة القصيدة بين التقليدية والحرية ، وأن أسجل بعض المآخذ على لغة كثير من الشعراء من ظنوا أن القصيدة مجرد فكرة يمكن التعبير عنها بأية لغة كانت .

- القصيدة التقليدية :

حرص الشعراء التقليديون على سلامة اللغة ، ألا أن هذا الحرص كثيراً ما صار هو "الشعراء" الى التجبر والجمود ، ورسم الفكر واللغة بالتحفظ والجفاف ، وقد حاول الشعراء التقليديون الهبوط بلغتهم الشعرية الى متناول أفهام الجمهور ، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك ، فبقيت ألفاظهم وتراكيبهم وقواعدهم اللغوية البلاغية وقفاً على أفهام الاوساط المثقفة ثقافة عربية تقليدية .

ولعل أهم ما يميز لغة هؤلاء الشعراء في قصائدهم المقاتلة التالية :

- ١ . تميزت لغتهم بأسلوب خاص يتناسب وطبيعة الأحداث التي مربها العرب ، فقد كانت الالفاظ حادة وبباشرة مزوجة بالانفعال الصادق ذي النبرات القوية الصارمة لتنجح في استثارة الجماهير واستنفارها لمواجهة الاخطار المحيطة

بها ، كما برز فيها أسلوب الوعد والوعيد بحق أعداء الأمة ، وقد أثر ذلك على تعبير الشعراء فجاء تعبيراً مباشراً مفتقراً للصور والأخيلة الشعرية ، إلا أن تلك القصائد عوّضت غياب تلك الأخيلة بحرارة العاطفة وصدق التجربة .

٢ . أثرت الأحداث السياسية المتتالية بصورة واضحة في لغة هؤلاء الشعراء ، فلأول مرة يدخل لغة الشعراء هذا القدر من مفردات التكنولوجيا الحربية الحديثة ، والمفردات ذات الصلة بما يحصل في الحياة اليومية أو الجبهة أثناء الممارك أو في فترات الهدوء ومن هذه المفردات :

(السياسة ، الجهاد ، النضال ، الطائرات ، المدافع ، الشظايا ، الطلقات ، الدخان ، الشهيد ، المقاتل ، الرعب ، الرشاش ، الحرية ، الاستعمار ، الدم ، الرصاص ، الهنادق ، الدبابات ، الراجعات ، القذائف) .

٣ . أثرت السطحية والمباشرة في ألفاظ كثير من الشعراء بحيث وصلت في بعض الأحيان إلى مستوى التقرير الصحفي الخالي من عناصر الاحساس والانفعال والخيال .

٤ . كثرت تكرار المفردة في البيت الشعري الواحد أو في أبيات القصيدة الواحدة .

٥ . لم تخل القصائد التقليدية من وجود بعض المفردات المروحية التي أضفت على شكل القصيدة بعداً روحياً منحها الحركة والتأثير ، ولم يخل بعضها الآخر من الألفاظ العقيمة التي أفقدت القصائد حيوتها ومزقتها نسيجها العام .

٦ . ولأن الشعر التقليدي حمل ما يسمى بظاهرة الهجاء السياسي (النقد الذاتي) ، فقد كان لهذا الهجاء ألفاظه الخاصة التي أفقدت كثيراً من القصائد قيمتها الجمالية والأدبية وخاصة ما وصل منها حدّ البذاءة ، ومن هذه الألفاظ : (رخيصة ، عاهرة ، زانية ، مطية ، حنقا ، بهي ، ثدى ، خصيان ، طفل سفاح) .

وقد كان هؤلاء الشعراء قادرين على صياغة هذه التعابير بطريقة أعف وأكثر ترفقاً ، حيث أن الرقة والاشارة العابرة أكثر فائدة في الشعر من التصريح الواضح المعلن .

- ٧ . تبلورت من جراء كل من الحاجة والتقليد أنماط من الصياغات اللفوية منها استزاج أسلوبي الخبر والانشاء ، واقتران صيفهما ببعضهما بعضا في البيت الواحد كاقتران النداء بالطلب والاستفهام مثلا .
- ٨ . أكثر الشعراء التقليديون من استخدام الفعل المضارع لما في دلالة المضارع من استيعاب للمستقبل وللزمن الآتي ، وما يمكن أن توحيه هذه الاستمرارية في الزمن من تحول ، وقد وجد الشعراء في أفعال المضارع قدرة عالية على تجسيد الحركة والنمو والتفاعل العضوي بين الزمن والهيئة بشكل نام متفاعلا ، فتبدت الصورة من خلال اللفظ متعددة الجوانب واسعة الدلالة لما فيها من قدرة على الإيحاء بالاستمرار والامتداد والتحول وعدم الثبات والاستقرار على هيئة واحدة .
- ٩ . تسربت العامة الى لغة بعض القصائد بسبب ما تركته بعض التعابير الشعبية من دلالات ورموز استخدمها الشاعر للتعبير عن واقعه السياسي .

القصيدة الحرة :

إضافة لما حملته القصيدة الحرة من خصائص لافية تشابهت فيها مع القصيدة التقليدية مثل اشتغالها على مفردات التكنولوجيا الحربية الحديثة ، وكثرة ألفاظ النقد الذاتي ، وتكرار المفردة الواحدة في أكثر من بيت ، والاهتمام بالفعل المضارع والمراوحة بين الخبر والانشاء ، فقد تميزت لغة القصيدة الحرة المقاتلة أيضا بخصائص لافية أخرى أهمها :

- ١ . اصطفى شعراء هذه القصيدة لغة شعرية أسهل وأقرب تناولا وأسرع السمع فهم الجمهور ، فقد رأوا نتائجهم أن يكون أكثر شيوعا على ألسنة الناس ، ومع أن اللغة التعبيرية هي وسيلة الاداء الأولى في هذا الشعر ، فإن لفظة الخطابة والتقرير لم تختلف عنها كثيرا في مضمار العمل الفني .

- ٢ . أصبح للمفردة السياسية دلالة أكثر ارتباطا بتجربة الشاعر بعد أن نضجت تجربة الشعراء السياسيين .
- ٣ . اكتسبت المفردة الشعرية حرية الانطلاق بفعل المضامين الاجتماعية والسياسية الجديدة .
- ٤ . شاع في الكثير من نماذج القصيدة الحرة المقاتلة توالي الجمل بدون أدوات ربط لغوى تصل ما بينها ، فقد تعمّد الشعراء الاقتصاد في استعمال الروابط وأدوات العطف والاستئناف .
- ٥ . جمعت بعض القصائد بين الشعرية والنثرية الشاعرية ، ما أثر على المضمار الفني لهذه القصائد .

الموسيقى الشعرية

الوزن :

الوزن في الشعر العربي عنصر رئيس من عناصر الشعر ، وهو الذي يختص به دون النثر ، ويزيد عليه فيه ، وقد صارت المحافظة على الوزن سنة يتوارثها الشعراء جيلًا بعد جيل ، يحرصون عليها ، ولا يهفون عنها حولا .

حافظ شعراء القصيدة التقليدية (المقاتلة) على أوزان الشعر العربي ، ولم يخرجوا عنها ، وقد كان للمضمون السياسي في قصائدهم أثر في اختيار الأوزان الشعرية فقد انساقوا في الغالب - وراء البحور الطويلة لأن فيها مجالًا واسعًا لاستيعاب المعاني والأفكار التي تحتوى على المحاجة والجدل والمفاخرة واذكاء روح الثورة في الجماهير ، فهذه البحور ذات الاتساع الموسيقي هي أكثر قدرة على التعبير عن هذه الأفكار ، في حين أنهم لم يلتزموا في الفنون الأخرى مثل هذا الالتزام .

وإذا أردت التحدث عن نسبة شيوع هذه الأوزان الشعرية في قصائدهم ، فإن أول ما لاحظته أن كلاً من بحر الكامل والطويل والخفيف كان يمثل الصدارة في نظمهم ، بينما احتل البسيط والوافر المركز الثاني ثم جاءت بعد ذلك بقية الأوزان التي تذهبت بين القلة والكثرة .

أما في القصيدة الحرة (المقاتلة) ، فقد لاحظت أن معظم الشعراء قد اتجهوا نحو البحور البسيطة ، لأن استخدامهم للبحور المركبة تعترضها صعوبات جمّة ، وقد كانت أكثر البحور استخداماً في شعرهم (الرمل ، الرجز ، المتدارك ، المتقارب) .

وقد مال كثير من شعراء القصيدة التقليدية والحرة إلى التدوير في قصائدهم ، فجاء في القصيدة التقليدية على شكل اتصال بين شطري البيت واشترائهما في كلمة واحدة ، وفي القصيدة الحرة من خلال اتصال أبيات القصيدة ببعضها بعضاً ، حتى أصبحت بعض القصائد مجموعة محددة من الأبيات المفرطة في الطول ، ولم

يدرك معظم هؤلاء الشعراء طبيعة العلاقة بين التجربة الداخلية والتجربة الفنية ،
وبالتالي فقد وقعت معظم قصائدهم في حالة الانغماس بين التجربة وشكلها وهدت
كمن يلهث وراء العروض لوصول نهاية الجملة ببداية الاخرى .

أما من حيث الاخطاء العروضية ، فان قصائد شعراء المدن المقاتلة لم تخل
من هذه الاخطاء ، وأخص بالذكر قصائد الشباب منهم ، ولعل ذلك عائد في حدود
تقديرى الى ضعف اتصال هؤلاء الشعراء بالتراث القديم الذى أصبح سببا مباشرا
من أسباب هبوط المستوى الشعرى عند الكثير من الشعراء .

القافية :

احتلت مسألة العلاقة بين القوافي والمعاني مكانة خاصة في شعر الممدن
المربية المقاتلة ، فقد كان لهذا الغرض الشعرى ألفاظ ومدلولات اختصت به دون الالفاظ
الاخرى ، ذلك ان الالفاظ والمصطلحات السياسية لها دلالات شعرية خاصة نشأت
عن طبيعة شعور أفراد المجتمع ازاء الاحداث .

جاءت أكثر حروف الهجاء رويًا في شعر الممدن المقاتلة ، ولكن نسبة شيوعها
في هذا الشعر اختلفت اختلافاً بيناً ، ان بينما كانت نسبة حروف كالباء والداال والراء
واللام والميم والنون كبيرة ، فان حروفا كالالف والجيم والتاء والزاي والصاد والطاء
والفاء والكاف والواو والياء جاءت بنسب قليلة ، كما جاءت حروف مثل الهمزة والتاء
والحاء والعين والقاف والهاء بمرتبة وسطى بين هذه وتلك وحروف ندر استعمالها
كالغاء والداال والضاء والطاء والفين .

ان استعمال بعض هذه الحروف بكثرة واستعمال الاخرى بقلة ، يوحي لنا
بعلاقة هذه الحروف بمعاني هذا الغرض ، فاذا استثنينا الحروف التي جاءت نادرة
في شعرهم وهي في الاصل قليلة الشيوع في الشعر العربي فان الحروف الاخرى سواء
كثر استعمالها أو كان قد يلا ، لها دلالتها الناشئة عن التزام مثل هذه الحروف والمعاني
التي عالجها الشعراء .

فمثلا ليس من قبيل المصادفة أن تأتي الـ'ها' والـ'دال' والـ'راء' والـ'لام' والميم والنون على هذه السعة والشمول في استعمالاتهم، إذ أن كثرة استخدامهم للالفاظ التي تشير الى العروة والتوحد والدعوة الى النضال والنقد الذاتي وغيرها قد دعاهم الى استخدام هذه الحروف بكثرة، ويعنى آخر فان هذه الحروف أكثر ملائمة من غيرها لاستيعاب كثير من الالفاظ السياسية التي تصلح أواخرها أن تجيء رويًا مثل (عرب، لهب، حدود، شهيد، نشيد، صمود، أوجاد، استقلال، سجون، أحزان، أشجان، ارهاب، عقاب، خون) وغيرها من الالفاظ الأخرى.

وثمة ملاحظة أخرى في قافية شعراء المدن المقاتلة وهي أن التعابير والمفردات التي جاءت قافية لقصائدهم امتازت بسهولةها ومناسبتها للموضوع وعدم اغرابها واستفلاق معانيها، ذلك ان الشعراء أدركوا أن مفردات هذا الشعر وتعبيره هي لغة جماهيرية، ولكي تؤثر هذه القصائد في الجماهير - وما نظمت إلا من أجل ذلك - فيجب عليهم أن يتعدوا عن كل معنى مستفلق وألفاظ نابية معماه.

الرمز :

الرمز وسيلة ايحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشعراء المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبيرية لغوية، يثرى بها لفته الشعرية، ويجعلها قادرة على الايحاء بما يستعصى على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة.

وقد عرف شعراء المدن المقاتلة الرمز، واستخدموه في قصائدهم بشكل واضح فكان عوناً أساسياً للتعبير عن موضوعاتهم، خدم أفكارهم وموضوعاتهم الشعرية بشكل ملحوظ، وقد انقسم الرمز في شعرهم الى قسمين :

١. الرمز التراثي، وشمل :

أ - التراث الديني

ب - التراث التاريخي والأدبي

٢. الرمز الخاص (الذاتي) .

الرمز التراثي :

إذا كان الشاعر يستمد رموزه الشعرية أساساً من الواقع، فإنه في أحيان كثيرة يستمد عناصر هذه الرموز من التراث - بمصادره المتعددة - باعتبار هذا التراث منجم طاقات ايحائية لا ينفد له عطاء، فعناصر هذا التراث ومعطياته لها من القدرة على الايحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفد، وعلى التأثير في نفوس الجماهير ووجدانهم ما ليس لأيّة معطيات أخرى يستغلها الشاعر، حيث تعيش هذه المعطيات في وجدان الناس وأعماقهم تحف بها هالة من القداسة والاكبار، لأنها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي، ومن ثم فإن الشاعر حين يتوسل الى اصال الأبعاد النفسية والشعورية لرؤيته الشعرية عبر جسور من معطيات هذا التراث، فإنه يتوسل الى ذلك بأكثر الوسائل فعالية وقدرة على التأثير والنفوذ، هذا بالإضافة الى أن استخدام الرموز التراثية يضيف على العمل الشعري عراقة وأصالة، ويمثل نوعاً من امتداد الماضي في الحاضر، وتغلغل الحاضر بجذوره

في تربة الماضي الخصبة المعطاء ، كما أنه يمنح الرؤيا الشعرية نوعا من الشمول والكلية ، حيث يجعلها تتخطى حدود الزمان والمكان ويتعانق في اطارها الماضي مع الحاضر .

نتيجة لهذا شاعت الرموز التراثية في القصيدة المقاتلة ، حيث عكف الشعراء على موروثهم يستمدون من مصادره المختلفة ، من موروث ديني ، وموروث تاريخي ، وموروث أدبي عناصر ومعطيات مختلفة من أحداث وشخصيات وإشارات ، يبنون منها رموزهم ويوحون من خلالها بأكثر أبعاد رؤيتهم الشعرية معاصرة وذاتية . (١)

التراث الديني :

كان طبيعيا أن يرتدّ شعراء المدن المقاتلة في قصائدهم الى تراثهم الديني باعتباره واحدا من مقومات شخصيتهم العربية في مواجهة أعداء الأمة ، وقد وجد هؤلاء الشعراء في الموضوعات الدينية وشخصياتها من الفنى والثراء فسي مدلولاتها الرامزة ما جعلهم يلجأون اليها باعتبارها مصدرا من مصادرهم التي يستفلونها .

لقد كثرت الشخصيات الدينية التي تناولها شعراء المدن المقاتلة والذات شعراء القدس ، حيث استحضروا شخصيات الرسل : محمد ، وعيسى ، ويوسف ، وموسى عليهم السلام في أكثر من موقع .

فالشاعرة فدوى طوقان في قصيدة (الى السيد المسيح في عيد) تستحضر السيد المسيح في عيد ، وتوجه اليه خطابا ، وتوظف قصة الكرامين الذين قتلوا الوارث الوحيد لصاحب الكرم كي يرثوا هذا الكرم ، وقد جاء ذكر قصته كمثل على لسان السيد المسيح

واذ تستحضر الشاعرة شخصية السيد المسيح ، فانها تترك لنا الوصول الى دلالتها الرمزية المعاصرة ، وتجعل مدينة القدس تصلب وكأنها تشير الى أن أولئك (١) علي عشرين الزايد ، بناء القصيدة العربية الحديثة ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ١١١ .

الذين صلبوا السيد المسيح قد أعادوا جريمتهم مرة أخرى باحتلال القدس وصلبها :
قتل الكرامون الوارث يا سيد ،
واغتصبوا الكرم
وخطاة العالم ريّس فيهم طير
الاشم
وانطلق يدّس طهر القدس
شيطانيا ملعونا يمقته حتى الشيطان . (١)

ثم يستحضر هذه الشخصية أيضا الشاعر خالد محادين ليرمز من خلالها
الى العناء والعذاب الذي يعيشه الاهل الآن في كل بقعة من بقاع القدس :
مليون مسيح مصلوب يا قدس بهابك
مليون مسيح
مليون جريح ، ما زالت خلف الاسوار خطاء . (٢)

وتكرر هذه الشخصيات في شعر كمال فوزى الشرايبي فيستحضر ثلاث شخصيات
دينية هي : موسى وعيسى ومحمد ليرمز من خلالها الى تغير الحال لمدينة القدس
والى الواقع الذي تعيشه سلالة كل نبي من الانبياء الثلاثة :
سليلاّت موسى
يجرون ذيلا على كل قبة
ويوقدن في التراب
في العشب
في الافق نيران غربة
ويهطل في القدس يهطل

(١) فدوى طوقان ، ديوان فدوى ، بيروت ، ١٩٢٨ ، ص ٤٩٩ .

(٢) صلوات للفجر الطالع ، ص ٢٣ .

ثلج حزين مرقد

وينهب عيسى

ويكي محمد . (١)

وتدخل شخصية الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في شعر موسى
شعيب كرمز لضياح الدين والايمان والبهائم وحلول الاثم والرجس والكفر في ربوع
الاقصى :

" محمد مات "

أبا بكر فهل تسمع

ويا عمر هل عندك مقلة تدمع ؟

" محمد مات "

لكن ره هيهات أن يصرع

" محمد مات "

وأسراب الجراد أتت تسد منافذ الشمس

ترود منافذ الاقصى

تعري خضرة الزيتون في القدس . (٢)

ثم تدخل شخصية الرسول الكريم محمد وصحابته الاكرمون مرة أخرى في
أبيات من قصيدة للشاعر حسن الهزيمى كرمز لضياح الدين والقوة والعدل وحلول
الظلم مكان ذلك :

أين الفتوح وخالد الصمصام

أين النبي محمد من دينه

ودم البرى على الرصاص حرام . (٣)

قتل المصلى عنوة برصاصة

(١) الحرية والبنادق ، ص ١٠٢ .

(٢) المجموعة الكاملة ، ص ٢٩١ .

(٣) القدس عار أن تضيق ربوعه ، دعوة الحق ، ١٩٨١ ، ص ٣٠٩ .

ومن شعر البصرة يتخذ الشاعر منذر الجهوري شخصية محمد رمزا للطمانينة
التي يعيشها كل الشهداء حينما يستذكرون فتوحاته العظيمة :

ما بين الله وما بين الانسان

يهتف صوت

ما بين الله وما بين الانسان

يقرب الصوت

يرتل آيات القرآن

ينتصر الله

لا بُناء الله

وينهزم العدوان

ينهض في الاقلاق " محمد "

يتلو سور الفتح

يطعن كل الشهداء . (١)

ثم تصح شخصية سيدنا يوسف في شعر أمل دنقل رمزا للضياع والتشرد
الذي يعانيه فتى القدس، ورمزا للآلام التي تعانيها المدينة الام (القدس) بضياب
ولدها الغالي ، فهي دائمة الانتظار لا يهدأ لها بال حتى يأتيها الخبر عن ابنها
المبعد :

عائدون

عائدون ، وأصفر اخوتهم (ذو العيون الحزينة)

يتقلب في الجب

أجمل اخوتهم لا يمور

وعجوز هي القدس (يشتمل الرأس شيئا)

(١) الخلاصة فيما قاله المحارب ، ص ١٣٦ .

تشم القميص . . . فتبيض أعينها بالهكا

ولا تخلع الثوب

حتى يجي لها نأ عن فتاها البعيد . (١)

التراث التاريخي :

لم يقتصر الشعراء في رموزهم التراثية على الجانب الديني ، وإنما عدوا إلى استدعاء الشخصيات والأحداث التاريخية التي كان لها دور بارز في تاريخ الأمة . لقد حرص هؤلاء الشعراء على البحث عن شخصيات عربية وإسلامية يمكن أن يجدوا فيها جانباً يمس حياتنا الحاضرة فاستطاعوا أن يمنحوا كثيراً من الشخصيات العربية القديمة أبعاداً إيجابية ومفهومات حية جديدة ، ومن هذه الشخصيات التاريخية (صلاح الدين ، خالد بن الوليد ، عمرو بن العاص ، عتبة بن غزوان ، سعد بن أبي وقاص ، المعتصم ، حاتم الطائي ، عمر بن الخطاب ، عبد الملك بن مروان ، طارق بن زياد ، الظاهر بيبرس ، موسى بن نصير ، عبد الله بن الزبير ، أسما بنت أبي بكر ، المثنى بن حارثة ، القمقاع بن عمرو) أما أشهر الأحداث التاريخية فهي : حطين ، اليرموك ، القادسية .

ولعل استحضار الشعراء لهذه الشخصيات التاريخية بجهادها وانتصاراتها إنما جاء كرمز من أجل تعميق حدة المفارقة وإبراز التناقض بين ماضٍ يتفنى به العرب وحاضر أليم يمشون فيه .

وأما استحضار أسماء المواقع الشهيرة فلأن فيها مثلاً صادقا على القوة العربية بعد وحدة الإرادة ، ولتكون هذه المواقع رمزا موحيا للمستقبل المنتظر لإرادة الأمة .

(١) أمل دنقل ، سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس ، الاقلام ، ١٤ ، ١٤٠٤ ، سنة ١٩٨٢ ،

ولعل شعراء القدس كانوا أكثر من غيرهم في استحضار هذه الشخصيات
وبالأخص شخصية القائد صلاح الدين الأيوبي محرر القدس من أيدي الصليبيين .

الشاعر علي حمدان الرياحي يستحضر في إحدى قصائده ثلاث شخصيات
تاريخية هي (عمر بن الخطاب ، صلاح الدين ، طارق بن زياد) ليرمز من خلالها
الى تغير الحال والى الاوضاع القاسية التي تعانىها الامة بعد أن عاشت حياة العز
والمجد في ظل هؤلاء القادة ،

فليت أبا حفص يرى ما بارثمه	ليعلم ما يلقي وما نال يمر بها
وقد خلعت حطين أثواب يعرب	وهانت وما لاقت من العار مختبا
فلا طارق هدّ الحدود وجازها	ولا خالد سام الصفوف وأرهبها
فوا رحمة التاريخ هانت جباهنا	ونصر صلاح الدين عنا تفريها (١).

ويرمز الشاعر أديب رفيق محمود لهذا الوضع المؤلم من خلال استحضار
شخصية صلاح الدين الذى غاب وغابت معه معالم النصر المشرق في القدس :

أواه يا مدينة السلام
أين روعة الصهيل ، كبة الخيول
تعبير الابواب في وضح النهار
هذا صلاح الدين ؟
أين سيفه ؟ أممعد ؟
يا ليتني أستله للحظة
منذا يداوى هذه الحضارة المحنطة
منذا يزيل العار ، يزجر الفـراب . (٢)

(١) رسالة الى ابي الزهراء ، الثقافة السورية ، ١٩٧٨ ، ص ١٢ .

(٢) صلوات على مذبح الحياة والموت ، ص ٢٣ .

ويستعير هذه الشخصية أيضا الشاعر محمد اسماعيل داود الذي يرمز من خلالها الى الأمل الكبير في توحيد الامة والى النصر المرتقب :

لا لن يظل الكفر في ربواتنا بالفدر في ظلم وفي تخريب
نفدا صلاح الدين يرجع شاهرا سيف القضاء مبشرا بوثوب (١)

أما الشاعر عمر صبري كتمو فيتخذ من شخصية عمر بن الخطاب رمزا لتغيير الحال، وضياح القوة والكرامة والعزة التي عاشتها الامة أيام فتوحاته :

وطني يا عمر بن الخطاب على فوهة بركان
وطني يا عمر على حافة واد
والجمرة بعد " حزيان " رما . (٢)

ويتخذ الشاعر هارون هاشم رشيد من شخصية المعتصم أيضا رمزا لتغيير الحال وضياح النخوة والشهامة العربية من أهلها :

من ذروة الجبل المكبر من هنا من غابة الزيتون من أرض الهدى
ناديت علّ الصوت يوقظ أمة نامت على ذل وكفّنها الردى
ناديت " ممتصا " ويض خيوله والجيش والشعب الكبير السيدا . (٣)

ثم تدخل شخصية حاتم الطائي في شعر الشاعر عبد الامير الورد كرمز الى العطاء العظيم الذي سيقدمه المقاتل العربي والذي يشابه عطاء حاتم الطائي :

الفجر يا مدينة الصلاة تضحيات

الفجر . . نار في يدي فدائي

سخية العطاء

كمدينة " الطائي " ان يحز أوداج الفرس

(١) أناشيد فلسطينية ، ص ٨٥ .

(٢) نداءات الى صقر قریش ، ص ٥٥ .

(٣) قصائد للقدس ، مجلة القدس الشريف ، ١٩٨٥ ، ص ٤٠ .

يوقد في الليل العيش

دليل كل رائسي . (١)

ويطرق الشاعر التونسي علي عارف شخصية عبد الملك بن مروان ليرمز من خلالها
الى الوضع العربي المؤلم، مقارنة مع عهد البنا والخير والتقدم الذي شهدته الأمة
في عهد الخلفاء الأمويين :

يا ابن مروان فهل تدري	وعظامك ذابت في القبر
ان الاحقاد أضاعوا ما	شيدت لدينك في العمر
فالمسجد خال كالقفر	يتناول فيه الفجار . (٢)

أما فيما يتعلق باستحضار أسماء المواقع التاريخية الشهيرة، فقد استحضّر
الشاعر محمد اسماعيل داود موقعة حطين ليرمز من خلالها الى المستقبل المنتظر
لافراد الأمة والقائم على أساس وحدة الإرادة العربية :

رباه ، هل حطين ترجع مرة	لنعود للأقصى الى باحاته
نحيا كراما بالفخار أعزّة	بغريننا ونعيش من خيراته . (٣)

أما في قصيدة بيروت فقد استحضر الشعراء معظم الشخصيات التي استحضرها
شعراء القدس وأضافوا اليها شخصيات جديدة (أسماء بنت أبي بكر، الظاهر بيبرس،
عبد الله بن الزبير، موسى بن نصير) .

الشاعر محمود دسوقي يطرق شخصية القائد صلاح الدين وموقعة حطين ليرمز
من خلالها الى الوضع المؤلم في هذا العصر والذي ضاعت فيه كل معاني القوة
والشجاعة :

وكان يا ما كان في حطين

وجاء فارس يطوف بالبلاد

(١) مدينة الصلاة ، الاقلام ، ١٩٦٨ ، ص ١٣ .

(٢) أبعاد ، ص ١٣٨ .

(٣) يا قدس ، ص ١١ .

معلنا اشارة الجهاد
تقابل الجيشان في حطين
وأعلن انتصارنا صلاح الدين
صلاح الدين يا حبيبتنا - ألا ترى
عاد الصليبيون من جديد
يحكمون مشرقنا بالنار والحديد . (١)

وتكثر الشخصيات التاريخية في شعر عدنان خوجة حيث يستحضر شخصيات
خالد ، وعنترة ، وقتيبة بن مسلم ، والظاهر بيهرس في قصيدة واحدة ليرمز من خلالها
الى ضعف الواقع العربي مقارنة مع عصر القوة والمنعة العربية :
أين الفتى العباسي في هذا الزمان
وقتية وابن الوليد
وخيول بيهرس المظفر
فجميعهم في خدمة السلطان (سام)
وجميعهم تزعوا عن الخيل اللجام
وجميعهم في الدرب
سادات عظام . (٢)

ويستحضر هذه الشخصيات أيضا الشاعر محمد اسماعيل داود ، ويستحضر معها
مجموعة من الوقعات المشهورة ليظهر لنا الواقع العربي المولم الآن ، وليؤكد لنا
أن النصر لا يكون إلا بالتوحد والقوة :
بيروت أين سيوف العرب مشرعة
أين المهلهل والعبسي أيهما
أين الشام ويرموك وخالد هـا
تدود عن مجد نافي السهل في الأكـم
والفصل للرمح لا للنطق والقلـم
و(القادسية) مع (سعد) وصحبهم

(١) نيرون على أبواب بيروت ، ص ٣٧ .

(٢) بيروت درة الشرق الاسيرة ، ص ١٤ .

بل أين معتصم يأتي لنجدتنا وأين حطيننا في غابر القدم
أين السالك في أوطاننا هزموا غزو التتار ونار الحرب في ضم (١)

ثم يفيد الشاعر محمد الشرنبي من شخصيات موسى بن نصير وطارق بن زياد
للتعبير عن الواقع العربي المؤلم وتغير الحال :

أين موسى بن نصير؟ أين طارق
أين من كانوا بحجم الفتح أو حجم الفياق
ما بها كل العواصم
جشت مثل التواهي على صدر الهزائم
واستراحت حول بيروت وبيروت تعاني وتقاوم . (٢)

ويستحضر الشاعر محمد صالح يوسف شخصيتي عنتره وعيلة ويصبح استحضارهما
رمزا يثرى الواقع، حيث تعتبر عيلة الأسيرة رمزا لبيروت وعنتره رمزا للمعبد المخلص
اليها :

اذكر بيروت
بأنك واحدة لشت جرحي
زرعت فيه الارز
ونامت في الظل بعين واحدة . .
والاخرى تنعطف عليّ
فأنا أعرف من يقلع من جرحي
الشوك الدامي
من يقتل فينا الحزن
وهذا الهم
ومن يحمل سيف العبسي

(١) أناشيد فلسطينية ، ص ٣٦ .

(٢) من مجامر الاحزان ، ص ٩١ .

ويحمي عبلة بنت العم

فأنا بيروت

وبيروت أنا . (١)

ثم يستحضر الشاعر نذير الحسامي شخصيتي أسماء بنت أبي بكر وعبد الله بن الزبير ليرمز من خلالهما الى موقفين هما :

أ - موقف الفداء والحق الذي مثّله بيروت (أسماء)

ب - موقف القوة والشجاعة الذي مثّله فتى بيروت (عبد الله بن الزبير) حين خاضه وغدر به الجبناء هناك :

بيروت يا قلعة الابطال هل بهم	شرفت أم هم بما أرضعتهم شرفوا ؟
(أسماء) يا مريض الابناء مكرمة	من الفداء بها يوم الوغى هتفوا
يا أم شدى (فعبد الله) يخذله	رهط مذاويد لاح الشرف انصرفوا
خلّوا حى البيت للمحتل ينزفـه	وكسبهم أنهم هانوا وما نزفوا
بيروت يا أم عبد الله مفخرة	سيل من النار فى عينيك يفتـرف
تهللى بدم الاحرار هـادرة	لانت (مكة) عبد الله والنجف (٢)

ويفيد من شخصية عبد الله بن الزبير أيضا الشاعر محمد عبد الله القواسمة الذى استحضرها ليرمز بها الى موقف القوة والشجاعة وما يقابلها من اغضاء على الذل والجبن والخيانة :

أسي

أجيء اليوم اليك

أبذك أحزاني والهموم

ماذا تنصحين

- ماذا فعل الـاهل يا ولدى ؟

(١) محمد صالح يوسف ، ديوان حبك مرهون بدمي ، ١٩٨٦ ، ص ٦٦ .

(٢) ألا تزورنا أيها الفضـب ، ص ٧٧ .

- خانوا -
- والصحاب - ٤
- سلّموا للمعد والشعاب
وفروا دون حياء
- والموقف كيف استحال
غلما ن بني صهيون
يريدون رأسي في بيروت قبيل المساء
- ولدى يا قرّة عيني
حملتك في جناح القهر
بين الفقر
وسخط الأهل
وسرت بك الليل حول النهر
وأنت تكذّ معي
والآن تسألني
كيف الموت
كيف النصر على الظلم
في بيروت أو الجبل !!
ولدى لا تخش الموت
قلبنان يعلم أنك أقوى من القهر
أقوى من الأحزان . (١)

أما في قصيدة البصرة فقد قلّ الرمز التاريخي ، حيث استحضّر بعض الشعراء
شخصيات صلاح الدين وعتبة بن فزوان والمثنى والقعقاع وسعد بن أبي وقاص وخالد
ابن الوليد في عدد قليل من القصائد ، ولعلّ ذلك عائد الى تركيز الشعراء على
الرمز الأدبي .

(١) عبد الله بن الزهير في بيروت ، ص ٣ .

الشاعر فاروق سلوم يستعير شخصية القائد صلاح الدين ليرمز بها الى قوة
المقاتل العراقي وبأسه وشجاعته :
فتقدم

يا صلاح الدين ، هذي أرضنا
هي حطين
هي البصرة
حتى آخر العمر
وهذا يومنا
انها البصرة
أرض الاهل والنار وورد الياسمين . (١)

وبغيد من الشخصية نفسها الشاعر محفوظ داود سليمان الذي رمز من خلالها
الى الامل المشرق المبني على القوة والعزم والمجد :
غدا يأتي نداء من ربي أو داس أو طارق
يفخذ الخيل ، يوقد نارها بارق
غدا يأتي صلاح الدين والرايات
ظلال المجد والاسياف والشارات
فيزهرفي الدم السرب
صدى الماضي وصوت الارض أو اشراقة اللهب . (٢)

أما الشاعر التجاني دفع السيد فيستدعي أكثر من شخصية في قصيدة واحدة
(القمعاق ، المثنى ، سعد بن أبي وقاص ، طارق بن زياد) ليرمز من خلالها الى
قوة وبأس جنود العراق الاوفياء :
نحن جيل عربي ينهض الساعة كالشمس . . ويصطاد

(١) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ٢١٠ .

(٢) ملكة الانهار ، ص ٢٠ .

الذرى

كلما يطلع منهم فارسي .. ومجوسي .. مكابر
(١) يطلع القمقاع فينا .. والمثنى .. وابن وقاص .. وخالد .

ويستحضر الشاعر معدَّ الجهورى شخصية المثنى ليرمز بها الى القوة والشجاعة
التي استازبها كل عراقي ، فكل عراقي هو المثنى :
هذا أوان البصرة
أدخل يا مثنى
ردَّ عنها ما تخلفه القنابل في يديها
والشظايا بين عينيها
مثنى وردة أخرى
صباح فاض من أقصى الشمال
ليضم آخر نخلة
نشرت صفائرها
على شط العرب. (٢)

ثم تصح شخصية عتبة بن غزوان في شعر محفوظ داود سليمان رمزا للهناء
والثبات والعزم العراقي :

من ترى علمك المجد وأضناك طويلا بالحنين
برحيل نازف الجرح على حدِّ السنين
أنت يا مشبوحة الخضرة بالنخل الحزين
لم يزل "عتبة" والجند ولن يبقى وحيد
نازفا في غربة الموت الشريد . (٣)

(١) لماضينا نغني ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

(٢) معد الجهورى ، بيت مثنى ، الاقلام ، ١٩٨٨ ، ص ٥ .

(٣) ملكة الانهار ، ص ١٣ .

لم يتوقف شعراء المدن المقاتلة عند الرمز التاريخي الايجابي بل مالوا الى استخدام الرموز التراثية التاريخية استعمالا سلبيًا، يحطم من خلاله ما يمكن أن تحمله تلك الرموز من معان مثالية ثبتت في ذهن العربي لعدة قرون، فقد أسقط شعراء المدن المقاتلة كل مآسي الأمة العربية ومشاكلها على تلك الشخصيات وبعض الاحداث التاريخية ومن هذه الشخصيات : (الحجاج ، خمارويه ، أبو رغال ، نيرون ، تيمور ، هولاكو الردة) .

ولعل تركيز الشعراء في هذا الموضوع كان منصبًا على استحضار شخصية نيرون حارق روما لما في استحضار هذه الشخصية من رمز كبير لكل المتأمرين على القدس وبيروت والبصرة .

الشاعر موسى شعيب استحضر هذه الشخصية في حديثه عن القدس كرمز لكل من خان القدس وعمل على احراق مقدساتها، وكرمز للنهاية البشعة التي سيلاقبها كل نيرون في العالم :

على أشلاء روما بعثر الضحكات يا نيرون
ذرّ غنائك المجنون
قهقهة
ان روما جعة لهب بمن فيها
ستبكي بعد يا نيرون . (١)

أما الشاعر عدنان مردم بك فقد أفاد من هذه الشخصية ضمن حديثه عن بيروت كرمز لكل قاتل وظالم باعث لمأساة بيروت :

بعثت لنا مأساة روما حية في عصر قيصرها الفتى المافوك
(نيرون) طاغية بروما وحده ولد يك من (نيرون) ألف شريك .^(٢)

(١) المجموعة الشعرية ، ص ٢٩١ .

(٢) نغمات شامية ، ص ١٩١ .

وأفاد منها أيضا الشاعر محمود دسوقي حين رزى بها الى كل الخونة والقتلة
في بيروت :

نيرون يا بيروت تفرحه دماء الأبرياء
نيرون نهر الدم يفرحه
وأشلاء الضحايا
لا بأس يا بيروت
فلينعم نيرون بالدم والدمار
لا بأس يا بيروت
لا ينفع المويل والآهات
فمهما ادلهم الخطب واشتد الظلام
سهما طفى نيرون هولاكوه وأحفاد التتار
فالفجر يا بيروت آت . (١)

والشاعر حسن القرشي :

ما آلم أن يوصم بالوحشية أرزك يا لبنان
ما أجهن أن يتعدد (نيرونو) القرن العشرين
ما أشأم أن تتناحر فيك الأديان . (٢)

ثم الشاعر هشام المرانسي :

أحقا أنها بيروت ؟
وهل " نيرون " عاد يمعن النظرا
" بروما " وهي تحترق
وهل سيموت منتحرا
كما في المرة الأولى . (٣)

-
- (١) نيرون على أبواب بيروت ، ص ٣٧ .
(٢) زخارف فوق أطلال عصر المجون ، الآداب ، ١٩٧٨ ، ص ٣٧ .
(٣) بيروت المحترقة ، الآداب ، ١٩٧٦ ، ص ٣٢ .

ولم يتوقف الشعراء عند استحضار هذه الشخصية ، بل تناولوا شخصيات أخرى كثيرة ، فالشاعر نذير الحسامي يجد في شخصية " أبورغال " رمزا لكل من خان القدس والقضية :

" أبورغال " في الخيانة مفرد	أم بعده في الدرب جا " رغال
اني أجل الدرب أن يمشي به	" لرغال " عم أو أخ أو غـال
وأخاف هاسات به وعائسا	نار الحمية فيهما مكسـال
بالأمس خان البيت من في عهده	ألا يمس البيت من نكـال
واليوم درب القدس يحمي عرضه	حام زكا في الضرب منه فـعـال
أيخون عهد القدس حامل رمحها ؟	أهجلده صل رعتـه صـلال ؟
أم ينصر الاسلام شاهر سيفه	مكفه سيف الحمى سلسـال (١)

ويستحضر الشاعر أمل دنقل في حديثه عن القدس شخصية خمارويه ليرمز بها لثراء الحكام العرب الذي ظل بعيدا عما يجري في ساحة القدس وفيها يقول :

قطر الندى يا عين
أميرة الوجهين
هودجها يخرق الصحراء
تسبقه الانبياء
أمامها الفرسان ألف ألف
وخلفها الخصيان ألف ألف
تعبير في مضارب البدو وفي نضوب الماء
عند انتصاف الصيف
تحلم بالوصول للآردن
ترخي أعنة الخيول حول مائه . . .

تفسل وجه الحزن
قطر الندى يا ليل
تسقط تحت الخيل
قطر الندى يا مصر
قطر الندى في الأسر
كان خساروه راقدا على بحيرة الزئبق
في نومة القيلولة
فمن ترى ينقذ هذه الاميرة المنفلولة
من يا ترى ينقذها
بالسيف
أوبالحيلة . (١)

أما الشاعرة سميرة شرباتي فتطرق شخصية هولاء ليرمز بها لكل من تأمر
على بيروت وهو يدعي أنه حام لها :
عاشقة القرن العشرين
هل نتركها كي تحرقنا
كي تفرقنا ببحار عيون تترية
تلك وهولاء كو أوقفها
من غفوتها
تلك وهولاء كو عانقها
في سكرتها
وأثاها بجيوش التتر
لكي يحميها من حاول
أن يزرعها بالآمال
ينور الحسب . (٢)

(١) الحداد يليق بقطر الندى ، الهلال ، ١٩٦٩ ، ص ١٤ .

(٢) قصائد تبحت عن رفيق مسافر ، ص ٨٣ .

ثم تصبح شخصية الحجاج في شعر محمد شلال رمزا لكل طاغية مرعب في
بيروت :

ثانية عاد الحجاج يهدد بر الشام
وحر الشام
ويقتنص ليلا ونهارا
كل المدن الحافية القدمين
عاد الحجاج يمارس شهوته الاولى
يفرس خنجره القاتل
في صدر العاصمة الاولى
يهحث عن عاصمة أخرى
وعشيقته الاخرى ترقد
في ظل القرآن وحدّ السيف. (١)

وتصبح أحداث الردّة في شعر عبد العزيز المقالح رمزا لكل الخارجين على بيروت :
كل صباح أخلع عيني كي لا تبصر أظفار الموت
أخلع أذني - كل مساء - كي لا تسمع أخبار الموت
أخلع نفسي من لفة المرتدين
في شمرى
أين أهاجر من زمن القتل
من زمن الاحزان - الردّة ٤٤ . (٢)

-
- (١) محمد شلال ، قصيدة مهربة الى بيروت ، البيان / الكويت ، ع ١٥٤ - ١٥٦ ، ص ١٥٦٤ .
سنة ١٣ ، ١٩٧٩ ، ص ٦٦ . ود يوان محمد شلال ، نخلة في يدي ، عمان ، ١٩٨٥ ، ص ١١ .
(٢) بيروت " الليل والرصاص وتل الزعتر " ، مجلة الكاتب ، ١٩٧٦ ، ص ١٠٥ .

التراث الأدبي :

لم يظهر الرمز الادبي الا في قصائد شعراء البصرة ، فقد اهتموا باستدعاء شخصيات أدبية عديدة رمزوا من خلالها الى واقع البصرة البطولي قديما وحديثا ، ومن أشهر هذه الشخصيات الادبية (السياب ، الجاحظ ، الحسن البصري ، جميل سمير ، قيس بن الطوح ، ابن زريق) . وقد ركز معظم الشعراء على استحضار شخصية السياب كرمز لكل أبناء البصرة الابطال وجعلوا من وفique معشوقته رمزا لمدينة البصرة الصامدة .

الشاعر شكر حاجم الصالحي قال في قصيدة بعنوان " البصرة - السياب " مستحضرا الشخصين معا ومؤكدًا على مواقف العز والبطولة :

نم يا ولدي نم
ما نامت عين السياب
وشباك وفيقته
ما هزته رياح الهم . (١)

وفيد من الشخصين أيضا في قصيدة أخرى فيقول :

وأرى بدر السياب
يحمل جثمان وفيقته
بثياب العرس
ويقاتل حتى يستشهد ثانية
لتحلق في العليا بقايا النفس . (٢)

أما الشاعر حميد سميد فقد استحضر شخصية " وفique " في أكثر من موقع في معلقة البصرة رامزا بها الى بصرة الصمود والمجيد :

-
- (١) الشهداء يطرقون الابواب ، ص ٥ .
(٢) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

يا وفيقة . . جئناك بالحب والخجل المر
فاعتذري دوننا . . واعذرينا
ربما آخرتنا وساوسنا
ربما منمتنا قباثلنا
فاسمعي ما نقول . . ولا تخرجينا
يا وفيقة . . يقترحون عليك اللجوء الى مدن
لا كرامة للحب فيها
ويقترحون عليك الهزيمة
لا تعجبي
فلكل امرئ ما تعود من دهره . (١)

ويؤكد الشاعر عبد الرحيم عمر على استحضار شخصية السياب ليرمز الى الحب
والارتباط الكبير بين الارض وأهلها :
يكاد يعاود " السياب " سيرته
فينطق بعد طول الصمت
يشدو للهوى المشبوب تحمل جمره عشتار
وبصراوية مدّت جدائلها
ببارق تلهم الفرسان في دامة الخصر
يكاد يعاود " السياب " سيرته
وينهمث في أوان الشعر
في زمن العراق
وقصة العشق العظيمة بين نهض الارض
والبشر . (٢)

(١) العهد السابع / احتفالية الشعر العربي ، ص ١٧٥ .

(٢) في البصرة ، جريدة الرأي ، ١٩٨٧ ، ص ٩ .

ويستعير الشاعر شكر الصالحى شخصيتي السياب والحسن البصرى كرمز لكل
حراس البصرة المتعلقين بكل ذرة تراب من أرضها ؛
البصرة ما زالت صامدة معها مربها الطاعون ومهما داهمها الفول
ومهما يفعل
لن يتوانى النخل ولا البردى ولا شاعر مردها يترجل
البصرة يحرسها الحسن البصرى
وتتثال السياب وعصافير المعقل . (١)

ثم تدخل شخصية ابن زريق في شعر خليل النحوى كرمز لشجاعة أبناء
البصرة وصمودهم رغم كل التحديات ؛
مالي أرى ابن زريق غير مكترث بما تكيد له الأيام والعصر
سافر يذرع الزمان - هاتمه جار السماوات مسوك بها القدر (٢) .

وتصبح شخصيتا قيس بن الطوح وجميل عمر في شعر محفوظ داود سليمان
رمزا لحب البصرة الكبير والانتماء العظيم لها ؛
اسمك الأخضر في قيثارتى أول حرف
كنت في ذاكرة الامس انتظار
كنت همسا عند حرف
يوقظ النور ويفشي السر في مطلع صيف
وأنا فيك شريد مثل قيس أو جميل
ضائع في لغة الموج وأسرار النخيل . (٣)

(١) الشهداء يطرقون الابواب ، ص ٨٩ .

(٢) لماضيها نغني ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٣) ملكة الانهار ، ص ٣٩ .

الرمز الخاص :

تردد الرمز المفرد في شعر المدن المقاتلة بشكل كبير، حيث تناولت موضوعاته العدو والثورة والنصر والمدينة والانسان، واستعار الشعراء لها رموزا مفردة للدلالة عليها، وقد تعددت طبيعة هذه الرموز فاستمدت عناصرها من مظاهر الطبيعة والحيوان والنبات والاماكن والاشياء المختلفة.

وقد ركز الشعراء كثيرا على موضوع العدو فرمزوا له بالجراح والبوم والغراب والخنزير والوحش والحيوت والفول والطاعون والسنجاب، كما رمزوا للثورة بالطوفان والبركان والقنبلة، ورمزوا للنصر بالعرس، وللمدينة بالمرأة والفأهة والانسان بالعصفور.

رمز الشعراء لأعداء الامة بالجراح كثير العدد قليل الفعل، فالشاعر موسى شبيب يربط بين الصهاينة أعداء القدس وبين الجراح الذي ملأ المدينة وجرد لها من بهائها ونضارتها :

” محمد مات ”

وأسراب الجراح أتت تسد منافذ الشمس

ترود منافذ الاقصى

تعمرى خضرة الزيتون في القدس. (١)

ويرمز الشاعر كمال فوزي الشراي للصهيونية أيضا بالجراح الذي يأكل كل أخضر ويابس، وبالسنجاب الذي يقرض كل صغيرة وكبيرة :

موطنه جرادة

تأكل حتى مهجة الحجر

موطنه سنجاب

يقرض حتى قشرة القصر

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، ص ٢٩١ .

والليل ألقى فوق منكبيه مشلح الابادة
والزمن - الفراب
ينعق في هياكل العبادة. (١)

ويركز شعراء البصرة كثيرا على الرمز للفرس أعداء الامة بالجراد أيضا ، فالشاعر
علي الحسيني يؤكد بأن هذا الجراد لم يتمكن من دخول أرض البصرة رغم كثرته ؛
لك أن تباهي
ان ارتال الجراد
لم تدخل الارضين شبرا
لك أن تباهي ان منعطف الفرات
مازال عبر القرنة الشما نهرا . (٢)

ثم يشير الشاعر حسب الشيخ جعفر الى هذا الجراد مؤكدا أن نهايته هي
التحول الى رماد :

يا بصرة الشطين لا سقط الجراد
الآ رمادا والفزاة هم الرماد
النخل يأبى والقباب الخضراء الفرات
والعشب يأبى أن يلطخ ترية الوطن الفزاة. (٣)

ويشير اليه أيضا الشاعر كاظم الحجاج مؤكدا أن كل البصريين ينتظرون زحف
هذا الجراد ليبدأ أو حصادهم له ؛
وقيل في المشار
" قد زحف الجراد "

(١) الحرية والبنادق ، ص ١٠٢ .

(٢) علي الحسيني ، ديوان آمنت بالعراق ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٣٨ .

(٣) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

فلنشرب الشاي الاخير

ونملا* الشاجور

وليأتوا

ليبتدى* الحصار . (١)

واضافة الى رمز الجراد فالعدو في شعر أدب رفيق محمود غراب شو* :

أواه يا مدينة السلام

منذا يداوى هذه الحضارة المحنطة

منذا يزيل العار، يزجر الفسار . (٢)

وفي شعر هارون هاشم رشيد يوم ينذر بالهلاك :

ناديت ضاع الصوت مني والصدى

أمين الرجال تبعثروا صاروا سدى

ناديتهم واليوم ينهل من دمي

والا خطبوط جثا علي - تمدد ا . (٣)

وفي شعر شكر حاجم الصالحي خنزير ووجد وفول :

ما بين الفاو وساحة سعد

شعب يتناسل من خاصرة الشط

فيذيق خنازير الاوغاد جحيما

لا تنساه غلاة الفرس . (٤)

(٥) البصرة مازالت صامدة مهما مر بها الطاعون ومهما داهمها الفول .

وفي شعر موسى شعيبدفول أيضا :

يا بلادي

(١) ايقاعات بصرية ، ص ٨٣ .

(٢) صلوات على مذبج الحياة والموت ، ص ٢٣ .

(٣) قصائد للقدس ، مجلة القدس الشريف ، ١٩٨٥ ، ص ٤٠ .

(٤) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ٢٨٩٠ .

(٥) الشهدا* يطرقون الابواب ، ص ٨٩ .

وليكن صدرك مستودع أحزان ونجواك ذليلة

وليامالك مع الفول طويلة

اشرعي وجهك للافق فخلف الافق شمس وطفولة. (١)

وهو وحش متعدد الاشكال والمخالب في شعر عبد المحسن عقراوى :

كل الوحوش على ايدائنا اجتمعت الذئب والشعلب المكار والنمر
يا بنت عتبة ما ناءت كواهلنا ولا ارتى خورا أهناؤك القدر. (٢)

أما البركان والطوفان والقنبلة فقد استخدمت في أكثر من موقع كرمز للقوة والثورة والانتقام من الأعداء.

الشاعر حيدر محمود يعد القدس بالبركان الملتهب الذي سيأتي على أيدي رجال لا يعرفون الخوف :

يا قدس

لا يرهبك هذا الصمت

فخلفه يلتهب البركان

في أعين الذين من أعينهم يخاف حتى الموت. (٣)

ويركز على هذا الأمل الكبير الشاعر رياض عبد الفتاح الذي يبين أن الثورة ستأتي من أحزاننا العميقة :

تعلمنا من الأحزان أن نفدى وأن نعشق

ونقي كل سوسنة

وندرأ كل غائلة

عن الزيتون والأهل

(١) موسى شبيب، قراءة لبعض الشواهد في مقبرة الشهداء، الاقلام، ع ٦ - ١٠ ،

ع ١٠ سنة ١٩٧٣/١٩٧٤، بغداد، ص ٦٨ .

(٢) لهيب الدم، ص ٣٨٨ .

(٣) يمر هذا الليل، ص ٢٧ .

نجدد بيعة الرفض

ونغرس بذرة الطوفان في الارض. (١)

ويؤكد الشاعر مجبل المالكي الذي يعد بقوة لا تنضب :

اذن قل من أين يمرون ؟

وهذي الارتال المستدة من (ساحة سعد)

حتى آخر قطرة ماء في (رأس البيشة)

طوفان لا ينضب

زمجرة وحديد يصخب . (٢)

أما الشاعر كاظم الحجاج فيحذر أعداء الأمة من الطوفان (القوة) القادم من
أرض العراق :

ثانية

سيبدأ التكوين من مد ينتي

أو يبدأ الطوفان

فلتحذروا . (٣)

ويهدد الشاعر راشد حسين أيضا الصهاينة بالقنبلة (القوة) القادمة فسي
يد كل طفل من أطفال القدس :

هذه البنت الصغيرة

ولدت في القدس

والمولود في القدس

سيضحي قنبلة

-
- (١) أميرة الاخبار ، صحيفة الرأي ، ١٩٨٨ ، ص ٩ .
(٢) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ٣٤٣ .
(٣) المرشد السابع / احتفالية الشمر العربي ، ص ٢٣٨ .

صدقوا . . . العلول في ظل القنابل
سوف يضحى قنبلة . (١)

أما الغابة فقد أصبحت رمزا لبيروت مسح القتل والنهب والسلب ؛
الشاعر عدنان الصائغ يرمز لبيروت بالغابة ولطفل بيروت البرىء بالعصفور :

فتحت قميصي
لكل العصافير
قلت . . استريح
على غصن قلبي
وغسني - كما شئت -
فالغابة الآن . . . مطفأة
والبنادق
محشوة
في انتظارك . (٢)

ويشير الى ذلك أيضا الشاعر أحمد فضل شبلول :

أجيء اليك
تفجؤني عيون بنادق الغابة
وأبعد عنك
تخطفني الوكالات الازاعمية
وأردنو منك
تحملني المحطات الهوائية
فماذا بعد يا بيروت . (٣)

(١) أنا الارض لا تحرميني المطر، ص ٧٦ .

(٢) انتظريني تحت نصب الحرية، ص ٤٧ .

(٣) أحمد فضل شبلول، كيف الحال يا بيروت، مجلة أدب ونقد، ع ٤، سنة ١، القاهرة،

١٩٨٤، ص ١٨ .

أما العرس فقد طرقة الشعراء في معظم قصائد هم كرمز للنصر العربي الكهيمر
المرتقب :

يقول الشاعر محمد أشرفي مهنثا بالعرس القادم :

قبلا تي لك يا بصرة
للشط المدسي
قبلا تي لك يا بغداد
حبي لك حب الفرح القادم
من خلف التهاب الجمر
حب العرس القادم
من بين الدمار . (١)

ويقول أيضا الشاعر جبار الكواز في حديثه عن نصر البصرة :

والبصرة
كانت تتنطق
في ثوب العرس
وتزرع عينيها فوق الافق
تমানق نخلها والشط . (٢)

أما اتخاذ المرأة رمزا للمدينة ، فقد قلّ في شعر المدن المقاتلة وان كان قد
ورد عند بعض الشعراء بشكل قليل وأشهرهم في ذلك الشاعر نزار قباني :
يقول : يا حبيبة

بعد عامين طويلين من الغربة والنفي
تذكرتك في هذا المساء
كنت مجنوننا بعينيك

(١) لماضيها نغني ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٢) جبار الكواز ، ديوان ذاكرة الخندق ذاكرة الورد ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٩٢ .

ومجنونا بأوراقنا
ومجنونا لأن الحب جاء
ولأن الشعر جاء
ليس سهلا في زمان الحرب أن يسترجع الانسان
وجه امرأة يمشقها . (١)

(١) الاعمال السياسية، ج ٢، ص ٥٩٣ .

الصورة الشعرية :

الصورة من العناصر الرئيسة التي تدخل في بناء القصيدة الشعرية ، فهي جزء ضروري من الطاقة التي تمد الشعر بالحياة ، وهي تحمل في حناياها حقائق شعرية تنأى بها عن الزخرف الادبي والزينة البلاغية وترتبط ارتباطا وثيقا بالفكرة والعاطفة .

والصورة من حيث البناء ثلاثة أقسام :

- ١ . الصورة المفردة (البسيطة) : وهي أبسط مكونات التصوير ، فيها تدرس الصورة الشعرية من حيث اشتغالها على تصوير جزئي محدد .
- ٢ . الصورة المركبة : وهي مجموعة من الصور البسيطة المؤتلفة التي تستهدف تقديم عاطفة أو فكرة على قدر من التعقيد أكبر من أن تستوعبه صورة بسيطة .
- ٣ . الصورة الكلية : وهي وحدة تلك الصور المفردة والمركبة . (١)

استخدم شعراء المدن المقاتلة الصورة الشعرية كوسيلة فنية جوهرية لنقل تجربتهم في معانها الجزئي والكلبي ، وقد أكثروا في قصائدهم من هذه الصور عبر حشد الصفات والتشبيهات والاستعارات* المختلفة ، ذلك أنهم أرادوا أن يجعلوا شعرهم خصبا غنيا يحمل أقصى درجات الحقيقة والتأثير الشعري ، وأرادوا من الصورة أن تؤدي الهزة التي هي غاية الشعر في نظرهم ، وكأنهم أحسوا أن الشعر يعيش في عصر التخصص وأنه لا بد لشعرهم أن يتخصص في مهمة ما فأرادوا أن يخصصوا مهمة الشعر بهذه الهزة التي يحدثها في النفس .

(١) صالح ابو اصبع ، الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، ١٩٧٩ ، ص ٣١ .
* أكثر شعراء المدن المقاتلة من الاستعارات ذلك ان الاستعارات من بين سائر أنواع المجاز هي أشدها دها وأعظمها قدرة على تنظيم أشياء مختلفة لا توجد بينها علاقات من قبل ، فالاستعارة هي الطريقة المثلى للاستيطان الأفكار ونقل تأثيراتها بما تخلفه من صور ورموز ، كما أنها تضع الأشياء في علاقات حية جديدة .
انظر : عدنان العوادى ، لغة الشعر الحديث في العراق ، بغداد ، ص ٢٥ .

وقد تعددت مصادر صورهم واختلفت من شاعر لآخر، كما لعبت التجربة
والعاطفة دورا كبيرا في توليد الصورة الشعرية المعبرة عن الواقع الانساني في
هذه المرحلة، فقد اشارت الواقعة السياسية وجزئياتها في قصيدتي القدس وسيروت
مشاعر الرعب والقلق والتشاؤم في نفس الشاعر، فسادت الصور القاتمة الكئيبة
وأثارت الواقعة السياسية وجزئياتها في قصيدة البصرة مشاعر الفرح والتفاؤل
والسعادة في نفس الشاعر فسادت الصور الجميلة المعبرة عن الامل والتفاؤل.

يقول كولريج : " ان الصورة مهما كانت جميلة ليست وحدها التي تميز الشاعر
الصادق ، انما تصبح الصورة برهاناً على العبقرية الصادقة عندما تولد لها عاطفة
سائدة أو مجموعة من الافكار المترابطة ولدتها عاطفة سائدة " . (١)

ورغم تطور الصورة الشعرية ، إلا أن معظم شعراء المدن المقاتلة اهتموا بمعرض
الصور الواقعية بأسلوب تقريرى مباشر بعيد عن الاليجائية ، وتركوا التأثير الشعورى
الخاص بالمتلقي قائما على أساس الوحدة العضوية في القصيدة .

تركزت معظم الصور الخاصة بمدينة القدس من خلال حديث الشعراء عن
المصانة التي تعيشها هذه المدينة كل يوم ، وقد اهتم الشعراء كثيرا بالتمهيد عن
هذا الموقف من خلال اظهار القدس في صورة امرأة عذراء طاهرة عفيفة استبيحت
قسرا دون أن تجد الرجل الفيور الذى يصونها ويرت لها كرامتها ، وقد جاءت
صورهم مباشرة شاملة لمختلف أنواع البيان من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز وغير
ذلك .

يقول الشاعر حميد سعيد مشبها القدس بامرأة سبية يضاجعها الملك
اليهودى فتحمل منه ويكون وليدها الدم المر:

(١) احمد نصيف الجناي ، ماهية الصورة الشعرية مطبقة على الشعر العراقي المعاصر

عمان مرآة مهشمة
وبينكما تحول القدس فهي على الطريق
سبية
ملك " يهودى " يقضي ليله معها
وقد لقحت
فأولدها دما مرآ
ومات صبيها العربي مقتولا
رأيت على اهابي منه لمح الله
طعم الهرتقال وعفة الصحرا
فذكرني بوجه ضاع بين تراحم الاسماء . (١)

لقد اختار الشاعر حميد سعيد موضوعا يمس المواطن من قريب ، ويثير حمية
القارئ ، فالقدس مدينة الطهر تتعلق بها قلوب المسلمين ، والفتاة العربية هي رمز
الشرف والعفة ، وأى شيء يثير المواطن ويهزها كالحدث عن فتاة عربية استباحها
كافر ، وقادها للمكره مكرهه ، وأى شيء أوقع في النفس من استفادة القدس بأبنائها
العرب وهي تستذكر صبيها العربي وتلمح في مخيلته معالم الصحرا وخيال
العروبة الذى ضاع .

وأما الشاعر محمد احمد حمد فيقدم لنا صورة وصفية مباشرة معتمدة على
التشبيه ، يصور فيها القدس بفتاة خطفها الصهاينة من حبيبها العربي الاصيل :
غفوت في ظل الرموش ذات يوم
وعندما أفقت من نومي
إذا حبيتي - مخطوفة - تلومني
وهي على ظهر جواد مستريب الخطوات

(١) حميد سعيد ، توقعات حول مستقبل المدن المهزومة ، الاقلام ، ١٤-٦-٢٤ ،
سنة ١٩٧١ ، ص ١٠ .

يخلع عنها الفارس الجبان

عليها اللوامع

يسرق ماستين من عيونها الدوامع

ثم يفرّ بالجواد للهاوية السوداء (١)

والشاعر ان يقدم هذه الصورة المفردة (البسيطة) المعززة ببعض الكنايات
انما يستفيد من خلالها بعض معالم العروبة القديمة حيث الجواد والفتى العربي
هما بعض معالم العروبة المعروفة .

ويقدم الشاعر علي اسماعيل الفوار صورة مركبة للقدس حشد لها مجموعة من
التشبيهات والاستعارات والكنايات المختلفة ، شبه فيها القدس بامرأة شريفة
محصنة ، مزق الاعداء ثوبها وخمارها وتكالبوا على صدرها ففرسوا فيه مخالهم دون
رحمة وجعلوا من نهديها شلال دم :

مَزَقَ الفزوشها والخمارا	ويك قدسي نية تتمسرى
كصراخ الرضيع ملّ الحضارا	يصرخ الكون كله في يديها
فوقه الزمجرات ذلاً وعاراً	صدرها الاسمر الشريف تلاقت
صفعات الوحوش فيه اخورارا	واحتوته الأكف حتى تراخت
بين فكين أطبقا فاستجارا	يصرخ النهد كالحمامة فيه
مثل عيسى بهجاريه الانتظارا	كل نهد على الصليب تدلّسى
خلفته المخالب الانشطارا	مرّة الرعب بالعذابات حسّتى
والجراح الضفاف صارت بهجارا . (٢)	كل شطر يمدّ شطرا دموعا

ان مثل هذا التواصل من الصور السود الذي رسمه الشاعر لم يكن يقصده ،
وانما أراد أن يثير في نفوسنا دوافع الثورة على أعداء الأمة والانتقام منهم . وتقدّم

(١) القدس ، المجلة ، ١٩٦٩ ، ص ١١٠ .

(٢) علي اسماعيل الفوار ، القناديل ، الثقافة السورية ، ع شباط - ك ١ ، ع آذار ، دمشق
١٩٧٩ ، ص ١٥ .

الشاعرة فدوى طوقان صورة مؤلمة وشيرة لحال القدس تشبه فيها القدس بالعدراء^١
السبية المنكشة تحت النعال الدموية. والشاعرة ان تستعين بمجموعة من
الاستعارات المختلفة، انما تقدم هذه الصورة بأسلوب صريح مباشر بعيد عن
الايحاء :

الاسى يهطل، ليل القدس صمت
وقتام
حظروا التجوال، لا تطرق نسي
قلب المدينة
غير دقات النعال الدموية
تحتها تنكش القدس كعدراء^٢
وعلى الساحة طائر
خرق السهم جنبه
وعلى الارض دخان وحطام. (١)

أما في شعر نزار قباني، فصورة القدس تأتي وليدة أفكار مترابطة في ذهن
الشاعر، فالقدس مدينة البتول والرسول، المدينة التي تمثل الرمز الاسمي الذي
لا ينفى أن يناله مكروه، انها طفلة بريئة أحرقت أصابعها وناذرت، فتجرعت
مرارة الخوف والحزن، والقدس متشعة بالسواد بعد أن غاب عنها من يدق فيها
أجراس الفرح والأعياد :

يا قدس . . . يا منارة الشرائع
يا طفلة جميلة محروقة الاصابع
حزينة عيناك يا مدينة البتول
يا واحة ظليلة مرّ بها الرسول
حزينة حجارة الشوارع
حزينة مآذن الجوامع

(١) فدوى طوقان، الى الوجه الذي ضاع في التيه، الآداب، ١٤-١٢، ٥٤، سنة ١٧،
بيروت، ١٩٦٩، ص ١ .

يا قدس . . يا مدينة تلتف بالسوار
من يقرع الاجراس في كنيسة القياس
صبيحة الاحار
من يحمل الالعاب للأولاد
في ليلة الميلاد . (١)

انها صورة مباشرة تثير العاطفة ، قدّمها الشاعر من خلال حشد مجموعة
من التشبيهات البليغة والاستعارات المكنية والكنائيات ، وجعلها مبنية على
أبعاد دينية كبيرة .

ولم يتوقف الشعراء عند تشبيه القدس بامرأة ، فقد عبروا عن معاناتها ومعاناة
الأهل فيها بصور مختلفة أخرى ، فالشاعر أنيس زكي حسن عبر عن معاناة الأهل هناك
من خلال صورة كلية مؤلمة لفتاتين عربيتين أقدم العدو على الفدريهن والاساءة
لكرامتهن دون أن تجد صيحاتهن أثرا لسمع أو نصير :

عربية في القدس يهتك عرضها	سفك يصول بهيتها المتهدم
هتفت لمعتصم فضاع هتافها	عبثا فلم يسمع ولم يتشيم
وعلى الطريق أخيه حبلى لها	تودي بها فخص المخاض المولم
الشوك يدميها تسير كأنها	طيف لها جرا لا يفي ' لزمزم
فكأنهم صلبوا مسيحا ثانيها	أو أنهم نصبوا الصليب لمريم
وتهاكت فوق الصخور ومزقت	صمت المتاهة صرختان لتروم
ولدتها حربا أغا لمحارب	ذخرا ليوم عاصف متجههم

وسعت على رب الشقاء كثيفة
عطش مع الساعين نحو مغيـم
وهناك عبر النهر خلف عذابها
رقص الغزاة وأمعنوا في مأثم
وتضاحكوا هزوا بها وضعفها
ضحك الخليع الفاجر المستلثم
غدروا بمنزل لا جئون تخلفوا
ما بين ثاكلة وبين ميتـم
غدر الثعالب في صفار غضنفر
أسد جريح في الجوار مقلـم (١)

لقد استطاع الشاعر في هذه الأبيات أن يقدم صورة حية مليئة بالحركة من خلال حشد مجموعة من الصور المفردة والمركبة، كوّنت لديه صورة فنية جاءت بأسلوب قصصي مباشر، كما رصد الشاعر فيها مجموعة من التشبهات المختلفة والكنائيات ختمها ببيتين من التشبيه التمثيلي شبه فيهما غدر الصهاينة بأطفال القدس الأبرياء بغدر الثعالب في صفار الأسد الجريح .

ويرسم الشاعر وصفي صادق أيضا صورة مؤلمة لواقع مدينة القدس، ولما تعانى به المقدسات والأهل هناك، حيث المدينة كتلة أضواء غارقة بالدم، الأحياء فيها أموات، وهدايا الأطفال أكلان القتل المفضوة بالدماء، كل ذلك في صورة مركبة أدخل فيها الشاعر الرمز الديني حينما استذكر حادثة الأسراء والمعراج وصلاة النبي في الأقصى، وحشد لها مجموعة من التشبهات والكنائيات المختلفة وجعل عنصر اللون (الدم) فيها عنصرا بارزا وموشرا :

توجعني جدران القلب المشروخة
والأشرار يمدّون عليك القوس
دم ابنك ملء الكأس
يرشفه أولاد الحيات العطشى
من ألفي عام يرشفه باسم الرحم الموعود
ومحمد في مسجده الأقصى المهدوم

(١) أنيس زكي حسن، يا ناديين، الأعلام، ٩٤-١٢، ١٢٤، سنة ٣، بغداد، ١٩٦٧، ص ٣٣ .

يجثو - مشقوق الثوب - على طنفسة من جلد الشهداء
يتوضأ بالدم كل مساء
تورق في عينيه دموع يسوع
وعلى شفثيه الظامئين مذاق الخل المعقود
لكن مد يئتنا اليوم
كتلة أضواء سكرى بالدم
الموتى في وطني يحتفلون بأمواتهم الاحياء
في جمعة يتمك يا أختي / رقصوا
في ليلة حزنك . . غنوا وابتهجوا
شربوا باسم الانخاب دم الحمل المذبح
سرقوا في الليل ثياب اليتام
نزعوا أكفان القتلى المخضبة بالدم
غسلوها . . جملوها للأطفال هدايا التذكار
(الموتى قتلوا الاحياء)

قبل التأبين (١) .

ثم يشير الشاعر راضي صدوق الى هذه المعاناة مؤكدا على صمود القدس
وشأتها من خلال صورة منفردة بناها على التشخيص الجميل وأكدها من خلال
الاستفهام الاستنكارى الجميل ، فهو ينكر عليها الموت لأن الموت يخافها ويسجد
خاشعا لها ، ولأن بقاءها أقوى من الاقدار :

زرعوا بذور الموت في أحشائها	أتموت؟ وهي عديدة الانصار
أتموت؟ ان الموت يسجد خاشعا	للقدس يحرسها من الاشرار
أقوى من الموت الزوأم ترايبها	وخلودها أقوى من الاقدار . (٢)

(١) وصفى صادق ، مقاطع من القداس الجنائزى في ليلة العيد ، الكاتب ع ٨٦ - ٩٠ ،

ع ٨٦ ، سنة ٨ ، ١٩٦٨ ، القاهرة ، ص ٩ .

(٢) راضي صدوق ، يا للقداسة في ظلال العار ، الاقلام ع ٥ - ٨ ، ع ٥ ، سنة ٤ ، بغداد ،

١٩٦٦ ، ص ٢٠ .

أما الشاعر محمود درويش فيرسم لنا صورة يعبر فيها عن موقف الحكومات
العربية من القدس، يشبه فيها القدس بناقة تمتطيها الحكومات العربية للوصول الى
السلطة، وهو يدين هذه الحكومات ويصفها بالتخلف والهداوة، فالقدس بالنسبة
له ليست سوى ناقة وهو لا المتاجرون بجراح أمتهم (هداوة) تمتطي هذه الناقة
الى السلطة ثم هذه المدن منابر للخطابة ومستودع للكآبة :

وما القدس والمدن الضائعة

سوى ناقة تمتطيها الهداوة

الى السلطة الجائعة

وهي أيضا زجاجة خمر يشمل الآخرون بنخبها، وهي صندوق تبغ يدخنه
الآخرون ولكن برغم هذا التآمر عليها تظل وطنه :

وما القدس إلا زجاجة خمر، وصندوق تبغ

... ولكنها وطني

من الصعب أن تمزقوا

عصير الفواكه عن كريات دمي

ولكنها دمي

من الصعب أن تجدوا فارقا واحدا

بين حقل الذرة

وبين تجاعيد كفي

ولكنها وطني

لا فوارق بين المساء الذي يسكن الذاكرة

وبين المساء الذي يسكن الكرمل . (١)

لقد ركز الشاعر محمود درويش على جانب العاطفة كثيرا، فكما يستحيل عنده
فصل الدم عما يختلط به من طعام فإن من المستحيل عزله عن الأرض التي نشأ

(١) محمود درويش، سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا، الآداب، ١٤-٦-٢٤، ١٩٧٢، ص ٢٠

وترعرع فيها ، فنصورها وكأنها جزء منه ، وهو جزء منها ، وعمد الى التشخيص حين
أورد صوراً ذات أبعاد قوى ومعبر ، فحقول الذرة المتعوجة هي بعض التجاعيد التي
تبدو في راحة يده ، وصورة المساء الذي يسكن ذاكرته هي ذاتها صورة المساء
المخيم في روح الوطن ، إنها الصورة التي تتناغم مع العواطف المشبوبة .

أما في قصائد بيروت فقد تعددت الصور الشعرية المسيرة للفكرة العامة
والشعور العام الذي ساد قصائدهم ، واختلفت التشبيهات من شاعر لآخر ، فبينما
كانت بيروت امرأة في معظم هذه القصائد ، جاءت في قصائد أخرى قطرة جائعة
وكأساً من السم ، وسحابة جنونية ، وحمامة مذعورة وغير ذلك من التشبيهات المختلفة .
وقد ركّز الشعراء كثيراً على اظهار بيروت في صورة امرأة ، وقد اختلفت هذه الصورة
من شاعر لآخر ، فبينما هي امرأة عارية مسوولة عن كل فضائحها في قصائد بعض
الشعراء ، نجد أنها امرأة طاهرة عفيفة استباحت قسراً في شعر آخرين ، وأما قاسية
تأكل من لحم بنيتها عند قسم آخر .

الشاعر عبد الخالق الركابي يقدم بيروت في صورة امرأة عارية تفتح ذراعيها
للغرباء ، ثم يستقصي الشاعر جوانب الصورة ويلاحق جزئياتها وكأنه يريد أن يوظف
الصورة لابرار غرض في نفسه ، فبيروت التي ما ردت عاشقا ولا أشاحت بوجهها عن
قريب مسوولة هي اليوم عما حلّ بها :

اكذب عقدك الموروث في

دمك الذي قد لقحته

ذكورة الغرباء

في دمك الهجين

أضعت آخر خيط ضوء

شدني لسلالة الأباء .

وبعضي الشاعر في الكشف عن جوانب الصورة وملاحقة جوانبها ، فهي (بيروت)
اليوم حامل ، ولن تنتظر حتى يجيئها المخاض ، لقد سدّ د الأعداء بنادقهم اليها
فكانت النتيجة اجهاضا ؛

قلت

حبلى لكن لم يجهضك
مخاضك الدسوى
تسعة أشهر وتجيء
لكن أجهضتك بنادق الأعداء . كان
جنينك البارود والدم . (١)

لقد جاءت صور الشاعر موحية معبرة بقدر ما في نفس الشاعر من عواطف سائدة ،
ساعد على نجاحها استناد الشاعر الى عنصرى اللون والحركة في وصف جزئياتها
وصفا دقيقا .

والشاعر نفسه يقدمها في قصيدة أخرى في صورة امرأة فانية استكملت وضع
زينتها وباتت ترقب مقدم الغريب والعشاق لممارسة فضائنها المختلفة ؛

لم تكن غير غانية أثقلت عريها
بالرتوش الصناعية . . استكملت
وضع زينتها . . أطفأت
عندما انتصف الليل مصباحها
ارتعشت شهوة

وهي ترقب مقدم عشاقها الغريباء . (٢)

(١) مرثية بيروت الدم ، الآداب ، ١٩٧٣ ، ص ٩ .

(٢) بيروت ، الآداب ، ١٩٧٥ ، ص ٤ .

ورغم أن الشاعر اعتمد على صورة مفردة (بسيطة) مبنية على التشبيه البليغ ،
الآ أنه حقق من خلالها الغرض الذي رمى إليه ، واستطاع أن يبعث في نفس القارىء
مشاعر الألم والحزن .

ويحتذى الشاعر عبد الكريم الناعم حذو غيره من الشعراء ، فيقدم صورة مؤلمة
لبيروت يحرك بها العواطف ، ويحدث من خلالها الهزة التي أرادها ، فهو يقدمها
في صورة امرأة عارية تنكرت لابنائها وتغير كل شيء فيها ، وسعى إليها الجميع
من أجل كسب عريها النسوى :

كل المكاسب من عريك النسوى ؛ حلال

وأنت اغتنام

تفرب فيك المسام

تقاطيع وجهك فيرك

حتى الكلام تشقق بعد طلاء الوجوه

تنكر حتى الذين على صدرك البدوى استفاقوا

تغير طعم الحليب ، زمان من الوجل القبلي

وكل الدروب تشع احتضارا . (١)

ويظهر تأثير العاطفة في خلق الصورة واضحا وجليا من خلال أبيات للشاعر
علي الفزاع ، يقدم فيها بيروت في صورة امرأة عارية تلاحقها كل العيون وتشتهيها ،
وهو ان يلاحق جزئيات هذه الصورة ليقدم من خلالها الصورة الكلية انما يقدمها
وقلبه يعتصر ألما وحزنا وكرها لكل الذين تخلوا عن بيروت وتركوها وحيدة القهر :

والمح بيروت في زيد الطمي عارية

والعيون تحديق في عريها باشتها

(١) عبد الكريم الناعم ، القمر العربي يشرق في زمن القهر ، الاقلام ، ٤٤ - ٥٥ - ٧٠ - ٨٠ /

٨٤ ، سنة ١٢ ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ٧٤ .

ويصرعها الموج ، تركد في القاع ، تصت كل النواعير
لكن ناعورة ماتزال تثن
وتجهش في الليل سرا . . .
أسألها : (أى تلك المرارات أنت ؟
(. . .) نحو الخليج
(. . .) نحو المحيط
وتصرخ : صبرا
فيا حادى العيين عرج على مدن النفط أو الجوع
واقر الندامى هناك سلامي
وحنّ لحاهم بدم اللواتي
افتضن ببيروت قسرا . (١)

لقد نجح الشاعر في ملاحقة جزئيات هذه الصورة ، ونجح في توظيف هذه
الصورة التشبيهية في ادانة اولئك الذين غفلوا عن بيروت وتاجروا بالام أمتهم .
ويستعير مثل هذه الصورة أيضا الشاعر محمد شلال الذي يقدمها في صورة
امراة تتخدر بالشهوة يوميا ولكنها ترفض هذا الواقع ، فتبحث عن يعيد اليها كرامتها
ويقتل فيها روح الشرير القاتل :

وبيروت امراة تتخدر بالشهوة يوميا
تتشور في حضن البحر
وتبحث عن رجل يفصل عينيها
من طين القتل . (٢)

(١) علي الفزاع ، مرثية للمحطة الثالثة ، المجلة الثقافية ، ع ١٤ ، عمان ١٩٨٣ ، ص ١٥٥ .

(٢) نخلة في يدي ، ص ١١ .

أما الشاعرة نازك العلائكة، فتعبّر عن مأساة بيروت من خلال مجموعة من الصور
المفردة المباشرة المبنية على مجموعة من التشبيهات البليغة الرائعة، تشبه فيها
بيروت بامرأة عذراء، قطعت أربا أربا دون أن تجد من يحميها من أيدي الأعداء:

لبنان قطن تنثره الريح في اكتئاب

والأرز سفن بلا شراع

وطعم سرو الذرى رحيل بلا وداع

وأين بيروت، لم أجدها

لا في كتاب الرياح، لا في دم الشعاع

وشعرها سنبل المراعبي

تبعثرت كل خصلاته في الثرى وضاع

بيروت عذراء، قطعوها

ونجعة في مزاد صهيون صار شريانها يباع، (١)

ويشبهها أيضا الشاعر فؤاد كحل في معاناتها ومأساتها بامرأة تكالب عليها
الأعداء، وسدّدوا إليها سكاكينهم، وكأس من الدم يشربه كل المتاجرين بهـ
والمعلنين لها الولاء، وهو إذ يقدم هاتين الصورتين المفردتين إنما يجعل من
التشبيه البليغ ركيزة أولى في بناء الصورة:

هيروت، بيروت ما بيننا

أوبنا

امرأة هاجمتها السكاكين

بيروت كأس من الدم

يشربها المعلنون عليها الولاء، (٢)

(١) نجمة الدم، الآداب، ١٩٧٥، ص ٢.

(٢) أتولد بيروت وجها جميلا، ص ٦٦.

ثم يقدمها الشاعر مجيب السوسي في صورة امرأة مستباحة جردتها الاعداء من
حلبسها، ثم سهروا فوق صدرها يمارسون جنون القتل والموت، ويستذكر الشاعر
في هذا الموقف كيف جاء العيد وبيروت عارية مزقة ليعبر عن عاطفة قوية في نفسه،
وليحدث الهزة في النفس فيتحقق من ذلك صدق الفكرة ومدى تأثيرها :

أين أنت يا بيروت

نمت فوق الحجارة، كل عيون البنادق

ساهرة فوق صدرك مجنونة الطلق

تحفر فيك فؤوس المجانين الى القمر

تأكلك الضاريات

اسمعي أيتها المستباحة

فالعيد قرب يحمل أثوابك الزاهيات

البسيها على ما تبقى من الجسد المتزق

ان دواء الشمس يلمك، هيّا

ولكن بيروت مسروقة . (١)

ثم يقسم الشاعر موسى شعيب على بيروت، فيقدمها في صورة أم بلا كبد، أرضعت
كل العاهرين وتناست أطفالها، وهو ان يقدم هذه الصورة انما يقدمها صورة وصفية
مباشرة قائمة على العتاب والنوم ومهنية على بعض الاستعارات اللطيفة :

مدينة الذل يا بيروت كم شهت	دمع العساكين عينا حبك النكد
بوابة العهد يا من كل أمسية	يرتاد صدرك شذاز بلا عدد
أسلمت ضرعك كل العاهرين وما	أرضعت طفلك يا أما بلا كبد . (٢)

(١) المرافىء، أيقظها الموج، ص ٢٥ .

(٢) قراءة لبعض الشواهد في مقبرة الشهيد، الاقلام، ١٩٢٣، ص ٦٨ .

ويقسو عليها أيضا الشاعر عبد الخالق الركابي، ويقدمها في صورة أم تجوع
فتأكل أبناءها، ولعل في ذلك ما يثير الألم والحزن ويحقق الغاية المقصودة من
رداء الصورة :

على أبوابك الاسمنت أرسم
وجهك المزدان بالالوان
أرسم ثديك الحجري
أرسم بطنك الخاوي
كرمل جزيرة العرب التي
سرقتم أمومتها القديمة
ناقلات النفط
أرسم وجهي العربيان . . أصرخ
آه . . يا أمّا
نجوع . . . نذوق نحن
مرارة الاثداء يا أمّا
تجوع فتأكل الابناء . (١)

لم يكتب الشعراء بتقديم بيروت على صورة امرأة مختلفة الاطوار والاشكال، فقد
أبدعوا أيضا في تقديم صور أخرى معبرة عن حجم المعاناة التي عاشتها بيروت .
فالشاعر وليد ابو بكر يقدمها من خلال مجموعة من الصور المفردة القائمة على التشبيه
الهلينغ في هيئة سحابة جنونية، وكأس سم، وقطة جائعة تأكل من لحم بنيتها وتشرب من
دمهم ولا تعرف الشبع. وهو ان يقدم هذه الصور المفردة المعززة لبعضها البعض،
انما يريد أن يصل الى صورة مركبة معبرة خير تعبير عن حال بيروت اليوم :

بيروت صارت في جنونها سحابة
تمطر في صدور الناس كأس الموت

بيروت كأس سم
نلعق كل لحظة شرابه
بيروت صارت قطة جائعة
تأكل من أبنائها الصغار
تشرب من دمائهم
لكنها لا تعرف الرواء والشبح . (١)

ويستعين بمثل هذه الصور المفردة أيضا الشاعر علي البتيري الذي يحشد
مجموعة من التشبيهات البليغة وبعض الكنايات اللطيفة ليقدّم بيروت في صورة أسيرة،
وحمامة مذعورة، ولولوثة تفقد جمالها في بطن الحوت. وقد اعتمد الشاعر اعتمادا
كثيرا على عنصرى اللون والحركة في هذه الابيات :

سألتك وما انتبه
جذبتك من ياقة القميص
قلت في حرارة مهدبة
بالله يا رحالة الدم الغريب
بيروت أين ؟
هزّلي رباط جرحه وقال :
رأيتها من قبل ألف جرح أو يزيد
رأيتها من قبل أن يبكي
على تغريبة العشق الشهيد
مشبوحة من شعرها
وحول جيدها سلاسل العظام والحديد
رأيتها حمامة مذعورة
تفوص في بحيرة حمراء من دمائها أهلها وأهلنا

رأيتها لولوة مفصولة عن خيط عقدنا الفريد
تنام أو تموت
في أعين الاطفال مرّة
ومرة في بطن حوت . (١)

ثم توثر مأساة بيروت في نفس الشاعر حسب الشيخ جعفر، وتتأجج العاطفة
في قلبه ، فيقدم صورة معبرة باعثة للألم والحزن، يتكى فيها على تشبيهات بليغة
تنساب معا لتؤلف صورة مركبة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالفكرة التي أراد التعبير عنها :
بيروت أكف تقطع عند الرسغ وتلقى في المتوسط ، أعين
أطفال لا تنصر إلا حلقة الام المشنوقة ، ساحات لا تسمع
فير خطى الموتى ، بيروت النازفة المتورمة البدوية حتى
العظم تقول : صباح الخير
لعيني طفل يصحو في تل الزعتر . (٢)

ويتألق الشاعر محمد الفيتوري وهو يقيم صورة مفردة واحدة، يشبه فيها شمس
بيروت بمرآة تحطم نصفها الاسفل وتبقى نصفها العلوي لا معاً، تلوح عليه أشباح
الفجيعة ، بينما الآخرون يقسمون الامور كما يشاؤون :
كان الفجر أصفر بارد العينين والشفيتين
كانت شمس بيروت الحزينة نصف مرآة محطم
تلوح على بقايا نصفها العلوي
أشباح الفجيعة
وهي تفرق في مقاعدها الوشيرة
والذين هناك يختبئون تحت جلودهم

(١) علي البتيري ، كان اسمها بيروت ، صحيفة الرأي ، ٨٤ / ٧ / ١٩٨٨ ، الجمعة ، عمان ،

ص ٩
(٢) حسب الشيخ جعفر ، وطن اسمه بيروت ، الآداب ، ١٤ - ١٢ - ٧٤٥ ، سنة ٢٤ ، بيروت ،

ويخبثون مرارة الضحكات

يقسمون ارث الموت

في زمن الولادة والحصار . (١)

أما في قصيدة البصرة فقد اختلفت الصورة اختلافا كبيرا عن الصورة في قصيدتي القدس وبيروت، ولعل ذلك عائد الى الظروف التي مرت بالمدن الثلاث، فبينما جاءت صورة القدس وبيروت ككعبة قاتمة معبرة عن الالم والتشاؤم، جاءت صورة البصرة مشرقة وأكثر تفاؤلا، فالبصرة عروس أو كوكب مضيء أو وردة أو لؤلؤة ثمينة أو شهاب لامع، وهذا النمط من الصور في رأيي ينسجم مع واقع البصرة والحال التي مرت بها، فهي مدينة البطولة التي ردت الاعداء دون أن ينالوا من عزتها شيئا، وتراجعوا عن حماها مقهورين مدحورين، أفلا يليق إذن أن تكون عروسا أو شهابا مضيئا، ألا ينسجم هذا مع العاطفة السائدة والجو النفسي المهيمن على الشاعر؟ بل ان هذا التناغم في رأيي ما بين الصورة والعاطفة انما يراد به أن يخدم الفكرة المراد طرحها وهي الاشارة ببطولة البصرة وصمودها، فجاءت الصورة محققة لهذه الفكرة، معبرة عنها بجلالة. وقد جاءت معظم صور شعراء البصرة بسيطة قائمة على التشبيهات المفردة المباشرة المعبرة عن الموقف خير تعبير.

الشاعر خليل النحوي يقدم البصرة في صورة عروس ساحرة، غطاؤها لهيب النار، تنتظر بصبر كبير طلعة فارسها المغوار ليكتمل الفرح، والشاعر انما يستقصي جوانب الصورة ويلاحق جزئياتها ليؤكد أن مهر هذه العروس هو دم الاحرار ويوم عرسها هو يوم الظفر والنصر الاكبر:

يا فارسا يتعلّى الناس طلعتة	يفري الدياجي وجنح الليل معتكر
أقبل فهذا أوان العرس ليلته	والبصرة الغادة الهيفاء تنتظر
أكبرت شأنك كم أصبحت فاتنة	خلابة اللحظ.. أشهد أنت أو خسر

ما السحر يا عين في عينيك ما الحور ما الشعر عذب اللحي ، يا شفر ما الأشر
عجبة أنت هل أبصرت غانية معشوقة بلهيب النار قختمسر
تقول مهري دم الا حرار أعبره سبحا ، وعروسي علو الشأن والظفر (١)

ثم يقدم الشاعر جبار الكواز صورتين مفردتين للتعبير عن نصر البصرة، يجسد
في الصورة الاولى الفجر في هيئة انسان يرتحل الى البصرة ليشاركها فرحها
هذا ، ويقدم في الثانية البصرة في صورة عروس يأتيها خبر النصر فتقوم وترتدي
ثياب عرسها وترفع رأسها عاليا لتعانق النخل والشط :

يرتحل الفجر الى البصرة فرحا

- كصايا

- كالبحر

إذا جاءت سفن الله من الفتح

والبصرة ؟

كانت تتعنتق

في ثوب العروس

وتزرع عينيها فوق الأفق

تعانق نخلها والشط . (٢)

أما الشاعر سعدى علي السند فيقدمها في صورة وردة من ورود الجنة ،
وخصلة تتسامى شاهقة ولا تعرف طريقا الى الذبول والحنة ، وهو يكرر هذا التشبيه
في القصيدة أكثر من مرة ليؤكد على الفاية التي قصد لها من وراء هذه الصورة وهي
التأكيد على الحب والانتفاء :

أيتها البصرة

يا وردة من شجر الجنة

(١) لماضينا نغني ، ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٢) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ٩٩ .

أعزها مثل هوى الدوح ومثل ضحكة العراق
يا وردة من شجر الجنة
يا خضلة ما ذهبت يوما ولا احتاجت الى الحنة
لا قمر يحنو فينسيني
ولا هوى الأشعار يوما عنك يلهيني . (١)

ويستعين أيضا الشاعر محمد أشرف بصورة مفردة مبنية على التشبيه البليغ ،
يقدم فيها البصرة في صورة شلال من الضوء ، دمر الأعداء اسمنتها وحجارتها
ولكنهم لم يدمروا كهربا أهلها :
كانت البصرة شلالا من الضوء بعيني
وأراجيح النهار
دمر العادون فيها بعض أحجار
واسمنت ، وأجر . . وما
دمروا شيئا من الكبر
على اسمنتها . . أوطينها . . أوفي الحجارة . (٢)

ثم يقدم الشاعر مجبل المالكى صورة تشمل ثلاثة من التشبيهات البليغة ،
يفنئها ببعض التشخيصات الجميلة ، ليعبّر من خلالها عن قوة البصرة وقوة أهلها ،
فهى قوس من نار ، ثغور مائها عيون ثاقبة ، وصدور عشاقها متاربس لعز البصرة :
البصرة تنهض قوسا من نار
وأباهيل الشط تهشم هام الارذال
ثغور الماء عيون ثاقبة
وصدور العشاق تظل متاربس لعز البصرة

(١) لماضينا نفني ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

والماء الطاهر

والعشب المتضوع بين روع القروبين . (١)

ثم يتكى * الشاعر شكر حاجم الصالحى على صورة مفردة واحدة ، يشبه من خلالها
البصرة باللؤلؤة الساطعة في عين الشمس :

وأرى البصرة - بسم الله عليها -

لؤلؤة ساطعة في عين الشمس . (٢)

ويتكى * على مثل هذا النوع من التشبيه ، الشاعر علي رب الذى يشبه البصرة
بالمهرة الاصيلية :

مهرة أنت واقفة والهوى مائج

الشعر يهتف : بصرة ، بصرة

النخل بصرة

والاغنيات لنا بصرة وحياة . (٣)

أما في شعر حسب الشيخ جعفر فحجارة البصرة كواكب تضي * كل راجية ،
وتنير الطريق لمقاومة الطامعين الفزاة :

تصحو الشمس على يدك وترتدى منك اثتلافا

وعلى جبينك خفق الوبة تورقنا احتراماً

حجر بأرضك كوكب في كل مقلة

أهدا يضى كل راجية أهله . (٤)

(١) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ٣٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩٠ .

(٣) لماضينا نغني ، ج ٢ ، ص ٩٣ .

(٤) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

أما نخل البصرة فقد أخذ بعدا واضحا من صور الشعراء هناك، فالشاعر
مجهل المالكي يقدم صورة تشبيهية لنخل البصرة يشبه فيها نخل البصرة الكثيف
بالمنتجع الذي يأوي إليه الرفاق مرة، والمشتجر الذي تنطلق منه رماح المقاتلين
لتستقر في قلوب أعداء الأمة المدحورين مرة أخرى . ورغم مباشرة الصورة وقليلة
جزئياتها إلا أنها جاءت معبرة عن الفكرة التي أرادها الشاعر خير تعبير :

قل لي من أين يهرون

ونخل البصرة منتجع لرفاق الساعة

مشتجر لرماح فاتكة

تتوسد أفئدة المهزومين . (١)

ثم يقدم الشاعر أبو فراس صورة أخرى لنخل البصرة ، يعبر فيها عن أثر هذا
النخل في بعث الشوق والحنين في نفوس الأحبة ، فالشوق لنخل البصرة يعيش
بين رموش عينيهِ ، يحركه النغم البصري : فيهيّج به قلبه ، ثم يسرى هذا الشوق بين
دقائق مقلته حتى تصبح العقلة وردة جميلة مغطاة بندى الصباح الجميل .

إنها الصورة المعبرة عن الحب والانتها ، خير تعبير ، حشد فيها الشاعر مجموعة
من الصور الجزئية المتلاحقة دون تعقيد وجعلها تتألف في صورة مركبة واحدة
تفسر عاطفته خير تفسير :

كانت حبة رمل عاشقة

تتلعلل بين الأهداب

وبين الجفنين

وعصاه شوق من نخل البصرة

يحملها

بين رموش العينين

ان يحركها النغم البصرى
يهيج بها الوجد
فتسرى بين دقائق مقلته
تغدو المقلّة آتت
وردة جورى غشها الصبح
فقطاها من فيض نداءه . (١)

* عيوب الصورة في شعر المدن المقاتلة :

١ . الخضوع لأغراء الصورة ومخاطره :

ان وظيفة الصورة الشعرية هي أن تكون أداة من الأدوات الفنية التي يجسّد بها الشاعر رؤيته الشعرية الخاصة، ويحدّد بها أبعادها، فهي إذن لبنة من لبنات بناء أكبر هو القصيدة، لا بدّ أن تتسق مع بقية اللبنة وتساهم معها في تنمية المسار الشعوري والنفسي والفكري في القصيدة لتصل به الى مداه، وقيمة الصور الشعرية تقاس قنياً بمدى أدائها لهذا الدور، وليس بمدى جمالها وفرابتها، فليس هناك ما هو أخطر على الصور الشعرية وعلى القصيدة كليهما من أن يهتم الشاعر بالصورة الشعرية في ذاتها، وينساق وراء أغراء جمالياتها الخاصة على حساب النسيج العام للقصيدة الذي لا تمثل الصورة المفردة أكثر من خيط من خيوطه.

لقد أغرت جماليات الصورة بعض شعراء المدن المقاتلة، فانساقوا وراءها يشكّلون الصور بلا هدف واضح ويولدون بعضها من بعض بغير انضباط، بحيث جاءت قصائدهم ركاما من الصور المكسدة التي لا يضمنها نظام، فضيغ القارىء في غمارها الخط الشعوري أو الفكري لرؤية الشاعر والذي من المفروض أن توضحه هذه الصور وتحدده، كما أن تكديس الصور هذا أدخل بوحدة القصيدة وتربط عناصرها فأفقدتها قوة التأثير.

٢ . الخطابية والمباشرة :

ان الصورة الشعرية وسيلة من وسائل الإيحاء وليس أداة تقريرية، أي أنها توحي بالمشاعر والأحاسيس والأفكار دون أن تسميها أو تصفها وصفا مباشرا، إلا أن بعض شعراء المدن المقاتلة قد أثروا فيهم الموقف المطروح وأدركوا أهمية رضا القاعدة المريضة من الجماهير، فجاءت صورهم تقريرية مباشرة تعتليها النبرة الخطابية التي اتجهت الى السمع الحواس أكثر منها الى الروح والوجدان، وقد بالغ بعض الشعراء

والملاحظ بصورة عامة ، ان الشعراء الذين درسنا قصائدهم في المـدـن
الثلاث كانوا ينظمون شعرهم على النمط الثاني ، ان قلّ فيه ما جاء مصورا الاحداث
تصويرا ايحائيا ، وانما ذهب أكثرهم الى توجيه الخطاب الى الشعب مباشرة متخذين
من الاشارة والانفعال غرضا يلهبون به عواطف الناس وشاعرهم ، فهو شعر خطابي
بالدرجة الاولى ، يتميز بكل ما يتميز به هذا النوع من الشعر ، بعد أن أدرك هؤلاء
الشعراء تلك العلاقة بين طبيعة هذه الاحداث وطبيعة الفرد العادي .

لقد أغرق الشعراء في المعاني التي كانت متداولة بين الناس ، وألفوا بينها
وأضافوا اليها قدرا من احساسهم وشاعرهم ، ثم عرضوها بهذه الصورة الجديدة
التي ظنّوها معظم الشعراء أنفع وأعظم أثرا في مشاعر الناس ، وقد تلقفها هؤلاء
بدورهم لأنهم وجدوا فيها تعبيرا أنيقا عن عواطفهم وأحاسيسهم العادية التي
لا تكلفهم التعمق في فهمها وإدراك أهدافها ومراميها .

ثم ان الشاعر بفطرته لا يكره أن يكون ذا أثر في البشر ، بل يسعى الى
احداث هذا الأثر ويحرص عليه ، ومن هنا جاءت طبيعة هذا التعايش بين الشاعر
وجمهوره ، التي تدل على العلاقة الوثيقة بين مشاعر الاثنين ، وتفهم كل منهما
للاخر .

ويجدر بنا أيضا ألا ننفل العلاقة الزمنية بين هذا الشعر ومن نظم من
أجلهم ، بمعنى أن الشعب ومنهم الشعراء قد عاشوا وسط دوامة من الاحداث
المتتالمة وكان من الواجب أن يناضل هذا الشعب للخلاص من ذلك ، وكان من
الواجب أيضا أن يسلك الشعراء زمام المبادرة ويتصدروا مثل هذه الدعوة الملحة ،
لذلك لم يكن أمام هؤلاء الشعراء إلا سبيل الدعوة الى النضال ، ولم يكن هناك ما يدعو
الى صقل المواهب وتصوير هذه الاحداث تصويرا تحليليا متعمقا ، وانما كانوا بحاجة
الى مناشدة الشعب للثورة ، أي أنهم بحاجة الى خطاب الناس مباشرة وتوجيه
شاعرهم توجيهها انيا للخلاص من العدو وأوزاره وآثامه .

ولعلنا لا نريد أن نجعل من هذا القول قاعدة تسرى على جميع الشعراء ،
وان كانت الدلائل تشير الى أن كثيرا منهم قد انضوى تحت ظلها ، ان أن غيرهم
من هم أوسع في هذه المشاعر والثقافة والوعي كانت لهم انفلاتات ووثبات شعرية
ميزتهم عن سواهم ، حيث وضعوا شعرهم في آفاق أوسع وأرحب من نقل المعاني
والافكار ان أضافوا اليها من أنفسهم الشعرى ألوانا من المواطن الجامحة
والاحاسيس المرهفة ، فكانت تعبيرا عن حالات نفسية انفعلوا بها هم أولا ، ثم
نقلوا هذا الانفعال الى تلك الجماهير التي كانت تحس نفس هذا الانفعال ،
وتشعر بالشعور ذاته ، كما حملوا قصائد هم ايحاء واضحا في الرموز واللفظة .

ولا بد من الاشارة في النهاية الى أن بعض الشعراء قد أفرطوا في الوضوح
والمباشرة فانحدرت قصائدهم ، ووصلت الى درجة تقترب من النثرية بحيث لم تعد
تخدم الجماهير ولا الفن ذاته .

التكرار :

من الظواهر الشعرية الحديثة التي بدأت في الانتشار في مطلع هذا القرن ، وان كانت جذورها التاريخية تمتد الى التراث الشعري العربي القديم . فقد برز التكرار في العصر الحديث بروزا يلفت النظر ، حتى راح الشعر المعاصر يتكى عليه اتكا^١ يبلغ أحيانا حدودا متطرفة لا تنم عن اتزان .

وقد برزت ظاهرة التكرار في شعر المدن العربية المقاتلة بشكل كبير ، وامتدت هذه الظاهرة لتشمل الشعر التقليدي والحرم^٢ معا ، وقد لاحظت أن قسما كبيرا من هذا التكرار جاء ضروريا شديدا الارتباط بالمعنى العام ، لم يتمكن الشعراء^٣ من الاستغناء عنه فاستهلك في موقعه الصحيح ، وان قسما آخر قد اتكا عليه بعض الشعراء^٤ لاعداد الجوفي القصيدة به فجاء ضارا لقصائدهم غير نافع لها ، كما لاحظت أن معظم التكرار في شعر المدن المقاتلة جاء تكرارا^٥ لا شعوريا^٦ * يتناول عبارة هي نقطة الاثارة العاطفية عبر القصيدة وان جزا^٧ آخر جاء^٨ بيانيا^٩ فرضه تأكيد الشعراء^{١٠} على المادة المكررة .

وقد جاء التكرار في شعر المدن المقاتلة في الحرف ، واللفظ (الاسماء والافعال) والتراكيب . ففي الجرف جاء التكرار قليلا لجأ اليه بعض الشعراء^{١١} بدوافع شعورية لتعزيز الايقاع ، وربما جاء عند بعض الشعراء^{١٢} عفوا أو دون وعي نظرا لقلّة ما تحمله هذه الحروف من قيم شعورية لا ترتقي الى مستوى تأثير الافعال والاسماء والتراكيب .

وأما في اللفظ فقد كثر التكرار وجاء في الاسماء لما توحى الاسماء من دلالات شعورية مختلفة ولما تحمله من قيم رمزية متنوعة ولما في هذه الاسماء من رهبة أو

* التكرار من حيث الدلالة ينقسم الى ثلاثة أصناف :

- ١ . التكرار البياني (الغرض منه التأكيد على المادة المكررة) .
 - ٢ . التكرار التقسيمي (ما تكررت فيه كلمة أو عبارة لوضع خاتمة للمقطع السابق واعداد القارى لمقطع آخر .
 - ٣ . التكرار الاشعوري (يتناول عبارة كانت نقطة الاثارة العاطفية عبر القصيدة) .
- انظر : حسن الشيرازي ، الادب الموجه ، بيروت ، ص ٢٠٤ .

رغبة يستجيب لها الانسان أو ينفر منها ، وفي الافعال أيضا لما تحمله الافعال من حركة أو صورة أو حدث يوحي بالتفاعل والصراع اضافة الى قابلية الافعال للمزج بين الحدث والزمن .

وقد كثر الشعراء كثيرا في التراكيب وخاصة الجمل ، أما تكرار الابيات فقد جاء قليلا ونادرا في شعر المدن المعاصرة .

وقد حاولت في اثباتي للنماذج الشعرية الشاهدة على أنواع التكرار المختلفة أن أجمع بين نصوص لشعراء مشهورين (هارون هاشم رشيد ، محمود درويش ، نزار قباني ، وآخرين مغمورين) لا يبين أن الكلام المكرر شأن كل كلام ، فيه طاقة تعبيرية ان استغلت في موقعها اجادت ، وان لم تستغل أصبحت زائدة لا قيمة لها في الكلام .

يقول الشاعر هارون هاشم رشيد في تأكيد حبه للقدس :	
أحبك يا قدس لا تسأليني	لماذا وكيف وماذا أحب
أحبّ جبالك تسمو سموها	وتختال كبرا وتزهو وتصبو
أحبك خضراء قدسية	يطرّز وجهك زهر وعشب
أحبك يا قدس هذا هواي	اليك كشلال نهر يصب
أحبك أو قد مصباح عسري	لتزهر سما وتطر سحب (١)

لقد كثر الشاعر هارون هاشم رشيد الكلمة التي مثلت العاطفة الرئيسة في القصيدة ، واستطاع أن يعطي تكرار هذه اللفظة بعدا فنيا عميقا ، بحيث جعل منها نقطة ارتكاز في الايقاع وفي نجاح العاطفة .

ويظهر دور التكرار في أدباء المعاني والافصاح عن المشاعر والعواطف والخلجات النفسية من خلال تكرار الشاعر محمود درويش للفظ " يولدون " في قصيدته " بيروت

(١) يا قدس ، الدوحة ، ١٩٧٩ ، ص ٦٧ .

نجمتنا الأخيرة " حيث كرر فيها كلمة كانت اللبنة الرئيسة في القصيدة مما أعطى
القصيدة بعداً فنياً واضحاً :

ماذا ترى في الأفق ؟

- أفقا آخر

- هل تعرف القتلى جميعاً ؟

والذين سيولدون

تحت الشجر

وسيولدون

تحت المطر

وسيولدون

من الحجر

وسيولدون

تحت الشظايا

ويولدون

من المرايا

يولدون

من الزوايا

وسيولدون

من الهزائم

يولدون

من الخوادم

وسيولدون ويكبرون ويقتلون

ويولدون ، ويولدون ، ويولدون . (١)

(١) حصار لمدايح البحر ، ص ٨٨ .

ثم يوفق الشاعر نزار قباني في تكراره لجملة "مقينا مع لبنان" في قصيدته
"آه يا بيروت"، ذلك أن تكراره لهذه الجملة يحمل مسوغات وجودها نظرا
لأن هذه الجملة مثلت نقطة الاثارة العاطفية في القصيدة وجاءت شديدة الارتباط
بالمعنى العام :

طلبوا منا . . . بأن نشتم بيروت التي قحنا
وحباً أطمعنا

طلبوا

أن نقطع الثدى الذى من خيرى نحن رضعنا
فاعتذرنا

ووقفنا ضد كل القاتلين

ومقينا مع لبنان سهولا . . وجبالا

ومقينا مع لبنان جنوبها . . وشمالا

ومقينا مع لبنان صليبا . . وهلالا

ومقينا مع لبنان الينابيع

ومقينا مع لبنان الذى علّنا الشعر . (١)

ويوفق أيضا الشاعر علي الأمانة في تكراره لجملة "يا قبلة الحب"، وذلك
من خلال تأكيده على الحب والانتماء لمدينة البصرة، فقد جاء التكرار "الاشعورى"
مقبولا، حتمه على الشاعر حب البصرة العظيم :

يا قبلة الحب ما غال الهوى نزق	ولا استبدّ به زيف ولا شبق
يا قبلة الحب في عينيك مصطبح	للعاشقين وفي كفيك مفتبّح
يا قبلة الحب أنت الزهو أجمعه	أنت النضال اذا ما خيم الرنق
يا قبلة الحب عهدا اننا أبدا	لا في الحياة ولا في الموت نفترق . (٢)

(١) نزار قباني، آه يا بيروت (سامحينا ان تركناك تموتين وحيدة)، صحيفة الدستور،
١٩٨٢/٧/٤، عمان، الاحد، ص ١٢ .

(٢) البصرة القصيدة، البيان، ١٩٨٥، ص ٤ .

وإذا كان التكرار في القصائد السابقة له ما يبرره، فإن تكرار الشاعر غزاي
دع الطائي للفظه " تبقى " في فخره بالبصرة ليس له ما يبرره، ولا أدري ما الذي
دفعه الى هذا التكرار إلا أن يكون زيادة في التأكيد :

تبقى البصرة

تبقى

غرا* وفرعا* ومصقول عوارضها تبقى

البصرة تبقى

البصرة تبقى

تبقى . (١)

وكذلك الامر بالنسبة للشاعر شكر حاجم الصالحي الذي كرر في الفعل " نم "
كثيرا فجاء تكراره تعسفيا غير موفق :

نم يا ولدي نم

مانامت عين الحياض

نم يا ولدي نم

نم . . .

نم . . (٢)

وحينما يكون التكرار سردا للجزئيات واسهابا في التفصيلات، ورصفا للمعاني
المتشابهة، فإن التكرار يكون مبتذلا كما نجده في قصيدة فهد بن أبي ركن :

ما قيمة الدين بلا حب ؟

... ما

(١) قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٢) الشهداء ، ي طرقون الابواب ، ص ٤٩ .

ما قيمة حيطان البكا . . لما يندلع القتال ؟

ما قيمة الكنائس . . حين تتكل أمهات

ما قيمة المساجد . . عند تيمّم الاطفال ؟

ما قيمة الدين بلا ايمان ؟

ما

ما قيمة . . . الله . . . حين يختفي الانسان ؟ (١)

ويكون التكرار مبتذلا أيضا حينما يكون شعرا بالرتابة المملة كما في قصيدة
الشاعر عبد الله السعيد :

حيّوا معي القدس الحبيبة فالهدى	للناس في كل الدنا منها بدا
حيّوا معي القدس الحبيبة قد رأت	عيسى المسيح وأمه ومحّمدا
حيّوا معي القدس الشريف بها نرى	الصخرة العظمى بمسرى أحمداء . (٢)

دلالة التكرار وأغراضه الفنية في شعر المدن المقاتلة :

ان انتشار ظاهرة التكرار وشيوعها بهذه الكثافة في شعر المدن المقاتلة
واستجابة الشعراء لهذا الأسلوب الجديد في أداء المعاني ، لم يكن لمجرد الولع
بالصيغ الجديدة ، ولا لمجرد التقليد الاعى ، فاذا تجاوزنا النماذج المبتذلة
والساندة من التكرار ، نجد أنه يمثل قدرة عالية للتعبير عن المعاني وأدائها ، وأن
وراء اتجاه الشعراء نحو هذا الشكل في الاداء دوافع فنية ، ترجع الى مهام التكرار
وتعدّد صورته ، وقدرته على تفجير معاني فنية لها دلالات شعورية وأبعاد مختلفة .

(١) فهيم ابوركن ، ديوان في القدس العارية ، ١٩٧٩ ، عمان ، ص ٤١ .

(٢) حبيتي القدس ، ص ٢٦ .

لقد استطاع شعراء المدن المقاتلة من خلال التكرار في قصائدهم أن يوحوا للقراء بضامين معينة هم بحاجة اليها ، كما عملوا على طبع الصور المختلفة فـسـي الانذهان ، ولفتوا الانظار الى ضرورة تأويل وتقليب معانيها على وجوه عدة لضمان الحصول على ما يريد الشاعر بها .

وقد كان لهذا التكرار أيضا مدلول نفسي وسيكولوجي ، ان ساعد القارئ على تحليل شخصيات الشعراء ومعرفة الابعاد النفسية والدوافع الحقيقية التي لم يفصح عنها هؤلاء الشعراء .

على أن بعض الشعراء لم يلتفتوا لهذه النواحي أبدا ، فجاء تكرارهم استعانة لا كمال بيت تنقصه بعض المفردات أو اكمالا للوزن ، فبقي تكرارهم سلا مبتذلا لا قيمة له .

هبوط المستوى الشعري :

برزت ظاهرة هبوط المستوى الشعري واضحة في شعر المدن العربية المقاتلة ، وخاصة في شعر الشباب الذين قلب على كتاباتهم الانفعال والحساسية الزائدة ، مما أفقد قصائدهم طابعها الفني ، ولعلّ هذا الضعف عائد في رأيي الى أكثر من سبب أهمها :

- ١ . ان صلة الشباب بالتراث القديم أضعف مما يجب ، وان من كانت له صلة بالتراث فانها - غالبا - صلة غير مباشرة أي لا تصدر عن مراجعة حقة للتراث .
- ٢ . اعتقاد الشاعر الجديد بأنه شاعر عصري وتجاريه ومعاناته جديدة ولا أهمية ولا ضرورة لبلاغة العبارة .
- ٣ . عدم امتلاك التجربة الحياتية الحقيقية ، ووجود مجالات نشر عديدة تجعلهم يكتبون الشعر من أجل كتابة قصيدة ذات حسن سكوني وجامد لكنهما مقبولة " صحفيا " .

أما أهم مظاهر هذا الضعف فهي :

- ١ . ضعف اللغة : ف لغة أغلب شعراء المدن المقاتلة ليست لغة من تشبّعوا بتراثهم أو درسوه أو وقفوا عندهم الوقفة التي يستحقها أو الوقفة التي يمكن أن تزودهم بالادوات اللازمة للفتهم .
- ٢ . الضعف العروضي : فالأوزان العروضية في كثير من القصائد أوزان خاطئة ، أخلت بالموسيقى الشعرية ، وأوقعت أصحابها في مواطن ضعف يمكن تداركها .
- ٣ . عدم نضوج التجربة عند كثير من الشعراء وضياع هذه التجربة في متاهات وتداعيات لا علاقة لها بالفكرة والحدث المركزي ، اللهم إلا الولع بالصورة والتعابير التي يعتقد أنها ستثير دهشة القارئ أو السامع .

لقد كثرت النصوص الهابطة في شعر المدن المقاتلة ، وقد ارتأيت أن أثبت بعض نماذج من هذه النصوص لتأكيد صحة ما ذهبت اليه ولاظهار مواطن هذا الضعف .

تقول الشاعرة سعاد عبد النبي في قصيدة بعنوان " نذرت نفسي " :

سألتها ؟

يا أم ؟

يا قدس

ما تبغين

ماذا تطلعين

قالت : أريد أبنائي

من هاشم ومحمد

فقلت اني منهمو

ما في يدي غير روحي

تقبلها ضحية . (١)

لقد فقدت اللغة أو المفردات عنصر الإيحاء في هذه الأبيات ، فهبطت دلالتها الفنية ، وأصبحت لغة إيصالية موضوعية أكثر منها تخيلية ، وصح أن توصف بالنثرية والتقريبية المباشرة .

ويقول الشاعر محمد مصطفى الشوكي :

سوف نصلي الخصم نارا اثر نار

وتكون القدس في القلب شعاع

لن يعيش الخصم في هذي الديار

(١) سعاد عبد النبي ، ديوان نذرت نفسي ، عمان ، ١٩٧٤ ، ص ٩ .

فنين البغي . . . أيام قصار . (١)

لقد استخدم الشاعر في هذه الأبيات ألفاظا لم تكن موحية أبدا ، رسم من خلالها صورة جامدة لم تستطع تحريك مشاعرنا ، فالمفردات نثرية شائعة على الألسن ، والاسلوب عادي ، والتعابير غير موحية أبدا .

ويؤكد هذه الظاهرة الشاعر خازن عبود في قصيدة بعنوان " سنرجع للقدس " يظهر من خلالها الاسلوب النثري التقريرى المباشر ، وركافة التعبير ، وجمود التخيل وبرود العاطفة :

سنرجع للقدس والرملة
ليافا وحطين والحولة
الى صفد في روابي الجليل
لحيفا وميسان والطيرة
الى بئر سبع لمجد الكروم
لعكا وسخنين والبصة
غدا يجن المدفع
يدك ما قد شيدوا
وتنتهي خرافة
في أرضنا وترواد
فاستبشروا يا اخوتي
للظلم يوم أسود . (٢)

ومن أمثلة ذلك في شعر بيروت ، أبيات للشاعر عبد السلام جاد الله ، حاول أن يعبر من خلالها عن مأساة بيروت فاستخدم لغة قريبة من اللغة اليومية ، وتعابير

(١) محمد مصطفى الشويكي ، ديوان قنبلة الحرية ، عمان ، ١٩٧٤ ، ص ٦٣ .

(٢) خازن عبود ، ديوان حبي له أكبر ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ١١٩ .

دارجة جاهزة ، انعدم فيها الايقاع ، فجاء التعبير عن التجربة ضعيفا بعيدا عن
الشكل الفني المشير :

هذه بيروت . . . أم العاشقين

مات فيها العشاق . . .

. . . مات الياسمين . .

x x x

. . . ها هنا جمع . . فقير

. . . من جموع الراحليين

أدخلوا الجثمان . . في القبر الحزين

. . . يا الهي

لا أرى دمعاً يغطي

أغنيات الدافنين

لا أرى حزناً . . . عميقاً

في عيون الواقفين . (١)

كما ظهر ضعف النسيج وركاكة التعبير وجمود التصوير في أبيات للشاعر عادل
الشرقي ، كتبها ليعبر فيها عن حال بيروت اليوم فجاءت هابطة في مستواها ، ضعيفة
في ايحاءها :

بيروت كانت أجمل النساء

بيروت كانت وردة

تزهو وسط الماء

لكنها اليوم بلا ضياء

كثيرة

كثيرة

تجهش طول الليل بالبكاء . (٢)

(١) عيناك والشيطان في حيفا ، ص ٢٧ .

(٢) دم القرنفل ، ص ٢٧ .

أما في قصائد البصرة، فقد برزت هذه الظاهرة واضحة في أكثر من قصيدة
وعند أكثر من شاعر، ولعل ذلك عائد إلى التوتر في الخلق الفني الذي عاشه
الشعراء خلال مرحلة الحروب .

يقول الشاعر جلال حنفي في تمجيد الشهيد وبأسلوب نثري واضح :

دما أرقت من أجل ثغر العراق
فاكرم به على ترابه من عراق
فسقت الفزاة للنهر سوق النياق
وأسقيتهم هوانا بكأس دهاق . (١)

ويقول الشاعر كاظم الحجاج في قصيدة بعنوان " أربعة وجوه بصرية تحت
القصف " مستنكرا الحال الذي وصل إليه أطفال البصرة بأسلوب عادي التعابير
بعيد عن الإيجاز :

لماذا يحمل الاطفال
أعباء الحقائق
- في الصباح -
وحيث يودعون المبيت
يرتدون ، مذعورين
تحت القصف
لماذا قال لي اخي الصغير :
" نسيت شكل الصف " . (٢)

(١) صدام وقادسية صدام ، ص ١١١ .

(٢) ايقاعات بصرية ، ص ١٩ .

ويقول الشاعر محمد أشرفي مؤكداً على حب العراق ومكرراً في ألفاظه النثرية
المباشرة :

قبلا تي لك يا بصرة
للشط العدمي
قبلا تي لك يا بفسدار
حبي لك حب الفرح القادم
من خلف التهاب الجمر
حب العرس القادم
من بين الدمار . (١)

وبعد : فعلى الرغم من وجود بعض الظواهر المغوية السلبية في هذا الشعر،
الأن شعراء المدن المقاتلة تمكنوا من تأدية رسالتهم السامية والنبيلة تجاه أمتهم
على أكمل وجه، وذلك من خلال قصائدهم الفنية بالصورة والرمز، المشحونة بالعواطف
الصادقة والحياسة فجاء أدبهم صادقا في تعبيره، قادرا على التأثير والاقناع المطلوب
نقلهما إلى المتلقي، وجاء أسلوبهم في ذلك فنياً جميلاً حافلاً بالنهض الصادق ومعبرا
عن مواقفهم القومية خير تعبير .

(١) لغاضينا نغني، ج٢، ص ٢٥٣ .

الخاتمة

في ختام هذه الرسالة، أودّ أن أشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليها، من خلال دراستي لشعر المدن المقاتلة الثلاث :

١ . تباينت أبعاد المدن الثلاث في قصائد الشعراء العرب، فبينما أخذت القدس بعداً دينياً واضحاً، أخذت مدينة بيروت بعداً سياسياً وقومياً، وأخذت مدينة البصرة بعداً قومياً بارزاً .

ولعلّ هذا التباين في هذه الأبعاد عائد إلى دور كل مدينة عبر حقب التاريخ العربي الماضية، وإلى طبيعة الصراع المفروض على كل مدينة منها في عصرنا الحاضر .

٢ . واكبت قصائد الشعراء الأحداث المعاصرة مواكبة جيدة، وسجلت كل صغيرة وكبيرة فكانت قصائدهم تعبيراً واضحاً عن احساسهم العميق بقوميتهم وعروبتهم، وتجسيماً لهذه الروابط الكثيرة التي ربطت بين أقطار الوطن العربي، وهو ما يفسّر تلك الحماسة المتدفقة في أشعارهم، وتلك المواطف الصادقة، وذلك التجاوب العميق مع كل ما يحدث في الوطن العربي .

٣ . برزت في قصائد المدن المقاتلة نظرة تفاؤلية ايجابية، لا تركز إلى اليأس والتشاؤم وإنما تدعو إلى البناء والعمل، وهي نظرة الأديب الملتزم بقضايا قومه، المرتبط بواقع أمته وأحلامها ومطامعها .

٤ . أدى الشعر المقاتل دوراً وظيفياً بارزاً تمثل في التأكيد على الوحدة العربية والتعريف بقضايا الأمة، والكشف عن أعدائها في الداخل والخارج، وتوعية الشعب وتنبيهه للأخطار المحدقة به، ثم الدعوة إلى التغيير وتخليد البطولات والتضحيات . كما برزت في هذا الشعر مجموعة من الاهتمامات البارزة وعلى رأسها الاعتزاز بالقومية العربية، والتأكيد على التجذّر في الوطن، والتمسك بالأرض .

- ٥ . أثرت المعاناة والتجربة الشخصية على عطاء الشعراء داخل هذه المدن الثلاث ،
ان طبعت التجربة عطاءهم بطوابع تختلف عما جاء به الشعراء العرب خارج
هذه المدن ، فأنت تجد شعراء القدس أكثر احساسا بالتجربة ، وأقل شكاة وكاء ،
وأصدق عاطفة ، بينما تجد شعراء لبنان متفائلين يأخذهم عشق بيروت وحبها وكأن
هذا شغلهم عن جلد الحكام بسيط الكلم وصّب النعمة عليهم . أما شعراء العراق
فكانوا أكثر خصوصية في ذكر أسماء الشهداء والتفني ببطولاتهم ، وذكر أسماء العواقر
التي خاضوا غمارها وصارت نقطة اشعاع في تاريخهم النضالي المجيد .
- ٦ . لفت نظري في هذه الدراسة كثرة عدد الشعراء الذين شاركوا في الحديث عن
هذه المدن المقاتلة ، وأخص بالذكر شعراء العراق الذين كان لهم أكبر نصيب في
الحديث عن المدن المقاتلة الثلاث ، ان أنهم منحوا كل مدينة من هذه المدن
حقها من الاهتمام ، فتساوت أقدار هذه المدن في نفوسهم وعواطفهم وأحاسيسهم .
- ٧ . يختلف أسلوب شعراء المدن المقاتلة من شاعر الى آخر بحسب اختلاف الثقافة
والبيئة ، ولكن يمكن أن نفرق بين جيلين من شعراء المدن المقاتلة : جيل التزم
بالقصيدة العمودية في الصياغة وطريقة المعالجة ، وتأثر بالبيان العربي الذي
يركز على التعابير الجزلة القوية وعلى فنون البلاغة العربية ، وجيل التزم القصيدة
الحرّة ، واعتمد كثيراً على الصورة لوصف الأحداث .
- ٨ . وقد وجد من الشعراء من راح بين النوعين ، فكتب في القصيدة العمودية
والقصيدة الحرّة .
- ٨ . طفى الرمز في معظم هذه القصائد ، وخاصة الرمز الديني والتاريخي ، ويعود هذا
الى تلك الحماسة الدينية المتأججة في نفوس الشعراء ، والى التشبث بتاريخ الأمة ،
وتذكير الناس بأحداثه ووقائعها حفزا للهم واستثارة لحماس الناس .
- ٩ . جاءت قصائد الشعراء مباشرة ، حماسية ، عاطفية وذلك بسبب حرص الشعراء على
ايصال معانيهم الى نفوس الجماهير دون غناء .

١٠ . أما القصائد التي وقعت بين يديّ وأخضعتها للدراسة المستفيضة ، فهي تلك التي تستحق أن نقف عندها ، متجاوزا تلك القصائد الفتّة ، وهي كثيرة .

ولا شك في أن شعراء المدن المقاتلة الثلاث قد أسهموا في توعية الجماهير العربية ، وأنغأوا لها الطريق ، وكان شعرهم شعرا نضاليا قوميا ملتزما بقضايا الوطن والأمة ، مع اعترافنا بأن الكثير من هذا الشعر لا تتوافر فيه الخصائص الفنية التي تجعل منه أديبا حيا باقيا .

مصادر البحث ومراجعته

- أولا : القديمة
- ثانيا : الحديثة
- ثالثا : الدواوين الشعرية
- رابعا : الدوريات

أولا : القديمة :

- ١ . ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)
معجم لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .
- ٢ . البكري (عبدالله بن عبدالعزيز)
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٤٥ .
- ٣ . الزبيدي (محمد مرتضى الزبيدي)
تاج المروس ، تحقيق ابراهيم التريز ، الكويت ، ١٩٧٢ .
- ٤ . السمعاني (ابو سعيد عبدالكريم بن محمد)
الانساب ، ط ١ ، الهند ، ١٩٨١ .
- ٥ . العماد الاصفهاني (ابوعمد الله محمد بن محمد الاصفهاني)
ديوان العماد ، تحقيق ناظم رشيد ، الموصل ، ١٩٨٣ .
- ٦ . المبرد (ابو العباس محمد بن يزيد)
التعازي والمراسي ، دمشق ، ١٩٧٦ .
- ٧ . المقدسي (شمس الدين ابوعمد الله محمد بن مفلح)
أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مكتبة خياط ، بيروت .
- ٨ . النوى (ابو زكريا محي الدين بن شرف)
تهذيب الاسماء واللغات ، دار الطباعة المنيرية ، القاهرة .
- ٩ . ياقوت الحموي (شهاب الدين ابوعمد الله ياقوت بن عبدالله)
معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ .

- ٢٥ . عدنان العواوي : لغة الشعر الحديث في العراق ، بغداد .
- ٢٦ . علي شلش : في قصيدة الحرب العراقية ثلاثة اتجاهات أدائية ، بغداد ١٩٨٨ .
- ٢٧ . علي ظريف الاعظمي : مختصر تاريخ البصرة ، بغداد ١٩٢٧ .
- ٢٨ . فاروق جرار : ابن القيسراني (حياته وشعره) ، عمان ١٩٧٤ .
- ٢٩ . فاروق عزالدين : القدس تاريخيا وجغرافيا ، القاهرة ١٩٨١ .
- ٣٠ . فايز جابر : القدس (ماضيها - حاضرها - مستقبلها) ، ط ١ ، دار الجليل ، عمان ١٩٨٥ .
- ٣١ . محمد أديب العامري : عروبة فلسطين في التاريخ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٧٤ .
- ٣٢ . محمد سلامة النحال : فلسطين أرض وتاريخ ، ط ١ ، بيروت ١٩٨١ .
- ٣٣ . محمد مصطفى بدوي : كولردج ، دار المعارف ، القاهرة .
- ٣٤ . محمد غني هلال : النقد الادبي الحديث ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٤ .
- ٣٥ . محمود العابدي : قدسنا ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٢ .
- ٣٦ . المركز الجغرافي الاردني : نافذة على العالم ، عمان ١٩٨٤ .
- ٣٧ . مصطفى الرافعي : حضارة العرب في العصور الاسلامية ، بيروت ١٩٧٨ .
- ٣٨ . مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٥ .
- ٣٩ . مصطفى ناصيف : الصورة الادبية ، دار الاندلس ، بيروت ١٩٨٣ .

ثانياً : الحديث :

- ١٠ . احمد أمين : ضحى الاسلام ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
- ١١ . احمد كمال زكي : الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦١ .
- ١٢ . بطرس البستاني : دائرة المعارف ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٣ . جورج حنا : معنى القومية العربية ، ط ١ ، ١٩٥٧ .
- ١٤ . حامد الهازي : البصرة في الفترة المظلمة ، دار منشورات البصرى ، بغداد ، ١٩٦٩ .
- ١٥ . حسن الشيرازي : الأدب الموجه ، دار الصادق ، بيروت .
- ١٦ . خالد مصطفى ، الشعر الفلسطيني الحديث ، بغداد ، ١٩٧٨ .
- ١٧ . درويش الجفدى : القومية العربية في الادب الحديث ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- ١٨ . رفيق النتشة : تاريخ مدينة القدس ، دار الكرمل ، الرياض ، ١٩٨٤ .
- ١٩ . روهي جميل : بيروت والجمهورية اللبنانية ، المكتبة العمومية ، بيروت ، ١٩٤٨ .
- ٢٠ . سليمان فيضي ، البصرة العظمى ، بغداد ، ١٩٦٥ .
- ٢١ . سليمان موسى : أيام لا تنسى ، عمان ، ١٩٤٨ .
- ٢٢ . صالح أبو اصبغ : الحركة الشعرية في فلسطين ، ٤٨ - ١٩٧٥ ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- ٢٣ . طراد الكبيسي : الفأبة والفصول ، بغداد ، ١٩٧٩ .
- ٢٤ . عارف العارف : تاريخ القدس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥١ .

- ٤٠ . ول ديورنت، قصة الحضارة مج ١، ترجمة زكي نجيب محفوظ، القاهرة، ١٩٦٥ .
٤١ . يوسف السواد، تاريخ لبنان الحضاري، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٢ .

ثالثا : الدواوين الشعرية :

- ٤٢ . ابراهيم خليل : تداعيات ابن زريق البغدادي، ط ١، دار آسيا للنشر، عمان، ١٩٨٤ .
٤٣ . ابراهيم طوقان : ديوان الشعرى، دار المسيرة، بيروت، ١٩٤١ .
٤٤ . ابراهيم نصرالله : طرفي الداخل، ط ١، عمان، ١٩٨٢ .
: نعيان يسترد لونه، ط ١، بيروت، ١٩٨٤ .
٤٥ . احمد ابو شاور : أربعة أسماء لزينة واحدة، ط ١، عمان، ١٩٨٥ .
٤٦ . احمد حسن القضاة : بشارك يا قدس، ط ١، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٠ .
٤٧ . احمد الريساوي : موال من وراء الغربة، ط ١، عمان، ١٩٨٤ .
٤٨ . احمد شوقي : الشوقيات، المطبعة المصرية، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة .
٤٩ . احمد فطاشة : اشتعالات الدم والزنايق، ط ١، دار الكرمل، عمان، ١٩٨٤ .
: ادورد عويس : روا المساء، ط ١، رابطة الكتاب الاردنيين، عمان، ١٩٨٥ .
: برفيق محمود : صلوات على مذبج الحياة والموت، القدس، ١٩٧٧ .
٥٢ . أكرم حار : صبرا، الزرقا، ١٩٨٣ .
٥٣ . الياس : فكا هيات بلباس الميدان، ط ١، دار الآداب، بيروت، ١٩٧٤ .

- ٥٤ . انطوان نجيب مسعد : قطار سنوات الكفاح ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- ٥٥ . أنور العطار : ظلال الايام ، دمشق ، ١٩٤٨ .
- ٥٦ . بشرى البستاني : زهر الحقائق ، بغداد ، ١٩٨٤ .
- ٥٧ . جبار الكواز : ذاكرة الخندق ذاكرة الورد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ .
- : رجال من طراز خاص ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٣ .
- : سيدة الفجر ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٨ .
- ٥٨ . جلال الحنفي : صدام وقادسية صدام ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٣ .
- ٥٩ . جورج ابوخليل : جلجلة الخلاص ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- ٦٠ . جورج نقولا الحاج : الفريفة ومواسم الظلام ، ط ٢ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- ٦١ . حسن عبدالله القرشي : ديوان حسن القرشي ، دار العودة ، بيروت .
- ٦٢ . حسين حيدر : كلمات للريح والارض ، ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٥ .
- ٦٣ . حلمي الاسمر : من وراء الحدود ، ط ١ ، دار اللواء ، عمان ، ١٩٧٨ .
- ٦٤ . حلمي رزق : سقط الوعد وهي الورد ، ط ١ ، دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- ٦٥ . حنان يموت : الفرح المأجور ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- ٦٦ . حيدر محمود : يهر هذا الليل ، عمان ، ١٩٧٠ .
- ٦٧ . خالد محادين : صلوات للفجر الطالع ، عمان ، ١٩٦٩ .

- ٦٨ . خليل احمد خليل : بئر السلاسل ، دار الطليعة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ .
- ٦٩ . خليل الأسدي : أنت الاقامة أنت السفر ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ .
- ٧٠ . خليل حساوي : ديوان خليل حاوي ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢ .
- ٧١ . خليل فاخوري : أتموتون ، بيروت ، ١٩٧١ .
- ٧٢ . دار الشؤون الثقافية العامة : لماضينا نغني لمستقبلنا نطلق الكلمة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- ٧٣ . داود معلل : الطريق الى القدس ، ط ١ ، عمان ، ١٩٨٤ .
- ٧٤ . راشد حسين : أنا الارض لا تحرميني المطر ، عكا ، ١٩٧٨ .
- ٧٥ . سعاد عبد الشفي : نذرت نفسي ، ط ١ ، عمان ، ١٩٧٤ .
- ٧٦ . سلمان صالح : مفناة طائر الخضر ، القدس ، ١٩٧٩ .
- ٧٧ . سليمان دغش : هويتي الارض ، عكا ، ١٩٧٩ .
- ٧٨ . سليمان العيسى ، الكتابة أرق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٢ .
- ٧٩ . سليمان المشيني ، صبا من الاردن ، ط ١ ، دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، ١٩٧٢ .
- ٨٠ . سميرة الشرباتي ، قصائد تبحث عن رفيق مسافر ، القدس ، ١٩٧٦ .
- ٨١ . سهام عيطور : الابحار في المواسم الصعبة ، مطابع الكرمل ، ١٩٧٥ .
- ٨٢ . شريف الربيعي : قراءة في عذابات تل الزعتر ، بيروت ، ١٩٧٧ .
- ٨٣ . شكر حاجم الصالحي : الشهدا ، يطرقون الابواب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .

- ٨٤ . صاحب خليل ابراهيم : حين يبتدأ الحب ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٣ .
- ٨٥ . طالب عباس : في البصرة يحتفل الشهداء ، دار الشؤون الثقافية العامة ،
بغداد ، ١٩٨٧ .
- ٨٦ . طراد الكبيسي : قصيدة الحرب الحديثة في العراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- ٨٧ . عادل الشرقي : دم القرنفل ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٤ .
- ٨٨ . عبدالاله الصائغ : هاكم فرح الدماء ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٧٤ .
- ٨٩ . عبدالله بن عبدالعزيز بن ادريس : في زورقي ، الرياض ، ١٩٨٤ .
- ٩٠ . عبدالله عبدالرزاق السعيد : حبيبتني القدس ، الزرقاء ، ١٩٨٤ .
- ٩١ . عبدالله منصور : مواويل للحب والحرب ، ط ١ ، عمان ، ١٩٧٣ .
- ٩٢ . عبدالامير مراد : الوطن أول الأشياء ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- ٩٣ . عبدالجبار الجبوري : ما قاله السيف العراقي ، دار الشؤون الثقافية العامة ،
بغداد ، ١٩٨٧ .
- ٩٤ . عبدالجبار داود البصري : المرثد السابع - احتفالية الشعر العربي - دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ .
- ٩٥ . عبدالحسين المطلبي : بعد الرحيل ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١ .
- ٩٦ . عبدالرحيم الحصني : أمواج ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ،
١٩٧٤ .
- ٩٧ . عبدالسلام جاد الله : عيناك والشيطان في حيفا ، الدوحة ، ١٩٨٣ .

- ٩٨ . عبد اللطيف عقل : حوارية الحزن الواحد ، ط ١ ، القدس ، ١٩٨٥ .
- ٩٩ . عبد المحسن عقراوي : لهيب الدم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- ١٠٠ . عدنان الصائغ ، انتظريني تحت نصب الحرية ، منشورات وزارة الثقافة والشباب ، بغداد ، ١٩٨٤ .
- ١٠١ . عدنان مردم بك : صفحة ذكرى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١ .
- ١٠٢ . : نفحات شامية ، ط ١ ، منشورات مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- ١٠٢ . عزيزة سلوم : عذرا ان استبحت الحقيقة ، منشورات آمال الزهاوي ، بغداد ، ١٩٨٤ .
- ١٠٣ . عطالله قطوش : كنعان يقرع الاجراس ، القدس ، ١٩٨١ .
- ١٠٤ . علي الحسيني : امنت بالعراق ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- ١٠٥ . علي الخليلي : انتشار على باب المقيم ، ط ١ ، عمان ، ١٩٨٣ .
- ١٠٦ . علي الزعبي : أحلام السناهل ، ط ١ ، عمان ، ١٩٧٨ .
- ١٠٧ . علي عارف : أبعاد ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧١ .
- ١٠٨ . علي محمد البتيري : لوحات تحت المطر ، ط ١ ، عمان ، ١٩٧٣ .
- ١٠٩ . عمر صبري كتمو : نداءات الى صقر قریش ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٧٢ .
- ١١٠ . فدوى طوقان : ديوان فدوى طوقان ، ط ١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٨ .
- ١١١ . فهدم ابوركن ، في القدس العارية ، ط ١ ، عكا ، ١٩٧٩ .

- ١١٢ . فؤاد الخشن : سناهل حزيان ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
- ١١٣ . فؤاد كحل : أتولد بيروت وجها جميلا ، ط ١ ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٧ .
- ١١٤ . كاظم الحجاج : إيقاعات بصرية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ .
- ١١٥ . كاظم الخلف : أزاهير وأعاصير ، بغداد ، ١٩٨٤ .
- ١١٦ . كاظم السماوي : رياح هانوي ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٣ .
- ١١٧ . كاظم نعمة التميمي : القصيدة تكتب عنوانها ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- ١١٨ . كلثوم مالك عرابي : الناهللم جعل قمح القدس مرآ ، المكتبة العصرية ، بيروت ،
- ١١٩ . كمال رشيد : عيون في الظلام ، ط ١ ، الزرقاء ، ١٩٨٤ .
- ١٢٠ . كمال فوزي الشرايبي : الحرية والبنادق ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٢ .
- ١٢١ . لميعة عباس عمارة : عراقية ، ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢ .
- ١٢٢ . مالك المطليبي : جبال الثلاثاء ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٩ .
- ١٢٣ . مجيب السوسي : العرافس ، أيقظها العوج ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٠ .
- ١٢٤ . محفوظ داود سليمان : ملكة الانهار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ .
- ١٢٥ . محمد أحمد ابو غربية : مواكب النضال ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ١٢٦ . محمد أحمد ابولين : أيام منسية خلف القضبان ، ط ١ ، القدس ، ١٩٨٣ .

- ١٢٧ . محمد اسماعيل داود : يا قدس ، عمان ، ١٩٨٦ .
- : أناشيد فلسطينية ، عمان ، ١٩٨٥ .
- ١٢٨ . محمد حسيب القاضي : أقبية الليل ، ط١ ، عمان ، ١٩٨٥ .
- ١٢٩ . محمد حسين آل ياسين : ديوان آل ياسين ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ .
- ١٣٠ . محمد الشرفي : من مجامر الاحزان ، ط١ ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- ١٣١ . محمد شلال : نخلة في يدي ، عمان ، ١٩٨٥ .
- ١٣٢ . محمد صالح عبدالرضا : طائر السمف ، بغداد ، ١٩٨٣ .
- ١٣٣ . محمد صالح يوسف : حبك مرهون بدمي ، ط١ ، عمان ، ١٩٨٦ .
- ١٣٤ . محمد ضمرة : أقمار بيروت ، عمان ، ١٩٨٣ .
- ١٣٥ . محمد عبدالله القواسمة : عبدالله بن الزبير في بيروت ، عمان ، ١٩٨٦ .
- ١٣٦ . محمد العيد آل خليفة : ديوان محمد العيد ، قسطنطينية ، ١٩٦٧ .
- ١٣٧ . محمد الماغوط : غرفة بملايين الجدران ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- ١٣٨ . محمد مصطفى درويش : أريدك أن تكوني ، دمشق ، ١٩٧٩ .
- ١٣٩ . محمد مصطفى الشوكي : قنبلة الحرية ، ط١ ، منشورات فارس ، عمان ، ١٩٧٤ .
- ١٤٠ . محمد مهدي الجواهري : ديوان محمد مهدي الجواهري ، مطبعة الاريسب البغدادية ، بغداد ، ١٩٧٣ .
- ١٤١ . محمود درويش : أحبك أولاً أحبك ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢ .
- : حصار لدائع البحر ، الدار العربية ، عمان ، ١٩٨٦ .

- ١٤٢ . محمود دسوقي : نيرون على أبواب بيروت ، ط١ ، الناصرة ١٩٨٣ .
- ١٤٣ . محمود الروسان : على دروب الكفاح ، عمان ، ١٩٦٠ .
- ١٤٤ . محمود الشلبي : أشجار لكل الفصول ، ط١ ، عمان ، ١٩٨٥ .
- ١٤٥ . محمود فضيل التل : أغنيات الصمت والافتراق ، عمان ، ١٩٨٢ .
- ١٤٦ . محي الدين الحاج عيسى : من فلسطين واليهما ، ط١ ، حلب ، ١٩٧٥ .
- ١٤٧ . معين بسيسو : الاعمال الشعرية الكاملة ، ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨١ .
- ١٤٨ . منذر الجبوري : الخلاصة في ما قاله المحارب ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- ١٤٩ . موسى شعيب : المجموعة الشعرية ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ .
- ١٥٠ . ناجي ظاهر : البحث عن زمن آخر ، ط١ ، عكا ، ١٩٧٨ .
- ١٥١ . ناصر بدوي : أهواك ، ط١ ، دار الاقاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- ١٥٢ . نزيه حسون : أبحث عن جسد يلد النصر ، شفاعرة ، ١٩٨٣ .
- ١٥٣ . نذير الحسامي : ألا تزورنا أيها الغضب ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨٢ .
- ١٥٤ . نزار قباني : الاعمال السياسية الكاملة ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨١ .
- ١٥٥ . هارون هاشم رشيد : ديوان هارون هاشم رشيد ، ط١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨١ .
- ١٥٦ . النقش في الظلام ، ط١ ، عمان ، ١٩٨٣ .

- ١٥٦ . هشام الكرسي : بيروت والتأفة البضا ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٤ .
- ١٥٧ . هيام الدردنجي : أغنيات للقمر ، ط١ ، دار مكتبة الفكر ، ليبيا ، ١٩٧٣ .
- ١٥٨ . وليد أبوبكر : الوجه الطيب للاحزان ، دار الوطن للصحافة والنشر .
- ١٥٩ . وليد كمال الدين : الهارقات ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨٢ .

- ١٦٠ . يوسف حمدان : حواس الصمت ، ط١ ، دار الكرمل ، عمان ، ١٩٨٣ .
- ١٦١ . يوسف الديك : طقوس النار ، ط١ ، دار الكرمل ، عمان ، ١٩٨٦ .
- ١٦٢ . يوسف العظم : في رحاب الاقصى ، المكتب الاسلامي ، عمان .
- ١٦٣ . يونس ناصر عبود : دم هرتقال ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٣ .

رابعاً : الدوريات :

المجلات العربية :

الآداب :

عدد ١١ ، سنة ١٦ ، ١٩٦٨	(بيروت)
عدد ٥ ، سنة ١٧ ، ١٩٦٩	(بيروت)
عدد ٢ ، سنة ١٨ ، ١٩٧٠	(بيروت)
عدد ٢ ، سنة ٢ ، ١٩٧٢	(بيروت)
عدد ٥ ، سنة ٢١ ، ١٩٧٣	(بيروت)
عدد ٩ ، سنة ٢٣ ، ١٩٧٥	(بيروت)
عدد ١٠ ، سنة ٢٣ ، ١٩٧٥	(بيروت)
عدد ١٢ ، سنة ٢٣ ، ١٩٧٥	(بيروت)

عدد ١، سنة ٢٤، ١٩٧٦، (بيروت)
عدد ٤، سنة ٢٤، ١٩٧٦، (بيروت)
عدد ٧، سنة ٢٤، ١٩٧٦، (بيروت)
عدد ١٠، سنة ٢٤، ١٩٧٦، (بيروت)
عدد ١، سنة ٢٦، ١٩٧٨، (بيروت)
عدد ٧، سنة ٢٦، ١٩٧٨، (بيروت)
عدد ٤، سنة ٣٢، ١٩٨٤، (بيروت)

الأدباء العرب :

عدد ٣، سنة ٨، ١٩٧١، (القاهرة)

أرب ونقد :

عدد ٤، سنة ١، ١٩٨٤، (القاهرة)

الأديب :

عدد ٧، سنة ١٩، ١٩٦٠، (بيروت)
عدد ١١، سنة ٢٨، ١٩٦٩، (بيروت)
عدد ١، سنة ٢٩، ١٩٧٠، (بيروت)
عدد ١١، سنة ٢٩، ١٩٧٠، (بيروت)
عدد ١، سنة ٣٠، ١٩٧١، (بيروت)
عدد ٤، سنة ٣٠، ١٩٧١، (بيروت)
عدد ٦، سنة ٣٠، ١٩٧١، (بيروت)
عدد ٨، سنة ٣٠، ١٩٧١، (بيروت)
عدد ٣، سنة ٣١، ١٩٧٢، (بيروت)
عدد ١٢، سنة ٣٢، ١٩٧٣، (بيروت)
عدد ١٢، سنة ٣٣، ١٩٧٤، (بيروت)

عدد ١، سنة ١٩٧٦، ٣٥	(بيروت)
عدد ١١، سنة ١٩٧٧، ٣٦	(بيروت)
عدد ٣، سنة ١٩٧٨، ٣٧	(بيروت)

آفاق عربية :

عدد ٨، سنة ١٩٧٦، ٢	(بغداد)
عدد ٦، سنة ١٩٧٩، ٤	(بغداد)

أفكار :

عدد ١٦، ١٩٧٢-١٩٧٣	(عمان)
عدد ٥٨، ١٩٨٢-١٩٨٣	(عمان)
عدد ٦٢، ١٩٨٢-١٩٨٣	(عمان)
عدد ٥٩، ١٩٨٥	(عمان)

الأقلام :

عدد ٨، سنة ١٩٦٥، ١	(بغداد)
عدد ٥، سنة ١٩٦٦، ٢	(بغداد)
عدد ١١، سنة ١٩٦٧، ٣	(بغداد)
عدد ٤، سنة ١٩٦٧، ٤	(بغداد)
عدد ٩، سنة ١٩٦٨، ٤	(بغداد)
عدد ١١، سنة ١٩٦٨، ٤	(بغداد)
عدد ١٢، سنة ١٩٦٨، ٤	(بغداد)
عدد ٣، سنة ١٩٦٨، ٥	(بغداد)
عدد ٤، سنة ١٩٦٨، ٥	(بغداد)
عدد ١٠، سنة ١٩٦٩، ٥	(بغداد)
عدد ٢، سنة ١٩٧١، ٧	(بغداد)
عدد ١٠، سنة ١٩٧٣، ٩	(بغداد)

عدد ٢، سنة ١٩٧٦، ١٢	(بغداد)
عدد ٣، سنة ١٩٧٦، ١٢	(بغداد)
عدد ٤، سنة ١٩٧٧، ١٣	(بغداد)
عدد ٩، سنة ١٩٧٧، ١٣	(بغداد)
عدد ٨، سنة ١٩٧٩، ١٤	(بغداد)
عدد ١٠، سنة ١٩٨٢، ١٧	(بغداد)
عدد ٦، سنة ١٩٨٥، ٢٠	(بغداد)
عدد ٤، سنة ١٩٨٦، ٢١	(بغداد)

أوراق :

عدد ٩، سنة ١٩٨٤	(ابوظبي)

البلاغ :

عدد ١٢٥، سنة ١٩٧٤، ٣	(بيروت)
عدد ١٥٨، سنة ١٩٧٥، ٤	(بيروت)
عدد ١٩٢، سنة ١٩٦٨/٦٧، ٢	(الكاظمية)

البيان :

عدد ١٥٠، سنة ١٩٧٨، ١٣	(الكويت)
عدد ١٥٦، سنة ١٩٧٩، ١٣	(الكويت)
عدد ١٨٣، سنة ١٩٨١، ١٦	(الكويت)
عدد ٢٣٨، سنة ١٩٨٦، ٢١	(الكويت)
عدد ٢٤٦، سنة ١٩٨٦، ٢١	(الكويت)

الثقافة السورية :

عدد أيار، ١٩٧٥	(دمشق)
عدد نيسان، ١٩٧٦	(دمشق)

(دمشق)	عدد آذار ١٩٧٨
(دمشق)	عدد تشرين أول ١٩٧٨
(دمشق)	عدد آذار ١٩٧٩
(دمشق)	عدد آب ١٩٨٢
(دمشق)	عدد آب ١٩٨٣

الجامعة :

(الموصل)	عدد ٦ سنة ١٩٧١
(الموصل)	عدد ١٠ سنة ١٩٧٩

الحياة الثقافية :

(تونس)	عدد ٣١ سنة ١٩٨٤

دعوة الحق :

(الرباط)	عدد ٨ سنة ١٩٦٧/٦٦
(الرباط)	عدد ٨ سنة ١٩٦٩
(الرباط)	عدد ٨ سنة ١٩٧١
(الرباط)	عدد ٧ سنة ١٩٨٠
(الرباط)	عدد ٤ سنة ١٩٨٢

الدوحة :

(الدوحة)	عدد ٤٦ سنة ١٩٧٩
(الدوحة)	عدد ٧٤ سنة ١٩٨٢
(الدوحة)	عدد ١٠٠ سنة ١٩٨٤
(الدوحة)	عدد ١٠٣ سنة ١٩٨٤
(الدوحة)	عدد ١١٦ سنة ١٩٨٥

الشعر :

عدد ٣ ، سنة ١٩٦٤ ، ١	(تونس)
عدد ١ ، سنة ١٩٨٢ ، ١	(تونس)
عدد ٣ ، سنة ١٩٨٢ ، ١	(تونس)
عدد ٤ ، سنة ١٩٨٣ ، ١	(تونس)

العربي :

عدد ١٣٤ ، سنة ١٩٧٠ ، ١	(الكويت)
عدد ٢٨٩ ، سنة ١٩٨٢ ، ١	(الكويت)

العرفان :

عدد ٢ ، سنة ١٩٦٩ ، ٥٧	(بيروت)
عدد ٧ ، سنة ١٩٦٩ ، ٥٧	(بيروت)
عدد ١ ، سنة ١٩٧٨ ، ٦٦	(بيروت)
عدد ٥ ، سنة ١٩٨٠ ، ٦٨	(بيروت)
عدد ٦ ، سنة ١٩٨٢ ، ٧٠	(بيروت)

فكر :

عدد ١٤٢ ، سنة ١٩٧٧ ، ٣	(بيروت)
عدد ٥١ ، سنة ١٩٨٢ ، ٨	(بيروت)

الفكر :

عدد ٢ ، سنة ١٩٨٢ ، ٢٨	(تونس)
عدد ٦ ، سنة ١٩٨٣ ، ٢٨	(تونس)

الفصل :

(الرياض)	عدد ٣٢ سنة ١٩٨٠/٣
(الرياض)	عدد ٥٨ سنة ١٩٨٢/٥
(الرياض)	عدد ٩٣ سنة ١٩٨٤/٨
(الرياض)	عدد ٩٩ سنة ١٩٨٥/٩

القدس الشريف :

(عمان)	عدد ١٩٨٥/١
(عمان)	عدد ١٩٨٥/٣
(عمان)	عدد ١٩٨٦/١٠
(عمان)	عدد ١٩٨٦/١١
(عمان)	عدد ١٩٨٦/١٥

الكاتب :

(القاهرة)	عدد ٧٢ سنة ١٩٦٧/٧
(القاهرة)	عدد ٨٦ سنة ١٩٦٨/٨
(القاهرة)	عدد ١٨٥ سنة ١٩٧٦/١٦
(القاهرة)	عدد ١٨٩ سنة ١٩٧٦/١٦

المجلة :

(القاهرة)	عدد ١٩٦٨/١٢٧
(القاهرة)	عدد ١٩٦٩/١٥٦

المجلة الثقافية :

(عمان)	عدد ١٩٨٣/١
(عمان)	عدد ١٩٨٤/٤
(عمان)	عدد ١٩٨٥/٦

المشرق :

عدد ٥ سنة ١٨٩٨٠١ (بيروت)

المعرفة :

عدد ٧٠ سنة ١٩٦٧٠٦ / ١٩٦٨ (دمشق)

عدد ٢٤٧ سنة ١٩٨٢٠٢١ (دمشق)

الموقف الاثري :

عدد ١٠ سنة ١٩٧٢٠٢ / ١٩٧٣ (دمشق)

عدد ٧٠ سنة ١٩٧٧٠٧ (دمشق)

هدى الاسلام :

عدد ٥ مجلد ١٩٨٧٠٣١ (عمان)

الهلال :

عدد ١٢ سنة ١٩٦٩٠٧٧ (القاهرة)

عدد ٩ سنة ١٩٧٤٠٨٢ (القاهرة)

الصحف اليومية :

الثورة العراقية :

(بغداد) ١٩٨٨ / ٦ / ٥

(بغداد) ١٩٨٨ / ٦ / ٦

الدستور الاردنية :

(عمان) ١٩٨٢ / ٧ / ٤

الرأى الاردنية :

(عمان) ١٩٨٧ / ٨ / ٢١

(عمان) ١٩٨٧ / ١٠ / ٣

(عمان) ١٩٨٨ / ٥ / ٢٠

(عمان) ١٩٨٨ / ٧ / ٨

Lebanese poets were more optimistic and indulged in expressing their love of their country, the thing, perhaps, which kept them remote from diatribes that aim at showing the pitfalls and shortcomings of their leaders. In contrast, Iraqi poets were concerned with listing names of their martyrs, glorifying national greatness, and commemorating battles they have won.

6. A great number of Arab poets have been involved in the political strife and national struggles in these cities. This trend, however, figures predominantly among Iraqi poets who, more than any other poets, dwelt on day-to-day political events in these cities, and gave each city its due consideration and attention.
7. Each poet has his own unique style that is being influenced by his culture and environment. Nevertheless, two different generations are being classified. On the one hand, there is the old generation which has been committed to the classical pattern in poetry writing, and which has given prominence to pompous expressions and flowery language. On the other hand, there is the modern generation which has adopted the free verse in poetry writing, and which has also depended on imagism in describing events. At the same time, some poets have merged the traditional and modern techniques in their writing.
8. Symbolism, especially religious and historical symbolism, is depicted in these poems. This might be attributed to a certain degree of fanaticism on part of the poets, as well as ^{to} a strong attachment to their history, past and present.
9. Most of the poems were straightforward, feverish, and sentimental, as poets were most concerned with communicating their meanings and emotional tensions to the public without any difficulty.

There is no doubt that the poetry of these beleaguered cities stimulated public awareness and managed to bring their poetry to terms with the actuality of Arab life, despite the fact that such poetry lacks certain artistic characteristics that are bound to make it a living and durable literature.

Abstract

=====

At the conclusion of this thesis, I would like to point out the main outcome of my study of the poetry of three beleaguered cities: Jerusalem, Beirut, and al-Baqra.

1. Each of the three beleaguered cities has its own respective dimension in Arabic poetry. Jerusalem, for instance, takes a purely religious dimension, whereas Beirut is given a political and nationalistic dimension; and al-Baqra acquires a remarkable nationalistic dimension.

This disparity, perhaps, is attributed to the distinctive role played by each city during the past historical phases, and to the nature of conflict afflicting each one of them in modern time.

2. Arab poets have been closely connected with contemporary issues, and have documented every minute event in their poems. Hence, their poetry reflects a deep sense of nationalism and pan-arabism, and also presents a vivid picture of relations among Arab Countries. This might interpret the overflowing emotions, veracity of feelings, and active response to immediate surroundings which are manifested in their poems.
3. A positive and optimistic outlook emerges in the poetry of the three beleaguered cities. In fact, this outlook is nothing but the ideal stand of the man of letters who is deeply concerned with the causes, dreams, and ambitions of his nations.
4. Arabic poetry plays an eminent functional role in emphasising and defining Arab Unity, exposing internal and external enemies, and stimulating people's awareness of surrounding dangers. It also embodies other nationalistic themes such as glorifying national heroes and martyrs, taking pride in Arab nationalism, and clinging to the land and nation. ٢٧٨٦٧٠
5. Individual suffering and anguish have deeply influenced the poets' productivity and have tinged their experiences with impressions that are varied from those detected in the poetry of other cities. For example, Jerusalem poets followed a line characterised by deep sensitivity, and genuine sentimentality.